همنغواي شاهد على عصره

DU DOME

إرنست همنغواي

باريس عيد

وليمة متنقلة





إرنست همنغواي

باريس عيد

وليمة متنقّلة




مكتبة
الفكر الجديد

إرنست همنغواي

باريس عيد

وليمة متنقّلة

ترجمة: الدكتور علي القاسمي





العنوان الأصلي للكتاب:

Ernest Hemingway
A Moveable Feast

الكتاب

باريس عيد

تأليف

إرنست همنغواي

ترجمة

الدكتور علي القاسمي

الطبعة

الأولى، 2016

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9953-68-820-6

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651

فاكس: 305726 522 212+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

بيروت ـ لبنان

ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء

شارع جاندارك ـ بناية المقدسي

هاتف: 750507 01 ـ 352826 01

فاكس: 343701 1 961+

Email: cca_casa_bey@yahoo.com



إذا واتاك الحظ بما فيه الكفاية لتعيش في باريس وأنت شاب، فإنّ ذكراها ستبقى معك أينما ذهبت طوال حياتك، لأن باريس وليمةٌ متنقلة.

إرنست همنغواي

من رسالة إلى صديق، عام 1950.




مكتبة
الفكر الجديد

مقدمة المترجم

خفايا الترجمة وفخاخها:
متى يرتدي همنغواي الكوفية والعقال؟

الدكتور علي القاسمي

همنغواي كاتب الطلاب المفضل:

كنت طالباً في الجامعة الأميركية في بيروت عندما أهدى إليّ أحد الأصدقاء هو الكاتب الأميركي جون مكلنك فريزير، الذي كان يشاركني إعداد كتاب باللغة الإنجليزية عن القصة الحديثة في العراق، أهدى إليّ كتاباً من أعمال إرنست همنغواي عنوانه **وليمة متنقّلة** كان قد صدر في الولايات المتحدة الأميركية عام 1963 بعد وفاة مؤلِّفه منتحراً عام 1961.

وكنت قد قرأت عدداً من مؤلفات همنغواي الأخرى منها مجموعة قصصه القصيرة، وروايته **وما تزال الشمس تشرق**، وروايته **لمن تُقرع الأجراس؟**، وقصته الطويلة **ثلوج كليمنجارو**، وروايته **الشيخ والبحر** التي نال على إثرها جائزة نوبل للآداب عام 1954. كما كنت قد قرأت كتاباً عن حياته بعنوان **بابا همنغواي** للصحفي الأميركي هتشنر الذي حرص على مرافقته في السنوات العشر الأخيرة



من حياته كان يحتفظ خلالها بسجِّلٍ مفصّلٍ عن تنقلات همنغواي وعلاقاته وأنشطته المختلفة. وكنت أعتبر همنغواي، آنذاك، كاتبي المفضّل باللغة الإنجليزية، بل يمكنني القول إن همنغواي هو كاتب الطلاب المفضل لسهولة لغته، وسلاسة أسلوبه، وللتشويق الناتج من موضوعاته الرومانسية، وروح المغامرة التي تتجلى في قصصه. ولا يضارعه في سهولة لغته من الكتاب الفرنسيين من مجايليه إلا مارسيل پانيول.

باريس وليمة متنقلة:

قرأت كتاب **وليمة متنقلة** فأعجبني أيما إعجاب، لأنه كان يتحدّث عن مدينة باريس التي عاش فيها في أوائل العشرينيات من القرن العشرين، من سنة 1921-1926، وهي سنوات تقع في تلك الفترة التي يسميها الفرنسيون بالحقبة الجميلة (La belle époque) أو بسنوات الجنون (Les années folles). كما يتحدّث عن الأدباء والفنانين الذين كانوا يعيشون في باريس في تلك الأيام والذين ربطته معهم صلات مودة وصداقة، خاصة أولئك الذين قدموا من بريطانيا وأميركا واتخذوا باريس مربعاً لمزاولة أدبهم وفنّهم. وفي مقدمة أولئك الأدباء الشاعر الأميركي الكبير عزرا باوند والشاعر الأميركي البريطاني الشهير تي. أس. إليوت، والروائي البريطاني جيمس جويس، والكاتبة الأميركية غيرتيتيود شتاين، والروائي الأميركي سكوت فتزجيرالد، وغيرهم.

وفي ميسور القارئ الكريم أن يتصوّر المتعة التي تتيحها قراءة هذا الكتاب، الذي يرسم، بريشة أديب كبير، شخصياتِ أولئك



الأدباء الكبار ويفضح بعض أسرارهم. وكان همنغواي قد سجّل ذكرياته تلك في السنوات الثلاث الأخيرة من حياته، بعد أن اكتملت أدواته الفنية والفكرية، وتعامل مع شخصياته وموضوعاته بأسلوب روائيّ ساخر أخّاذ. أضف إلى ذلك أن هذا الكتاب يشكّل جنساً أدبيّاً جديداً يختلف عن الأجناس الأدبيّة التي مارسها همنغواي من قصة ومقالة ورواية. فالكتاب عبارة عن ذكريات سيرة ذاتية صيغت بشكل روائيّ.

وتبادر إلى ذهني آنذاك ضرورة ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية لأتقاسم المتعة مع قرائها، ولأوفّر للمكتبة العربية معلومات دسمة عن أولئك المشاهير من الأدباء والفنّانين، لا يجدها الباحثون عادة في المراجع المختصة بالأعلام والسِّيَر والتراجم.

صعوبات الترجمة:

ولكنني عندما أعملتُ الفكر في الأمر، تبيّن لي أنني لم أكُن قادراً على ترجمة الكتاب يومذاك على الرغم من سهولة لغة همنغواي وبساطة تراكيبها؛ لأنّ الترجمة عمليّة إبحار من مرفأ إلى آخر عبر بحر التواصل الإنساني في رحلة محفوفة بالمخاطر. فلا يكفي معرفة المرفأين وامتلاك باخرة، للوصول إلى الشاطئ الآخر. فقد تعترض البحّار أمواج عاتية أو عواصف هوجاء أو أمطار طوفانيّة. وإذ ذاك لا بد له من معرفة معمّقة بأصول الملاحة البحرية، وخبرة بخفايا البحر الذي يقطعه، ودراية بالأنواء الجويّة أيام السفر.

والترجمة ليست مجرد توليد المقابلات المعجمية لمفردات النص الأصلي. وإنما هي نقلة تجري في إطار عملية التواصل. بيدَ



أنها أكثر تعقيداً من تواصلٍ بين ناطقَين بلغة واحدة. فالمترجم يجتاز حدود لغتَين عبر رموزٍ لغوية، وأخرى ثقافية اجتماعية، وثالثة أسلوبية أدبية. فلا يكفي نقلُ النصِّ مجرَّداً من حمولته الثقافية وعارياً من كسوته الأسلوبية المتميزة. وإنّما يتحتم على المترجم أن يموقع النصَّ في سياقه الثقافي ومقامه الاجتماعي، وأن يصوغه بأسلوبٍ يتناسب مع أسلوبِ الكاتبِ الأصليّ. وإذا فشل المترجم في واحد من هذه الميادين الثلاثة فإنه يخلّ بأمانة النقل التي تُعدُّ عماد الترجمة الناجحة.

خيانة المترجمين:

كنت أخشى أن أشارك في ما يسميه الإيطاليون بخيانة الترجمة، أو أن تنطبق عليَّ مقولة الأديب الإسباني الأستاذ جوليو - سيزار سانتويو، الأستاذ بجامعة ليون بإسبانيا، الذي أعرب عن دهشته لعدم زج كثير من المترجمين في السجون والمعتقلات لأنّ ترجماتهم مليئة بجرائم الكذب والتزوير وإخفاء الحقيقة وخيانة الأمانة وغير ذلك من الجرائم التي يعاقب عليها القانون. فالترجمة لا تتطلَّبُ الكفاية اللغوية، أي التمكن من اللغتَين المنقول منها والمنقول إليها فحسب، بل تتطلب كذلك الكفاية الأدبية والكفاية الثقافية - الاجتماعية. وتتمثَّل الكفاية الأدبية في قدرة المترجم على معرفة الأساليب الأدبية التي دُوّن فيها النص الأصلي وتمكّنه من مضاهاتها في اللغة الهدف. أما الكفاية الثقافية - الاجتماعية فتعني إلمام المترجم بالسياق الاجتماعي والثقافي للخطاب وظروف إرساله وتلقيه. ولا يمكن عزل لغة النصِّ عن الأسلوب الذي صيغت فيه والموضوع الذي تناوله.



مثبطات الترجمة

جهل الموضوع:

وقد صرفت النظر عن ترجمة وليمة متنقلة للأسباب الآتية:

أولاً، يتحدّث همنغواي عن مدينة باريس التي أمضى فيها أزهى سنوات شبابه بعشق وهيام كما لو كانت امرأة جميلة أغرم بمفاتنها وحفظ عن ظهر قلب خريطة جسدها وتضاريسه. فهو يتحدّث بشغف عن أحياء باريس ومعالمها وحاراتها وساحاتها وشوارعها ومطاعمها ومقاهيها. كان يخرج من شقّته الكائنة في شارع الكاردنال لوموان في الحيّ اللاتينيّ، فيتمشّى على رصيف نهر السين، ويتصفّح الكتب المعروضة في أكشاك باعة الكتب القديمة المنتشرة على الرصيف، ثمَّ يخترق الحيّ ليصل إلى مقهاه المفضّل الواقع في ميدان سان ميشيل، ويجلس في المقهى، ويُخرِج من جيبه دفتراً وقلماً، ويشرع في كتابة أقاصيصه. وعندما كان يعود وقت الظهر إلى شقّته لتناول طعام الغداء مع زوجته الشابة الجميلة هادلي كان يعرّج على مكتبة شكسبير الواقعة في ساحة الأوديون آنذاك. وكان في أثناء سرده لذكرياته، يسمّي الشوارع والساحات بأسمائها، ويصف المطاعم والمخازن وما تعرضه من أطعمة ومأكولات في واجهاتها.

وشعرت آنذاك أنه ليس بميسوري أن أترجم بأمانةٍ وإحساسٍ صادقٍ نصاً أدبياً يصف مدينةً لم أزُرها من قبل، ولم تربطني بها وشيجة محبّة كما هو حال المؤلِّف. كنت أخاف أن أتيه، وأنا أترجم الكتاب، في زقاقٍ من أزقتها حتى لو استعنت بخريطةٍ مفصّلةٍ لتلك المدينة.



ثانياً، كان همنغواي رجلاً يحبّ الحياة حتى الموت. كان يريد أن يحيا بجميع مشاعره وأحاسيسه وعواطفه وانفعالاته، في الواقع والخيال، في الممكن والمستحيل، فكان يتوخى تجريب الحبّ والكره، والفرح والترح، والرضا والغضب، والأمل واليأس، والطمأنينة والخوف، وجميع الانفعالات الإنسانية مهما كانت هويتها، ومهما كان لونها: أحمر قانياً بلون الدم المُراق، أم وردياً فاتحاً بلون الزهر في الربيع. ولهذا فقد تقدّم إلى مركز التجنيد للتطوّع في الحرب العالمية الأولى ولمّا يبلغ الثامنة عشرة من العمر، وعندما رُفض بسبب باطن قدمه المسطّح، ألحّ كثيراً على المسؤولين حتى قبلوه سائقَ سيّارةِ إسعاف وأرسلوه إلى الجبهة الإيطاليّة، وجُرح هناك جرحاً بليغاً، وتبلورت خبرته تلك في روايته **وما تزال الشمس تشرق**. وعندما اندلعت الحرب الأهلية الإسبانية، تطوّع فيها مراسلاً صحفياً مناصراً للجمهوريين، وخاض غمارها في كلّ الجبهات ما مكّنه من كتابة روايته **لمن تُقرع الأجراس**؟ ومارس اصطياد الأسود في أفريقيا وكتب عنها رائعته **ثلوج كليمنجارو**.

وفي باريس، كان همنغواي مولعاً بالرهان على سباقات الخيل في حلبات الجري والقفز، ومفتوناً بألعاب الدرّاجات الناريّة والهوائيّة. وكان يذهب بصورة منتظمة إلى النمسا وسويسرا للتزلّج على الجليد في الجبال الشاهقة ويغامر في التزلّج تحت جبال جليديّة على وشك الانهيار. ولم يكتفِ بالقمار في ميادين سباق الخيل، بل كان يقامر في لعب الورق وجيبه خاوٍ أحياناً. وكان همنغواي يمارس الملاكمة وقام بتعليم الشاعر عزرا باوند هذه الرياضة الخطرة.

أما أنا فلم تكن لي خبرة في الحياة، وكانت تجاربي فيها



محدودة، وليست هوايات همنغواي من هواياتي. وكنت أتساءل هل كان باستطاعتي أن أترجم نصاً لا خبرة لي في أحداثه ولا أشارك مؤلِّفه أحاسيسه وانفعالاته حول موضوعه؟ إضافة إلى أن همنغواي كان يستعمل في حديثه عن هواياته تلك بعض المصطلحات التقنية أحياناً، وهي مصطلحات مفهومة لدى مَن يزاول القمار أو الرهان على الخيل أو سباقات الدراجات أو التزلّج أو الملاكمة، مثلاً، ولكنها تشكّل صعوبة، إبستيمولوجية أكثر منها لغوية، لمن لا يلمّ بتلك الهوايات. وإذا لم تتسلّل ذاتية المترجم إلى عمله، فَقَدَت ترجمته الدفء والحياة.

صعوبة السهل الممتنع من الأساليب:

ثالثاً، على الرغم من أن لغة همنغواي العامَّة في منتهى السهولة وأن تراكيبه النحوية في غاية البساطة، فإن أسلوبه يضع عقبات متعددة في طريق مَن يريد أن يترجمه إلى العربية. وتتعاظم هذه الصعوبات في جبهتَين على الأقل:

الأولى، يعدّ نقاد الأدب الإنجليزي همنغواي معلمة في تاريخ الكتابة باللغة الإنجليزيّة، لأنه انتقل بها من مرحلة التعبير المنمَّق الرفيع إلى التعبير البسيط المتواضع. لقد تحول همنغواي بالقصة من كلام الأدباء إلى كلام الناس البسطاء، ولم يتردّد في استعمال تعبيراتهم العاميّة أحياناً. المهم عنده أن تكون جُمله جُملاً حقيقية تفوّه بها أو سمع أحدهم ينطقها. وفي هذا يقول همنغواي في الفصل الثاني من كتاب **وليمة متنقلة**:

«ولكن يحدث أحياناً أن أشرع في كتابة قصة ما ولا أتمكن من



التقدّم فيها، فكنت أجلس أمام النار وأعصر قشور البرتقالات الصغيرة على أطراف اللهب وأشاهد الرذاذ الأزرق الذي تخلّفه. وأنهض وأحدّق في سطوح باريس وأقول لنفسي: «لا تقلق، لقد كنتَ تكتب دوماً من قبل وستكتب الآن. كلّ ما عليك أن تفعله هو أن تكتب جملة حقيقية واحدة. اكتب أصدق جملة تعرفها». وهكذا أتمكن أخيراً من كتابة جملة حقيقيّة واحدة، ثم أواصل من هناك. لقد كان ذلك أمراً ميسوراً، لأن هنالك دائماً جملة حقيقيّة أعرفها أو رأيتها أو سمعت شخصاً ما يقولها. وإذا بدأتُ الكتابةَ بتكلُّفٍ أو كمَن يمهّد لتقديم شيء ما، شعرت بأنّ عليّ أن أحذف المقدِّمات والمُحسِّنات والالتواءات اللفظية، وأرمي بها بعيداً لأبدأ بأول جملةٍ خبريةٍ حقيقية بسيطة كتبتها».

إذن لا تشكّل نصوص همنغواي العامة صعوبة تُذكر للمترجم على مستوى الفهم، لأن مفرداتها بسيطة شائعة وبنياتها النحوية سهلة بعيدة عن التعقيد. ومع ذلك يظلّ همنغواي عصيّاً على الترجمة على الرغم من سهولته الظاهرية وإغرائه الشديد. فصعوبته تكمن في سهله الممتنع. وبساطته البادية للعيان هي ذاتها التي تسبّب للمترجم صعوبة على مستوى التعبير. هل يستطيع المترجم العربي الذي فَهِم العبارة أو الفقرة أن يصوغها بالبساطة نفسها باللغة العربية، لفظياً ونحوياً كما تقتضي أمانة الترجمة، خاصة أن العربية تعرف ازدواجية بين اللغة العامية التي يتحدّثها الناس، واللغة الفصيحة التي يستعملها الأدباء؟

فالمترجم العربي، مثلاً، يقف حائراً عندما يستخدم همنغواي كلمة واحدة عدّة مرات في الفقرة الواحدة، بل في الجملة الواحدة،



كأن يقول: «كان المطعم جيّداً والطعام جيّداً والشراب جيّداً وكانت شهيتنا جيّدة». لأنه لا يعبأ بتنويع المترادفات التي تثري النصّ وتغنيه لفظياً، وإنما يهتمّ بالأثر الذي يتركه النصّ في نفس القارئ. بَيْدَ أنّ المرء يتساءل ما إذا كانت البلاغة العربية وأساليبها الفصيحة تتقبّل ذلك.

وهنا يُثار سؤال مشروع هو: ماذا إذا حسّن المترجمُ أسلوبَ النص في اللغة المنقول إليها وجعله أكثر تقبُّلاً من قبل قرائها وأكبر انسجاماً مع ذائقتهم الفنية؟ هل يُتَّهم المترجم آنذاك بخيانة الكاتب الأصلي ومقاصده؟ ومن الأمثلة الشهيرة التي تُضرب في هذا المجال اضطلاع الشاعر الفرنسي الرومانسي بودلير بترجمة قصص الكاتب الأميركي إدغار ألن بو. فنحن نعرف أنّ إدغار ألن بو يعدّ من رواد القصة القصيرة في العالم كما يُعتبر أبا القصة البوليسية. ولكن الذي قد لا نعرفه هو أن الأميركيين أنفسهم لا يُقبلون على قراءة أعماله لأنهم لا يستسيغون أسلوبه المعقّد المرتبك كعقله. ولهذا فإنّ أعماله تتمتع بشهرة أكبر وإقبال أوسع عليها في فرنسا بفضل ترجمة بودلير الذي صاغها بأسلوب شاعري سلس محبَّب.

تقنية جبل الجليد القصصية:

والثانية، يُعدّ همنغواي صاحب تقنيِّةٍ خاصة في كتابة القصة القصيرة والرواية، تتلخَّص في أنّ الكاتب لا يزوّد القارئ بالمعلومات المطلوبة مباشرة، وإنما يدعه يكتشف تلك المعلومات بنفسه ويستنبط كثيرها الغائب من قليلها الحاضر، أي أن يقرأ ما بين السطور وما وراء الفواصل والنقط. ويُطلَق على تلك التقنية اسم



جبل الجليد. فأنت ترى جزءاً من قمّة جبل الجليد بارزاً فوق سطح الماء في المحيط، وقياساً عليه تستطيع أن تقدّر حجم وصلادة الجزء المغمور منه تحت سطح الماء، وهو عادة أكبر وأصلد.

فعندما يريد همنغواي أن يتهم أحد شخصيات كتابه وليمة متنقلة - ولنقل سكوت فتزجيرالد - بالكذب أو عدم الدقة في الكلام، فإنه لا يقول ذلك مباشرة، بل يسوق حواراً بريئاً - على ما يبدو - بينه وبين فتزجيرالد يستشفّ منه القارئ أن فتزجيرالد قد أخطأ أو كذب. وعندما يبتغي همنغواي أن ينوّه بإلمامه بالأمور الطبيّة، لأنّ والده كان طبيباً ولأنه هو نفسه كثيراً ما كان يطالع المجلّات الطبيّة المتخصِّصة، فإنّه لا يصرّح بذلك مباشرة وإنما يسرد أحداثاً يستنبط منها القارئ أنَّ لهمنغواي ثقافة طبيّة جيّدة.

فهمنغواي الروائي لا يطرح أسئلة مباشرة ولا يسرد جميع الأحداث، وإنما يستخدم التلميح بدلاً من التصريح، والتضمين بدلاً من التقنين. إنه يلجأ إلى تقنية «جبل الجليد» ليتيح للقارئ متعة الاكتشاف والمشاركة في العمل الإبداعيّ. يقول همنغواي إنه عندما التقى الروائي الأميركي سكوت فتزجيرالد، صاحب رواية **غاتسبي العظيم**، التي يعدّها بعض النقاد أروع الروايات التي كُتِبت باللغة الإنجليزية في القرن العشرين، تحدّث سكوت فتزجيرالد عن الأدب كما لو كان يُلقي خطاباً. ويضيف:

«ولكن أعقبتِ الخطاب حصةُ الأسئلة. وفهمتُ منها أنّ سكوت يعتقد أن بوسع الروائيّ أن يعثر على ضالته بتوجيه الأسئلة المباشرة إلى أصدقائه ومعارفه. ولهذا كان التحقيق مباشراً..».

فهمنغواي يستخدم التلميح بدلاً من التصريح، ويستعمل الإيحاء



عوضاً عن التوضيح. وفي هذا يقول الشيخ أمين الخولي في تعليق له على قصة قصيرة مترجمة لهمنغواي:

«ليست القصة القصيرة ديباجة مرصّعة، ولا ألفاظاً منمقة، ولا أحداثاً لافتة، ولا حركة عنيفة، ولا هي عقدة دقيقة، ولا حبكة متينة، بل هي همسة، أو لمسة، أو خفقة، أو مسقط ظلّ، أو شعاع ضوء، أو فتنة لون، أو ما إلى ذلك من إيحاء الفن... ومن هنا لا تكون كما يبدو عملاً هيناً».

ويكمن خطر ترجمة همنغواي في أنّ المترجم قد يستخدم، من غير قصد، مفردات وصيغاً تصرّح بالمضمون وتكشف عن مرامي همنغواي بصورةٍ مباشرة، في حين أن قصد المؤلِّف هو أنْ يترك مهمَّة الاكتشاف للقارئ لا للمترجم. ويذكّرني هذا الوضع بالترجمة العربية لرواية **الغريب** لألبير كامو. ففي النصّ الفرنسيّ كانت جميع الأفعال التي أدّت إلى مقتل العربيّ الجزائريّ أفعالاً انعكاسية أو أفعالاً بصيغة المبني للمجهول، بحيث تُعطي الانطباع للقارئ بأن القاتل كان مسلوب الإرادة ولم يقصد قتل الشاب الجزائري ولا يعرف لماذا قتله، وفي ذلك إشارة إلى فلسفة المؤلف في عبثية الوجود ولامعقولية تصرفات الإنسان المسيَّر لا المخيَّر، في حين أن المترجم العربي وضع جميع تلك الأفعال بصيغة المبني للمعلوم وهي الصيغة الأكثر شيوعاً والأيسر استعمالاً باللغة العربية. وهكذا أفسد المترجمُ مقاصد المؤلِّف. ولنضرب مثلاً في الفرق بين هاتين الجملتين:

(1) امتدّت يده إلى المسدس، فانطلقت منه رصاصة.

(2) مدّ يده إلى المسدس، وأطلق منه رصاصة.



يتحدّث همنغواي في كتاب وليمة متنقلة عن باريس في العشرينيات من القرن العشرين وعن الأدباء الذين التقى بهم هناك وربطته معهم صداقة ومودّة. ولكنّه، في حقيقة الأمر وبصورة غير مباشرة، يتحدّث عن نفسه من خلالهم ومن خلال باريس. فنحن نرى أحياء باريس التي ارتادها، وشققها التي سكنها، ومطاعمها التي أكل فيها، ومقاهيها التي كتب قصصه على طاولاتها، وحلبات سباق الخيول التي قامر فيها، وهكذا. ونحن نتعرّف كذلك على الأدباء البريطانيين والأميركيين من خلال المحادثات التي تجري بينه وبينهم.

يمكننا أن نعدّ هذا الكتاب من كتب السيرة الذاتية ولكنه دُوّن بطريقة مبتكرة وأسلوب روائي يختلف عن أساليب الكتب التي سبقته من هذا الصنف الأدبي.

صعوبة ترجمة السخرية والتهكم:

ثالثاً، لقد كتب همنغواي عدداً من فصول كتابه هذا **وليمة متنقلة** بأسلوبٍ ساخر. ونحن نعرف أن الفكاهة أصعب أجناس الكلام، وأن السخرية هي النوع الأصعب من أنواع هذا الجنس. فهي تتطلّب قبل كلّ شيء تمكناً من الموضوع، وذكاء حاداً، وروحاً مرحة، وعينين ترتديان نظارتين تحيلان الذوات والأجسام إلى أشكال كاريكاتورية، وتبحّراً في اللغة وثروتها اللفظية بحيث يختار الكاتب تلك المفردات والأوزان الصرفيّة التي تتوفّر، بالإضافة إلى معناها المركزي، على معنى هامشي مضحك.

فلو نظرنا إلى العبارات الآتية: **تفصّح في كلامه، تعمّق في**



كلامه، تفنّن في كلامه، تقعّر في كلامه، تنطّع في كلامه؛ نجد أنه على الرغم من أنها جميعاً شبه مترادفات وأن الفعل فيها التزم بصيغة واحدة هي (تفعّل) فإنّ العبارتين الأخيرتين هما أقرب إلى السخرية من ذلك المتكلم. وتستمدان تلك السخرية من صيغة الفعل، ومن معناه المركزي، ومن معناه الهامشي الذي اكتسبه بالاستعمال في مثل هذا المقام.

ولكن السخرية في هاتين العبارتين سخرية مباشرة أشبه ما تكون بالفكاهة الناتجة من انزلاق أحدهم على قشرة الموز وتكرفسه أرضاً. أما السخرية التي استخدمها همنغواي في كتابه وليمة متنقلة فكانت أعمق وأبعد مرمى، وتتأتى من قراءة نصّ كامل وليس من كلمة أو عبارة.

من الأمثلة على ذلك سخريته المُرّة من صديقه الكاتب سكوت فتزجيرالد، الذي أُرجّح أن همنغواي كان يغار منه أو يحسده بسبب تألّقه روائياً ولأنه كان غنياً في حين كان همنغواي يومذاك يقاسي الفاقة والعوز. وكان فتزجيرالد آنذاك متزوجاً بالشابة الحسناء زيلدا، وكان مغرماً بها جداً على الرغم من تفنُّنها في تعذيبه، ولم يعلم أحد آنذاك أنها في طريق الجنون التي ستقودها إلى مستشفى الأمراض العقلية. وذات يوم دعا فتزجيرالد صديقَه همنغواي لتناول طعام الغداء في مطعم فاخر ليتشاور معه في أمرٍ خطير. فلبّى همنغواي الدعوة مسروراً، حبّاً في الطعام أساساً. وبعد أن تناولا ما لذّ من طعام وشراب، أخذ فتزجيرالد يمهّد للموضوع بأحاديث متنوعة. وعندما أخذا في تناول الحلوى فتح فتزجيرالد الموضوع وجرى الحوار الآتي، كما صاغه همنغواي:



«وأخيراً وفيما كنا نأكل كعكة الكرز ونشرب آخر غرّافةِ نبيذ، قال لي:

- أنت تعلم أنني لم أضاجع امرأة أخرى سوى زيلدا.

- لا، لا أعرف ذلك.

- ظننتُ أنني أخبرتك بذلك.

- لا، لقد أخبرتني بأشياء كثيرة، ولكن ليس ذلك.

- هذا ما يتعين عليّ أن أسألك عنه.

- طيب، استمر.

- تقول زيلدا إن تكويني البدني لا يساعدني أبداً على إسعاد أية امرأة، وهذا الذي يكدّرها في الأساس. وتقول إنها مسألة مقاييس. ولم أستعِد مشاعري الطبيعية منذ أن أخبرتني بذلك. ويجب أن أعرف الحقيقة.

قلتُ له: تعال معي إلى المكتب.

- أين المكتب؟

قلتُ: في المرحاض.

ورجعنا وجلسنا إلى الطاولة، وقلت له:

- إنك طبيعي تماماً. أنت على ما يرام وليس من عيب فيك. انظر إلى نفسك من الأعلى وستبدو قصيراً. اذهب إلى متحف اللوفر وألقِ نظرة على تماثيل الرجال ثم اذهب إلى منزلك وانظر إلى نفسك في المرآة.

- قد لا تكون تلك التماثيل مضبوطة.

- بلى، إنها جيدة. ومعظم الناس تتّفق عليها..».



ويخرج القارئ من هذا الحوار بانطباع مفادُه أنّ سكوت فتزجيرالد كان أقرب إلى أبله أو مغفّل وليس بذلك الروائيّ العبقريّ الذي كانت شركات هوليوود الأميركية تتهافت على تحويل رواياته إلى أشرطة سينمائية رائعة.

ويستطيع همنغواي أن يسترسل صفحة بعد صفحة بسخريةٍ وتهكّم مضحكَين، وفي الوقت نفسه يصنع فكراً وفنّاً وتاريخاً. وقد لا يوفَّق المترجم في استخدام المفردات والتراكيب المناسبة لأسلوب التلميح الساخر والقادر على إثارة الضحك.

ولجميع تلك الأسباب صرفتُ النظر عن ترجمة **وليمة متنقلة**.

نجاح الترجمة نسبي:

ثم ذهبت إلى الولايات المتحدة الأميركية للدراسة. وتعمّقت في دراسة أعمال الأدباء الذين تحدّث عنهم همنغواي في كتابه **وليمة متنقلة**: عزرا باوند، وتي أس إليوت، وسكوت فتزجيرالد، وغيرتيتيود شتاين، وجيمس جويس، وفورد مادوكس فورد، ووندهام لويس وغيرهم. كما درست نظريات الترجمة والمعجميّة. وبعد سنوات ذهبت إلى باريس لدراسة اللغة الفرنسية في السوربون. واطَّلعت على الترجمة الفرنسية لكتاب **وليمة متنقلة** التي اختار لها المترجم الفرنسي (أو ربما الناشر) عنواناً يختلف قليلاً عن العنوان الأصليّ ولكنه يتفق مع مضمون الكتاب، ومعنى العنوان الفرنسي **(باريس عيد)**(*).

(*) وهذا العنوان هو الذي فضّله صديقي الناشر هيثم فاضل، مدير المركز الثقافي العربي، لهذه الطبعة.



وفي باريس سكنتُ في شقة تقع في شارع كاردنال لوموان الذي سكن فيه همنغواي، وكنت أتنزّه على رصيف نهر السين الذي تحدَّث عنه همنغواي، وأشتري الكتب من الأكشاك ذاتها، وأرتادُ المقاهي التي تطلُّ على ساحة سان ميشيل التي كان يرتادها همنغواي. وقمتُ بزيارات منظّمة لمعالم باريس ومتاحفها ومسارحها ومعارضها ودور أزيائها ومؤسَّساتها الثقافيّة، فنمَّيت شغفاً خاصّاً بباريس الثقافة والفن. وعاودني الحنين لترجمة كتاب همنغواي.

وممّا ساعدني على اتخاذ قراري بترجمة الكتاب تطوُّرُ نظرتي لعملية الترجمة. فقد اقتنعتُ بأنه لا يُشترَط في المترجم أن يمارس فعلاً الخبرات التي مرّت بالمؤلف لتكون ترجمته صادقة، فالصدق صدقان: صدقٌ واقعي وصدق فني. وحتى المؤلِّف نفسه قد يتحدّث عن أمور من المتخيَّل وليس من الواقعي، فيصوّر أحداثاً لم تقع، وتجارب لم يخبرها، وأحاسيس لم تخالجه، ومع ذلك يحقِّق نجاحاً إذا توافرت له مخيّلة مبدعة وتحلّى بالصدق الفني. أما إدراك مفاهيم المصطلحات التقنية المتعلّقة بهوايات المؤلف كسباقات الخيول والدراجات النارية والتزلج والقمار، فبإمكان المترجم أن يرجع إلى المعاجم المختصة والموسوعات والكتب المتخصصة في تلك الهوايات ليفهم الكيفية التي تجري بها ما يعينه على فهمٍ أعمق للنصوص التي تدور حولها.

وتطوّرَ مفهوم الأمانة في الترجمة لديّ بحيث لم تعُد المطابقة التامة بين النص الأصلي والنص المترجم، لأنه لا توجد مطلقاً مطابقةٌ تامَّة بين أي لغتَين من اللغات مهما كانت درجة القرابة بينهما ومهما بلغ التشابه بين بنيتيهما وأساليبهما. ولهذا فالترجمة الكاملة



غير موجودة بتاتاً، فكلُّ ترجمة يشوبها القصور، ونجاح أيٍّ ترجمة هو نجاحٌ نسبيّ. وطبعاً يتفاوت المترجمون في قدراتهم وخبراتهم فتتفاوت ترجماتهم من حيث النجاح. أما الأمانة في الترجمة فتعني أن المترجم لا يقفز على العبارات الصعبة فيبترها ولا يضيف كلاماً لم يرِدْ في النص الأصلي إلّا ما يقتضيه التوضيح.

ومع ذلك، وقبل أن أشرع في ترجمة كتاب **وليمة متنقلة**، أمضيت أنا وابنتي علياء عطلتنا ذلك الصيف في باريس، وأقمنا في شقة في شارع الكاردنال لوموان، وأخذنا نتنزه في باريس متتبعين مسار همنغواي نفسه، ومسترشدين بكتابه بنسختيه الإنجليزية والفرنسية، مارّين بكلِّ الأماكن والمقاهي والمطاعم التي كان يرتادها همنغواي، والتي ما زالت تحتفظ بأسمائها. ولكننا عندما وصلنا إلى البناية رقم 12 في شارع الأوديون لم نجد مكتبة شركة شكسبير، وهي مكتبة لبيع الكتب الإنجليزية وإعارتها أو مطالعتها فيها، وكان همنغواي يستعير الكتب منها كما كان يقترض بعض النقود من صاحبتها الحسناء سلفيا بيتش عندما يتأخر وصول حقوق التأليف إليه. وقيل لنا أنّ المكتبة تلك قد أُغلِقت وأن شركة أخرى قد أُنشِئت في الحي اللاتيني على رصيف السين واتخذت الاسم نفسه تكريماً للشركة الأولى، فذهبنا إلى هناك للاطّلاع على الطبعات المختلفة لكتاب **باريس عيد** أو **وليمة متنقّلة**.




مكتبة
الفكر الجديد

مقدِّمة المؤلِّف

لأسبابٍ خاصّة بالمؤلِّف، أُغفِل كثير من الأماكن، والأشخاص، والملاحظات، والانطباعات في هذا الكتاب. بعضها كان من الأسرار، وبعضها الآخر كان معروفاً للجميع، وكُتِب وسيَكتب عنه كثيرون.

لم يُذكَر في هذا الكتاب ملعب أنستاسي حيث كان الملاكمون يعملون نُدُلاً كذلك، وحيث كانت الطاولات توضع تحت الأشجار، وحلقة الملاكمة في الحديقة. ولم يُذكَر فيه التدريب مع لاري غينز، ولا جولات الملاكمة الرهيبة في سيرك الشتاء، ولا الأصدقاء الطيبون مثل شارلي سويني، وبيل بيرد، ومايك ستراتر؛ ولا أندري ماسن وميرو. ولم تُذكر سفراتنا إلى الغابة السوداء، ولا نزهاتنا الاستكشافية للغابة القريبة من باريس التي استغرقت يوماً كاملاً والتي أحببناها كثيراً. كان من الممتع لو ضمَّ هذا الكتاب جميع تلك الذكريات، ولكن اضطررنا للتخلي عنها في الوقت الحاضر.



وللقارئ أن يعدّ هذا الكتاب من باب السرد الخيالي، إذا أراد ذلك. ولكن، ثمّة احتمالٌ دائم أن هذا الكتاب السردي قد يلقي ضوءاً كاشفاً على الحقيقة والواقع.

إرنست همنغواي

سان فرانسيسكو دي باولا، كوبا 1960.



ملاحظة

بدأ إرنست همنغواي في تأليف هذا الكتاب في كوبا في خريف سنة 1957، وواصل العمل في بلدة كيتشوم في ولاية أيداهو الأميركية من شتاء 1958 إلى سنة 1959، وأخذه معه إلى إسبانيا عندما ذهب إلى هناك في أبريل عام 1959، وأعاده معه إلى كوبا ثم إلى كيتشوم في أواخر خريف ذلك العام. وأنهى الكتاب في ربيع سنة 1960 في كوبا، بعد أن وضعه جانباً مدة من الزمن ليكتب كتاباً آخر بعنوان: **الصيف الخطير** يدور على المنافسة العنيفة بين أنطونيو أودونز ولويس ميجيل دومنجين في حلقات مصارعة الثيران في إسبانيا عام 1959. وأجرى بعض التعديلات على كتاب **باريس عيد أو وليمة متنقلة** في خريف عام 1960 في كيتشوم. ويتناول هذا الكتاب حياة همنغواي في باريس من سنة 1921 إلى سنة 1926.

م. هـ.




مكتبة
الفكر الجديد

1

مقهى جيد في ساحة سان ميشيل[1]

صار الطقس رديئاً آنذاك. حدث التغيُّر في يومٍ واحد فقط بعد انصرام فصل الخريف. وكان علينا أن نوصد النوافذ ليلاً في وجه المطر، وأخذت ريحٌ صرصر تعرّي الأشجار من أوراقها في ساحة كونتر إسكارب[2]. وتبعثرت أوراق الأشجار المخضّلة بالمطر، وساقت الريحُ المطرَ صوب الحافلة الخضراء الجاثمة في المحطة، وغصّ مقهى الهواة[3] بروّاده، وغُطّيت شبابيكه بالضباب نتيجة الحرارة والدخان في داخله. وهو مقهى كئيب سيئ السمعة كان يتجمع فيه سكّيرو الحي، وكنت أتحاشاه بسبب رائحة الأجساد القذرة ورائحة السكر الكريهة. ويظلُّ الرجال والنساء الذين يرتادون مقهى الهواة مخمورين طوال الوقت، أو طوال الوقت الذي يستطيعون، وفي الغالب بخمرٍ يشترونه باللیتر أو نصف اللیتر. وتضمُّ قائمة مشروبات المقهى أسماء مشروباتٍ غريبةٍ غالية لا يتمكَّن من شرائها إلّا قليل من الناس ليجعلوا منها أساساً لمشروبات أخرى. وتُدعى النساء المخمورات باللغة الفرنسية Poivrottes.

كان مقهى الهواة بالوعة شارع موفتار[4]، ذلك السوق الضيِّق المزدحم الرائع الذي يقود إلى ساحة كونتر إسكارب. وكان لبنايات



الشقق القديمة مراحيض، مرحاضٌ واحدٌ لكلِّ طابق، بجانب السلّم الذي ينتهي بحافةٍ مرتفعة على شكل حذاء عند مدخل الطابق، لئلا ينزلق النزلاء. وكانت تلك المراحيض تصبُّ في البالوعات التي تُفرَّغ بضخّ محتوياتها في عربات صهريج تجرها الخيول في الليل. وفي فصل الصيف، عندما تكون النوافذ مفتوحة، كنا نسمع الضخَّ وتزكم أنوفنا رائحةٌ نفّاذه. وكانت عربات الصهريج تلك مطليَّة بلونٍ بنيّ وزعفراني. وعندما كانت تلك العربات تمرُّ في شارع الكاردنال لوموان(5) تبدو أسطواناتها التي تجرّها الخيول مثل لوحات الرسام براك(6). أما مقهى الهواة فلم يتولَّ أحد تفريغه، وأمسى ملصقه المصفرّ، الذي يبيِّن الشروط والعقوبات بحقِّ السكر العلني، باطلاً ملغياً؛ لأنَّ روّاده مستقرّون فيه دائماً وتفوح منهم رائحةٌ كريهة.

فجأة حلّ كلُّ حزن المدينة مع أول أمطار الشتاء الباردة، ولم نعد نرى سطوح البنايات العالية البيضاء عندما كنا نسير، ولم يبقَ سوى سواد الشوارع المبتلّ، وأبواب الحوانيت الصغيرة الموصدة، وحوانيت العشابين، والقرطاسية، والجرائد، ودكان قابلة - من الدرجة الثانية -، والفندق الذي لفظ فيه الشاعر فرلين(7) أنفاسه الأخيرة والذي استأجرتُ فيه غرفة في الطابق العلوي لعملي.

كان عليّ أن أرتقي ستة أو ثمانية طوابق لبلوغ غرفتي في الطابق العلوي من الفندق، وكان الجوُّ بارداً جداً، وكنت أعرف كم يكلِّفني شراء حزمة من خشب الوقيد، وثلاث حزم من أصابع خشب الصنوبر القصيرة التي لا يزيد طولها على نصف قلم لتقبس النار من الوقيد، ثم حزمة من الخشب الصلب الطويل نصف الجاف اللازم لإشعال نار بمقدورها تدفئة الغرفة. ولهذا فقد سرتُ إلى الجانب الأقصى من



الشارع لأصوّب نظري إلى السقوف وأرى إذا كانت ثمة مداخن موقدة، وكيف يرتفع دخانها. لم يكُن هناك دخان، وفكّرت في برودة المدخنة في غرفتي، واحتمال عدم نفثها الدخان، وامتلاء الغرفة به، وضياع الخشب، وذهاب النقود معه؛ فواصلت سيري تحت المطر.

وانحدرتُ مارّاً بمدرسة هنري الرابع الثانوية[8] وكنيسة سان إتيان دو مون العتيقة، وساحة البانتيون[9] التي كانت تعصف بها الريح العاتية، واتجهت إلى الجهة اليمنى اتقاء العاصفة، وأخيراً تحولت إلى الجانب المحجوب عن الريح من شارع سان ميشيل، وواصلت سيري مارّاً بكلوني وشارع سان جرمان، حتى بلغت مقهى جيّداً أعرفه يقع على ميدان سان ميشيل.

كان مقهىً لطيفاً، دافئاً ونظيفاً؛ وعلَّقتُ معطفي المطري القديم على المشجب ليجفَّ، ووضعتُ قبعتي المبلّلة المهترئة على الرفِّ فوق المصطبة، وطلبتُ قهوةً بالحليب. جلبها النادل، وأخرجت دفتراً من جيب سترتي وقلماً وشرعت في الكتابة. كنت أكتب قصة تجري أحداثها في ميشغان[10]، ولمّا كان ذلك اليوم بارداً عاصفاً عنيفاً، فقد كان الطقس في القصة مماثلاً له. كنت قد شهدتُ نهاية فصل الخريف في طفولتي وفتوتي وشبابي، ولكن بإمكان المرء أن يكتب بشكلٍ أفضل في مكانٍ دون غيره. وهذا ما يسمّى بالازدراع - على ما أظنّ - فأنت تنقل نفسك من مكان إلى آخر، ويمكن أن يكون هذا الانتقال ضرورياً للناس كما هو الشأن بالنسبة إلى الكائنات الحيَّة الأُخرى. كان الفتيان في القصة يشربون وهذا ما جعلني أشعر بالعطش أنا الآخر، فطلبت شراب الرَّم سانت جيمس. فكان له مذاقٌ رائع في ذلك البرد، وواصلتُ الكتابة، وداخَلَني



إحساس لذيذ وشعرت بشراب الرَّم المارتيني يدفئ جسمي كله وروحي.

دخلتْ فتاة المقهى وجلست وحدها إلى طاولة قرب النافذة. كانت جميلة جداً ولها وجه عذب طري يتألق مثل قطعة نقد ضُربت حديثاً، إذا كانوا يضربون النقود من بشرة ناعمة نضّرها المطر؛ وكان شعرها أسود مثل جناح غراب، ومقصوصاً بشكل مائل حادّ على خدّها.

نظرت إليها فشوَّشَتني وأثارتني كثيراً. وتمنيت لو أستطيع أن أضعها في القصة، أو في أي مكان آخر، ولكنها وضعت نفسها حيث يمكنها أن تراقب الشارع والمدخل، فعرفتُ أنها في انتظار شخص ما. ولهذا فقد واصلتُ الكتابة.

كانت القصة تكتب نفسها، وكنت أجد صعوبة في مجاراتها. فطلبت شراب رمّ سان جيمس آخر، وأخذتُ أراقب الفتاة كلَّما رفعتُ رأسي، أو عندما كنت أبري القلم الذي كانت تتجمّع رقاقاته الملتوية في الصحن تحت كأسي.

ثم عدت إلى الكتابة، وأوغلت بعيداً في القصة وتهتُ فيها. وصرتُ أكتبها وما عادت تكتب نفسها، ولم أرفع رأسي، ولم أعرف شيئاً عن الوقت، ولم أدرِ أين كنت، ولم أطلب رمّ سان جيمس آخر. لقد مللت رمّ سان جيمس دون أن أفكر في ذلك. ثم انتهت القصة وشعرتُ بتعب شديد. قرأتُ الفقرة الأخيرة، ثم رفعت رأسي ونظرت حولي بحثاً عن الفتاة فلم تكن هناك. وقلت في نفسي آمل أنها [illegible] رجل كريم. ولكنني شعرتُ بالحزن.

أغلقتُ الدفتر على القصة ووضعته في جيبي الداخلي، وطلبت



من النادل أن يجلب لي اثنتي عشرة من المحارات البرتغالية ونصف غرّافة من النبيذ الأبيض الموجود لديهم. فبعد كتابة كلّ قصة كنت أشعر بالجوع، ويداخلني إحساس بالحزن والسعادة في آنٍ واحد، كما لو كنت قد مارست الجنس، وكنت متأكداً من أن تلك القصة جيدة جداً على الرغم من أنني لم أكن أعرف حقاً مدى جودتها حتى أقرأها مرة أخرى في اليوم التالي.

وبعد أن أكلت المحارات المفعمة بمذاق البحر القويّ وبطعمها المعدنيّ الخفيف الذي أتى عليه النبيذ الأبيض البارد، وبعد أن شربتُ السائل البارد من كلّ محارة وأزلت أثره بمذاق النبيذ المنعش، زال عني الشعور بالجوع، وأخذت أحسّ بالسعادة، فرحتُ أخطّط للغد.

الآن وقد حلّ الطقس الرديء، يمكننا أن نغادر باريس لفترة قصيرة إلى مكان يتحول فيه هذا المطر إلى ثلج يتساقط مخترقاً أشجار الصنوبر فيغطي الطرقات والتلال، وعلى ارتفاع نسمع معه الجليد وهو يتكسر تحت وقع أقدامنا ونحن عائدون إلى المنزل ليلاً؛ تَحْتَ قمة لي زافان[11] يوجد فندق عائلي رائع في شاليه، وسنكون معاً برفقة كتبنا، وفي الليل سنتدفأ في الفراش معاً، والشبابيك مشرعة والنجوم لامعة. هذا هو المكان الذي يمكن أن نذهب إليه. والسفر في الدرجة الثانية بالقطار ليس غالياً. ولا تكلِّف الإقامة في الفندق العائلي إلّا أكثر بقليل ممّا ننفقه في باريس.

سأتخلى عن الغرفة التي أستأجرها في الفندق بباريس لمزاولة الكتابة، وسيبقى عليّ فقط كراء الشقة الواقعة في البناية رقم 74 في شارع كاردنال لوموان، وهو كراء ضئيل. ولقد كتبت تحقيقات



صحفيّة لتورنتو، والشيكات لقاء ذلك مستحقة الأداء. وأستطيع أن أكتب في أي ظرف آخر ولدينا من المال ما يكفي للقيام بالرحلة.

وقد أستطيع وأنا بعيد عن باريس أن أكتب عن باريس، كما استطعت في باريس أن أكتب عن مشيغان. ولم أدرك آنذاك أن الوقت مبكر للكتابة عن باريس؛ لأنني لم أكن أعرفها بما فيه الكفاية. ولكن ذلك ما حدث في نهاية المطاف. وعلى كلّ حال، سنذهب إذا أرادت زوجتي الذهاب، وأتيت على المحارات والنبيذ، ودفعت الحساب في المقهى، وعدت إلى الشقّة الواقعة في أعلى التل، سالكاً أقصر الطرق ماراً على مونتين سانت جنفييف[12] تحت المطر الذي أصبح الآن مجرد طقس محلي وليس شيئاً يغيّر حياتك.

قالت زوجتي: «أعتقد أن ذلك سيكون رائعاً حقاً، يا تاتي» وكان لها وجه لطيف، وتزداد عيناها وابتسامتها بريقاً لدى اتخاذ قرارات ما كما لو كانت تلك القرارات هدايا غالية. «متى سنغادر؟».

- «متى ما شئتِ»

- «آه أريد السفر حالاً. ألا تعرف ذلك؟»

- «ربما سيكون الطقس رائقاً وصحواً عندما نعود، فالجو يغدو جميلاً جداً عندما يكون صحواً وبارداً».

قالت: «إني متأكّدة من ذلك. أليس جميلاً منك أن تفكر في السفر كذلك؟».



2

توجيهات الآنسة شتاين[1]

عندما عدنا إلى باريس، كان الجوّ صحواً وبارداً ورائقاً. فالمدينة تكيّفت مع فصل الشتاء، وتوافرَ خشبٌ جيّد للبيع في محل الفحم والأخشاب الكائن عبر شارعنا، وثمة مجمرات خارج العديد من المقاهي الجيدة كيما يتمتّع الروّاد بالدفء في شرفاتها. وكانت شقتنا دافئة وبهيجة. وكنا نلقي في نار الخشب كُراتٍ من تراب الفحم رُصَّت في كُتلٍ شبيهة بالبيض. وكان ضوء الشتاء الساقط على الشوارع جميلاً وأخّاذاً. ولقد تعوّدت الآن على رؤية الأشجار العارية تحت السماء، وأنت تمشي في حدائق لكسمبورغ[2] على ممرات مرصوفة بالحصى غسلها المطر وسط ريح حادة صافية. وعندما تعتاد على رؤية الأشجار تبدو لك مثل منحوتات بلا أوراق، وتهب رياح الشتاء على سطوح البرك والنافورات تحت الضوء اللامع. وصارت جميع المسافات قصيرة منذ أن ذهبنا إلى الجبال.

وبسبب التغيّر في الارتفاع لم يعُد صعود التلال في باريس يضايقني، بل أصبح متعة، وصار ارتقاء السلّم إلى الطابق العلويّ في الفندق، حيث أعمل في غرفة تطلّ على سطوح ومداخن الحيّ الواقع على التل، ممتعاً كذلك. وكانت المدفأة تنفث الدخان بصورة جيّدة،



والغرفة دافئة، والعمل سارّ. وكنت أجلب معي المندرين والكستناء المحمّصة إلى الغرفة في أكياس ورقية، وأقشّر وآكل برتقالات صغيرة شبيهة بالمندرين، وأرمي قشورها وبذورها في النار، وأشوي الكستناء عندما أجوع. فأنا أشعر دائماً بالجوع بعدما أمشي أو أعمل أو عندما يكون الطقس بارداً. وكنت أحتفظ في غرفتي بقنينة من ماء الكرز جلبناها معنا من الجبال، وأتناول كأساً منه عندما أقارب نهاية قصة أو قبيل آخر عمل ذلك اليوم. وحين أنتهي من العمل أضع دفتري، أو الورق، في مجرّ المنضدة وأضع ما تبقى من المندرين في جيبي، وإلا فإنه سيتجمد إن تركته في الغرفة ليلاً.

كان يخالجني إحساس رائع وأنا أمشي نازلاً السلّم بعد أن يحالفني الحظّ في العمل. كنت دائماً أواصل العمل حتّى أتمَّ شيئاً ما، وكنت أتوقّف عندما أعرف ما الذي سيجري بعد ذلك في القصّة. وبتلك الطريقة أتأكد من استمراري في العمل في اليوم التالي. ولكن يحدث أحياناً أن أشرع في كتابة قصة ما ولا أتمكّن من التقدم فيها، فكنت أجلس أمام النار وأعصر قشور البرتقالات الصغيرة على أطراف اللهب وأشاهد الرذاذ الأزرق الذي تخلّفه. وأنتصب وأحدق في سطوح باريس، وأقول لنفسي: «لا تقلق، لقد كنت تكتب دوماً من قبل وستكتب الآن، كل ما عليك أن تفعله هو أن تكتب جملة حقيقية واحدة. اكتب أصدق جملة تعرفها». وهكذا أتمكن أخيراً من كتابة جملة حقيقية واحدة، ثم أواصل من هناك. اما كان ذلك أمراً ميسوراً؛ لأن هنالك دائماً جملة حقيقية أعرفها أو رأيتها أو سمعتُ شخصاً ما يقولها. وإذا بدأتُ الكتابة بتكلّف أو كمن يمهّد لتقديم شيء ما، شعرت بأن عليّ أن أحذف المقدمات



والزخرفات والالتواءات اللفظية، وأرمي بها بعيداً لأبدأ بأوَّل جملةٍ خبرية حقيقية بسيطة كتبتها. وفي تلك الغرفة في الطابق العلوي من الفندق، عقدت العزم على أن أكتب قصَّة عن كل شيء أعرفه. وكنت أحاول أن أفعل ذلك طوال الوقت الذي مارست فيه الكتابة. وهو تدريب جيّدٌ وقاسٍ في الوقت نفسه.

وفي تلك الغرفة أيضاً تعلّمتُ ألا أفكّر في أيِّ شيءٍ أكتب عنه ابتداء من اللحظة التي أتوقّف فيها عن الكتابة إلى الوقت الذي أستأنفها فيه في اليوم التالي. وبتلك الطريقة يُتاح لشعوري الباطني أن يعمل عليه، وفي الوقت ذاته أستطيع أن أستمع إلى الآخرين وأراقب كل شيء. كنت آمل أن أتعلّم، فأخذت أقرأ حتى لا أظلّ أفكر في عملي، وأجعل من نفسي عاجزاً عن القيام به. كان يخالجني إحساس رائع عند نزول السلّم بعد أن أنجز عملاً جيّداً، وهذا يتطلّب الحظّ والانضباط كذلك، فأشعر بأنني طليق أستطيع أن أمشي حينئذٍ أينما شئت في باريس.

كنت أسلك في كل مرّة طريقاً مختلفاً للوصول إلى حديقة لكسمبورغ، فأتمشى فيها قليلاً ثم أذهب إلى متحف لكسمبورغ الذي يضم لوحات فنية عظيمة، نُقل معظمها الآن إلى متحفَي اللوفر[3] وجي دي بوم[4]. ذهبت إلى ذلك المتحف يومياً تقريباً لأرى لوحات سيزان[5] ومانيه[6] ومونيه[7] وبقية الانطباعيين الذين تعرّفت عليهم لأول مرة في معهد الفن في شيكاغو. تعلّمت من رسم سيزان أشياء عديدة مكّنتني من الاكتفاء بكتابة عبارات بسيطة حقيقية لتضمين قصصي الأبعاد التي أتوخّاها. تعلّمت منه كثيراً، ولكنني لم أكن بليغاً بالقدر الذي يتيح لي تبيان ذلك للآخرين. إضافة إلى أنّ ذلك



سرّ لم أرد البوح به. وعندما يختفي الضوء في حدائق لكسمبورغ، فإنني أسير مخترقاً الحديقة وأتوقّف عند الشقّة التي كانت تقطنها غرترود شتاين في العمارة رقم 27 في شارع شارع فلوروس[8].

زرتُ وزوجتي الآنسة شتاين، واستقبلتنا هي وصديقتها التي تعيش معها بكثير من الترحيب والمودّة، وراقت لنا الشقّة الواسعة بلوحاتها العظيمة. كانت أشبه ما تكون بواحدة من أفخر الصالات في أفخم متحف وتمتاز عليها بموقد كبير وبكونها دافئة ومريحة؛ وأعطتانا طعاماً شهيّاً لنأكل وشاياً ومشروبات مقطّرة بصورة طبيعية من البرقوق الأرجواني والبرقوق الأصفر، أو من الفراولة البرية. وكانت هذه المشروبات الكحولية تُدار علينا من أباريق زجاجية في كؤوس صغيرة؛ وسواء أكانت هذه المشروبات من الإجاص، أو الجانرك، أو التوت، فإن لها جميعاً طعم الفاكهة التي صُنعت منها، وتتحول على لسانك إلى نار منضبطة فتدفئك وتجعلك مسترخياً.

كانت الآنسة شتاين ضخمة ولكنها ليست طويلة، وممتلئة الجسم كامرأة فلاح. ولها عينان جميلتان ووجهٌ يهودي - ألماني قويّ، يمكن أن يكون كذلك وجه امرأة من فريولانو[9]، وذكّرتني هيئتها بامرأة قروية من شمال إيطاليا، بملابسها ووجهها الحيوي وشعرها الغزير الأسود الذي تصفّفه بالطريقة نفسها منذ أن كانت في المدرسة. وكانت تتكلّم طوال الوقت، وتبدأ بالحديث عن الناس والأماكن.

وكانت رفيقتها صغيرة الجسم وغامقة السمرة، وصوتها سار جداً، وشعرها مقصوص على غرار شعر جان دارك[10]، كما تظهر



في رسوم بوته دي مونفل[11]، ولها أنف معقوف. وكانت منهمكة في تطريز قطعة قماش بين يديها عندما زرناهما أول مرة. وعند زيارتنا الأولى كانت تطرز شيئاً وتهتّم بتقديم الأكل والشراب وتتحدّث إلى زوجتي. تشارك في محادثة وتنصت إلى أخرى، وغالباً ما تقاطع المحادثة التي لا تشارك فيها. وأخبرتني فيما بعد أنها تتحدث دائماً مع الزوجات. وشعرتُ أنا وزوجتي أن الزوجات يمكن احتمالهن. غير أننا أحببنا الآنسة شتاين وصديقتها، على الرغم من أن صديقتها كانت مخيفة الطلعة. وكانت اللوحات والكعك والنبيذ جميعاً فاخرة بحق. وبدا على شتاين وصديقتها أنهما أحبتانا كذلك وعاملتانا كما لو كنا طفلين طيّبين مؤدّبين واعدين، وشعرت أنهما سامحتانا على حبنا وزواجنا - والزمن كفيل بذلك - وقبلتا دعوة زوجتي لهما لتناول الشاي معنا.

وعندما جاءتا إلى شقتنا بدا عليهما أنهما أحبّتانا أكثر، وربما يعود ذلك إلى أنّ المكان صغير ونحن أقرب بعضنا إلى بعض. جلست الآنسة شتاين على الفراش المبسوط على الأرض، وطلبت أن ترى القصص التي كتبتُها وقالت إنها أعجبتها ما عدا واحدة بعنوان (هنالك في مشيغان).

وقالت: «إنها جيدة. ليست هذه هي المسألة على الإطلاق، ولكن لا يمكن تعليقها (Inaccrochable). وهذا يعني أنها مثل لوحة يرسمها الفنان بَيد أنه لا يستطيع تعليقها عندما يقيم معرضاً، ولا يشتريها أحد لأنه لا يمكنه تعليقها هو الآخر».

- «ولكن ماذا لو لم تكن قذرة، وإنما كنت أحاول فقط أن أستعمل فيها الكلمات التي يستعملها الناس فعلاً؟ إنها الكلمات



الوحيدة التي تستطيع أن تجعل من القصة حقيقية وينبغي استعمالها، بل يجب استعمالها».

- «إنك لم تفهم المقصود بتاتاً». أجابت «يجب أن لا تكتب أي شيء لا يمكن تعليقه. إنه خطأ، وإنه لأمر سخيف».

وأخبرتني أنها تريد أن تنشر بعض نتاجها في مجلَّة **أتلنتيك** الشهرية[12]، وستنشره المجلَّة. وأعلمتني أنني لم أكُن كاتباً جيداً بما فيه الكفاية لينشر إنتاجي في تلك المجلة أو في جريدة **ذي سَتردي إيفننغ بوست**[13] ولكن ربما كنت كاتباً جديداً نوعاً ما على طريقتي الخاصَّة، غير أنَّ أوَّل شيءٍ ينبغي أن أتذكّره هو ألا أكتب قصصاً لا يمكن تعليقها. ولم أجادلها في ذلك، ولم أحاول أن أشرح لها ما الذي كنت أحاول أن أفعله بشأن الحوار في قصصي. لقد كان ذلك من شأني، والإنصات إليها أكثر إمتاعاً. وأخبرتنا عصر ذلك اليوم كذلك كيف نشتري اللوحات الفنية.

قالت: «بإمكانك أن تشتري إما الملابس وإما اللوحات. إن الأمر بهذه البساطة. وليس هنالك رجل ليس غنياً بمقدوره أن يشتري الاثنين معاً. لا تهتما بثيابكما، ولا توجّها عناية إلى الموضة مطلقاً، واشتريا ملابسكما للراحة والديمومة، وستوفران مال الملابس لشراء الصور».

وقلت «حتى لو لم أشترِ ملابس أخرى بالمرة، فإنني لا أتمكن من شراء لوحات بيكاسو[14] التي أريد».

- «لا، إنه خارج نطاق إمكاناتك. يتحتم عليك أن تشتري لوحات الرسامين الذين هم في مثل سنك - من دفْعتك في الخدمة



العسكرية - وستعرفهم. ستقابلهم في الحي. هنالك دائماً رسامون جدد جيدون. ولكن لا تشترِ كثيراً من الملابس. إنها زوجتك دائماً. فملابس النساء هي الغالية».

ولمحت زوجتي وهي تحاول أن لا تنظر إلى الملابس الغريبة الرخيصة التي كانت ترتديها الآنسة شتاين، وقد نجحت في محاولتها. وعندما غادرتا شعرتُ أننا ما زلنا من المفضلين لديهما، إذ طلبتا منا أن نأتي ثانية إلى 27 شارع فليروس.

أمّا دعوتها لي لزيارتها في شقتها بعد الساعة الخامسة في وقت الشتاء في أي يوم أشاء فقد جاءت بعد ذلك اللقاء بفترة. حدث ذلك حين التقيت الآنسة شتاين في حديقة لكسمبورغ، ولا أستطيع أن أتذكر إذا كانت تُمشّي كلبها أو لا، ولا أذكر إذا كان لها كلب آنذاك. وما أذكره على وجه التأكيد، أنني كنت أُمشّي نفسي، ما دمنا لا نستطيع في ذلك الوقت شراء كلب ولا حتى قطّة؛ والقطط الوحيدة التي كنت أعرفها هي قطط المقاهي والمطاعم الصغيرة، أو القطط الكبيرة التي كنت أنظر إليها بإعجاب وهي في شبابيك حارس العمارة. وبعد ذلك كنت غالباً ما ألتقي الآنسة شتاين مع كلبها في حدائق لكسمبورغ؛ ولكن أظن أن لقائي معها هذه المرة كان قبل أن تقتني كلباً.

بَيد أني قبلت دعوتها، مع كلب كانت أو بدون كلب؛ وأخذتُ أمرّ عليها في شقتها، وكانت تعطيني دائماً نبيذ ماء الحياة، وتلحّ في إعادة ملء كأسي، وكنت أنظر إلى لوحاتها ونتحدث. كانت اللوحات مثيرة، والحديث شيّقاً جداً. كانت هي التي تتكلم في الغالب، وحدّثتني عن الفن الحديث وعن الرسامين - بوصفهم بشراً



أكثر من كونهم رسامين - وتحدثت عن عملها. وأطلعتني على المجلدات العديدة لمخطوطة كتبتها وتقوم رفيقتها بطباعتها كل يوم. وقالت إن الكتابة يومياً تجعلها سعيدة، ولكن عندما عرفتها بشكلٍ أفضل تبيّن لي أن ما يسعدها حقاً هو نشر نتاجها الذي يتباين من يوم إلى آخر تِبعاً لنشاطها، وحصولها على اعتراف الآخرين بها.

لم يتفاقم الأمر بعد عندما عرفتها أول مرة، ما دامت قد نشرت ثلاثاً من قصصها وكانت مفهومة لجميع القراء. وإحدى هذه القصص وعنوانها **ملانكثا**[15] كانت جيّدة جداً؛ ونشرت نماذج جيدة من كتاباتها التجريبية في كتاب، وأثنى عليها النقاد الذين التقوا بها أو عرفوها. كانت لها شخصية لا تقاوم بحيث يمكنها إذا شاءت أن تكسب أيّ شخص إلى صفّها. وكان النقّاد الذين التقوا بها ورأوا لوحاتها قد وثقوا بكتاباتها وإن لم يفهموها بسبب حماستهم لها كشخص، وبسبب ثقتهم في حصافتها. وكانت قد اكتشفت عدة حقائق عن الإيقاع واستعمال الكلمات بصورة متكررة، وهي اكتشافات قيّمة، وكانت تحسن الحديث عنها.

ولكنها كانت تكره بذل الجهد في مراجعة ما تكتب وجعله مفهوماً، على الرغم من حاجتها إلى نشر نتاجها والإقبال عليه، خاصّة كتابها الطويل بصورة لا تُصدّق والموسوم بـ **صنع الأميركيين**.

بدأ هذا الكتاب بصورة فاخرة، واستمر بشكل جيد لمسافة طويلة، مُرصّعاً بمقطوعات عظيمة من النثر المتألّق الجميل، ثم سقط في تكرار مملّ لا نهاية له، كان أحرى بكاتب آخر أكثر إحساساً أن يلقي به في سلة المهملات. وتعرّفت على الكتاب جيداً عندما دعوت



- أو بالأحرى دُفعت إلى دعوة - فورد مادوكس فورد[16] إلى نشره مسلسلاً في مجلة **ذي ترانس أتلانتك رفيو**[17]، وكنت أعلم أنه سيتعدّى حياة المجلة. ولكي ينشر هذا الكتاب في المجلة، كان عليّ أن أقرأ مسوداته وأصحّحها، لأن هذا النوع من العمل لا يبعث السرور في نفس الآنسة شتاين.

وفي هذا المساء البارد وبعد أن مررت بمسكن حارس العمارة وفنائها البارد في طريقي إلى الشقة الدافئة، أخذت الآنسة شتاين تثقّفني في الجنس، فقد أصبحنا في ذلك الوقت نودّ بعضنا كثيراً؛ وكنت قد تعلمت أن لكلّ شيء لم أفهمه سبباً ذا صلة محتملة بالجنس. كانت الآنسة شتاين تظن أن ثقافتي الجنسية ليست كافية، وعليّ أن أعترف بأنني متحيِّز ضد المثلية الجنسية (اللواط) ما دمت لا أعرف عنها إلا جوانبها الأكثر بدائية. كنت أدرك آنذاك لماذا يحمل الفتي سكيناً وهو عازم على استعمالها عندما يكون في صحبة غانيات في تلك الأيام التي لم تكن فيها كلمة (ذئاب) مستعملة في اللغة الدارجة لتدل على الرجال المهووسين بملاحقة النساء. وكنت أعرف عدة مصطلحات وتعبيرات غير قابلة للتعليق منذ أيام إقامتي في مدينة كنساس[18]، كما اكتسبت أشياء إضافية من أحياء مختلفة من تلك المدينة، ومن شيكاغو وقوارب البحيرة. وفي أثناء استجواب الآنسة شتاين لي حاولت أن أخبرها أنه عندما تكون فتى بصحبة الرجال يتوجّب عليك أن تكون مستعداً لقتل رجل ما، وأن تعرف كيف تفعل ذلك، وأن تعرف أنك ستفعل ذلك من أجل أن لا يعبثوا بك. وهذا مصطلح يمكن تعليقه. وإذا كنت تعرف أنك ستقتل، فإن الآخرين سيشعرون بذلك حالاً ويتركونك وشأنك؛ ولكن هناك



مواقف معيّنة لا يمكنك أن تدع نفسك تُجبَر على فعل شيء أو توضع في الفخ. وبإمكاني أن أعبّر عن أفكاري بصورة أكثر حيوية ووضوحاً باستعمال تعبيرات لا يمكن تعليقها كان يستعملها «الذئاب» على قوارب البحيرة، مثل «هذا لا يكفي ولا بد من مرأب له». بَيد أنني كنت دائماً حذراً في استعمال لغتي مع الآنسة شتاين، حتى إن اقتضى الحال استخدام بضعة عبارات حقيقية قادرة على توضيح قصدي والإعراب بصورة أفضل عن موقفي.

- «نعم، نعم، همنغواي»، قالت الآنسة شتاين «ولكنك كنت تعيش في وسط من المجرمين والمنحرفين جنسياً».

لم أرد أن أجادلها في ذلك، على الرغم من اعتقادي أنني عشتُ في العالم كما هو، وفيه جميع أنواع الناس، وبذلت جهدي لتفهّمهم، مع أني لم أستطع أن أحبّ بعضهم، وما زلت أكره بعضاً منهم.

وسألتها: «ولكن ماذا تقولين عن ذلك الشيخ ذي الشمائل اللطيفة والاسم العظيم الذي عادني في المستشفى في إيطاليا وجلب إليّ قنينة مارسالا[19] أو كمباري[20]، وتصرّف بشكل لائق، ثم في أحد الأيام كان عليّ أن أطلب من الممرضة أن لا تدع ذلك الرجل يدخل غرفتي مرة ثانية بتاتاً؟».

- «إن هؤلاء الناس مرضى، وليس في مقدورهم مساعدة أنفسهم، وينبغي عليك أن تشعر بالشفقة نحوهم».

وسألتها: «وهل عليّ أن أشعر بالشفقة تجاه فلان؟» وذكرت اسمه، ويسره أن يذكر اسمه بنفسه، بحيث أشعر أنني لست بحاجة إلى ذِكره نيابة عنه.



- «لا، إنه شرير. إنه مفسد، وهو شرير حقاً».

- «ولكن من المفروض أنه كاتب جيد».

قالت: «إنه ليس كذلك». وأضافت: «إنه مجرد استعراضي، ويفسد الآخرين لمجرد متعة الإفساد، ويدفع الناس إلى ممارسات شريرة كذلك. المخدرات، مثلاً».

- «وفي ميلانو[21]، ألم يحاول الرجل الذي ينبغي عليّ أن أشعر نحوه بالشفقة إفسادي؟».

- «لا تكن سخيفاً. كيف يمكنه أن يأمل في إفسادك؟ هل تُفسد فتى مثلك معتاداً على الشراب، بقنينة مارسالا؟ لا، إنه عجوز يُرثى له ولا يستطيع نبذ ما يفعل. لقد كان مريضاً، ولا خيار له في ذلك، وينبغي لك أن تشفق عليه».

قلت: «لقد رثيت له في ذلك الوقت، ولكنني أُصبت بخيبة أمل لأنه كان يتحلى بشمائل لطيفة».

واحتسيتُ جرعة أخرى من نبيذ ماء الحياة، ورثيتُ للرجل العجوز، وألقيت نظرة على لوحة بيكاسو للفتاة العارية التي تحمل سلة زهور. لم أكن أنا الذي بدأت المحادثة وشعرت أنها غدت خطيرة نوعاً ما. وفي العادة لا تتخلّل المحادثات مع الآنسة شتاين أي فترات استراحة بتاتاً، ولكننا هذه المرة توقفنا، وكانت تريد أن تخبرني بأمر ما، فملأتُ كأسي.

- «إنك لا تعرف شيئاً عن ذلك في الحقيقة، يا همنغواي. التقيتَ مجرمين معروفين وأناساً مرضى ورجالاً شريرين. المهم في الموضوع هو أن اللواطة الذكورية أمر قبيح وكريه، وبعد اقترافها



يشعر الرجال بالاشمئزاز من أنفسهم. فيشربون ويتناولون المخدرات لتسكين آلامهم، ولكنهم يشمئزون من الفعل فيغيّرون دائماً شريكهم ولا يمكنهم أن يشعروا بالسعادة حقاً».

- «مفهوم».

- «بالنسبة إلى النساء، الأمر على عكس ذلك. لا يفعلن شيئاً يتقززن منه، ولا شيء منفّر، وبعد ذلك يشعرن بالسعادة، ويمكنهن أن يعشن حياة سعيدة معاً».

قلت: «مفهوم. ولكن ماذا عن فلانة؟».

- «إنها شريرة حقاً، ولهذا لا يمكنها أبداً أن تكون سعيدة إلا مع رفيقة جديدة كلّ مرة. إنها تفسد الناس».

- «فهمت».

- «هل أنت متأكد من أنك تفهم ما أقول؟».

هناك أشياء كثيرة كان عليّ أن أفهمها في تلك الأيام، وسررتُ عندما أخذنا نتحدث عن موضوع آخر. ولدى عودتي وجدت المنتزه مغلقاً، ولهذا كان عليّ أن أسير محاذاته إلى شارع فوجيرار[22]، وأستدير حول نهايته السفلى. إنه لمن المحزن أن يكون المنتزه مغلقاً ومقفلاً. وشعرتُ بالحزن وأنا أسير حوله بدلاً من التمشّي في داخله، وأنا أحثّ الخطى في طريق العودة إلى منزلي الكائن في شارع الكاردنال لوموان. وكان النهار قد بدأ رائعاً أيضاً، وعليّ أن أعمل بجد غداً. فالعمل يستطيع أن يشفي كلّ شيء تقريباً. وهذا ما كنت أعتقده آنذاك وما أعتقده الآن. وانتهيت إلى أنّ الآنسة شتاين تشعر بأن ما يجب عليّ أن أُشفى منه هو الشباب وحبي لزوجتي.



وفارقني الشعور بالحزن عندما وصلت إلى منزلي في شارع الكاردنال لوموان وأخبرت زوجتي عن المعرفة الجديدة التي اكتسبتها مؤخراً. وفي الليل كنا سعيدين بمعرفتنا القديمة، وبالمعرفة الجديدة الأخرى التي حصلنا عليها في الجبال.




مكتبة
الفكر الجديد

3

جيل ضائع

كان من السهل التعوّد على التوقّف عند 27 شارع فليريس عصراً للتمتّع بالدفء ومشاهدة اللوحات العظيمة وتجاذب أطراف الحديث. وغالباً ما كانت الآنسة شتاين بدون ضيوف، وترحّب بي دوماً، وظلّت ودودة معي وقتاً طويلاً. وعندما كنت أعود من السفرات التي أقوم بها لحضور المؤتمرات السياسيّة المتنوعة أو لزيارة الشرق الأدنى أو ألمانيا لفائدة الجريدة الكندية، ووكالات الأنباء التي كنت أعمل لحسابها، كانت الآنسة شتاين تريدني أن أخبرها بجميع التفاصيل المسلّية، فهناك دائماً أمور مضحكة تحبّها وقصص من نوع ما يسمّيه الألمان بـ«سخرية المشانق». وكانت ترغب في الاطّلاع على الوجه الضاحك من العالم، وليس الوجه الحقيقيّ، ولا الوجه السيّئ أبداً.

كنت شاباً، ولم أكن كئيباً، وكانت تحدث دائماً أشياء غريبة وفكاهية في أسوأ الأوقات وتحب الآنسة شتاين سماعها. أما الأشياء الأخرى فلم أتحدّث عنها إليها، بل كنت أكتبها بنفسي.

وعندما لم أكن قد رجعت من رحلة ما، وأتوقف في شارع فليريس بعد العمل، أحاول أن أحمل الآنسة شتاين على الكلام عن



الكتب. وحين أكتب فإن من الضروري أن أقرأ بعد الكتابة؛ لأنك إذا واصلت التفكير في ما تكتب فإنك ستفقد الشيء الذي تكتب عنه قبل أن تستطيع الاستمرارَ فيه في اليوم التالي. ومن اللازم أن تتريّض بدنياً، وأن ينال التعب من جسدك، وأن تمارس الحبّ مع مَن تحب. فذلك أفضل من أي شيء آخر. ولكن بعد ذلك، عندما تكون فارغاً، يجب أن تقرأ لئلا تفكِّر في عملك أو تقلق عليه، حتى تستطيع القيام به مرة أخرى. كنت قد تعلّمت أن لا أنزح بئر كتابتي برمته، بل أتوقف دائماً وفي قعرِ البئر شيء ما، وأدعه يمتلئ في الليل من الينابيع التي ترفده.

ولكي أنأى بفكري عن الكتابة بعد العمل، كنت أقرأ أحياناً للأدباء الذين يكتبون آنذاك، من أمثال ألدوس هكسلي[1] و د. هـ. لورنس[2]، أو أي أديب آخر له كتب منشورة أستطيع اقتناءها من مكتبة سلفيا بيتش[3] أو أعثر عليها على رصيف شاطئ نهر السين.

- «هكسلي رجل ميت». قالت الآنسة شتاين «لماذا تريد أن تقرأ لرجل ميت؟ ألا تستطيع أن ترى أنه ميت؟».

لم أستطع آنذاك أن أعدّه رجلاً ميتاً، وقلت لها إن كتبه أمتعتني وأبعدتني عن التفكير.

- «يجب أن تقرأ ما هو جيّد حقاً، أو ما هو سيّئ صراحة».

- «إنني أقرأ كتباً جيدة حقاً طوال هذا الشتاء، وخلال الشتاء الماضي، وسأقرأها في الشتاء القادم، ولا أحب الكتب السيئة صراحة».

- «لماذا تقرأ، يا همنغواي، هذا الكلام الفارغ؟ كلام فارغ مبالغ فيه كتبه رجل ميت».



- «أودّ أن أطلع على ما يكتبون، وهذا يجعل فكري يبتعد عن تكرار ما يفعلون».

- «ولأي كاتب آخر تقرأ الآن؟».

- «د. هـ. لورنس، لقد كتب بعض القصص القصيرة الجيدة، وإحداها بعنوان **الضابط البروسي**».

- «حاولت أن أقرأ رواياته، ولكنه لا يُطاق. إنه مُحزن ومنافٍ للطبيعة. يكتب مثل رجل مريض».

قلتُ: «أعجبتني روايته **أبناء وعشاق** وكذلك **الطاووس الأبيض** التي قد لا تكون بجودة الرواية الأولى نفسها. ولم أستطع قراءة روايته **نساء عاشقات**».

- «إذا كنت لا تريد أن تقرأ ما هو سيّئ، وتريد أن تقرأ شيئاً يستولي على اهتمامك، شيئاً رائعاً في حدّ ذاته، فعليك أن تقرأ ماري بيلوك لاوندس[4]».

لم أكن قد سمعت بها، فأعارتني الآنسة شتاين (النزيل)، تلك القصة الرائعة عن جاك السفاح[5]، وكتاباً آخر عن جريمة قتل وقعت في مكان خارج باريس لا يمكن أن يكون إلا إنغاين لي بان[6]. ويوفر كلا الكتابين قراءة ممتعة بعد العمل، فالشخوص واقعيون والرعب ليس زائفاً أبداً. والكتابان ملائمان تماماً لتمضية الوقت بعد أن تكون قد انتهيت من العمل، ولهذا قرأت جميع مؤلفات السيدة بيلوك لاوندس التي وقعت تحت يدي. ولكن عدد كتبها محدود وليس فيها ما هو بمثل جودة الكتابين الأولين. ولم أجد شيئاً مناسباً لأوقات فراغي في النهار أو الليل حتى ظهر أول كتب سيمنون[7] القيمة.



أظن أن الآنسة شتاين كانت ستحب كتب سيمنون الجيدة - وأول كتاب قرأتُه له إما **هويس القناة رقم 1** أو **منزل القناة** - ولكني لست متأكداً؛ لأنني عندما تعرّفت على الآنسة شتاين لم تكن تميل إلى القراءة بالفرنسية على الرغم من أنها كانت تحب التحدث بها. وجانيت فلانر[8] هي التي أعارتني أول كتابين قرأتهما لسيمنون عندما كان مراسلاً صحفياً يتولى تغطية أخبار الجرائم.

وخلال السنوات الثلاث أو الأربع التي ربطتني فيها صداقة حميمة مع غيرترود شتاين، لا أذكر أنها تحدّثت بالخير عن أي كاتب لم يكتب بإطراء عن أعمالها الأدبية أو يفعل شيئاً ما لازدهار عملها فيما عدا رونالد فيربانك[9]، وفيما بعد سكوت فيتزجيرالد[10]. وحين التقيتها أول مرَّة، لم تتحدث عن شيروود أندرسون[11] بوصفه كاتباً، وإنّما أثنت عليه باعتباره رجلاً، وأطرت عينيه الإيطاليتَين الواسعتَين الجميلتَين الدافئتَين، ولطفه وسحره كذلك. وأنا لا تهمّني عيناه الإيطاليتان الواسعتان الجميلتان الدافئتان بقدر ما أعجبتني بعض قصصه القصيرة. فقد كُتِبت ببساطة، وأحياناً بصورة أخّاذة، وكان يعرف الأناس الذين يكتب عنهم ويعنى بهم من أعماقه. والآنسة شتاين لم تكن تريد أن تتحدث عن قصصه وإنما كانت تتحدث دوماً عن شخصه.

وسألتها: «وماذا عن رواياته؟» ولكنها لم تشأ أن تتحدث عن أعمال أندرسن بأكثر ممّا تتحدث عن جويس. فإذا ذكرت جويس مرتَين في حضرتها فإنك لن تُدعى مرَّة أخرى إلى منزلها؛ لأنك بذلك كمن يثني على جنرال عسكري أمام جنرال آخر. وقد تعلَّمتَ أن لا تفعل ذلك بعد أن وقعتَ في المحذور أول مرَّة. والجنرال الذي



تتحدث إليه سيثني كثيراً على الجنرال الذي انهزم أمامه، ويسعده أن يتكلم بالتفصيل عن كيفية انتصاره عليه.

كانت قصص أندرسون جيّدة جداً بحيث لا يمكن أن تكون موضوعاً لمحادثة سارَّة. كنت مستعداً لأخبر الآنسة شتاين كم هي غثّة رواياته، ولكن ذلك أمر سيّئ كذلك؛ لأنّه يتضمَّن نقداً موجَّهاً لواحدٍ من أكثر أنصارها إخلاصاً. وعندما كتب آخر رواياته وتدعى ضحكة معتمة ألفيتها رديئة وسخيفة ومفتعلة بصورةٍ فظيعةٍ لدرجة أنه لم يسعني إلّا أن أنقدها بتهكُّم وسخرية. وغدت الآنسة شتاين في غاية الغضب؛ لأنني هاجمت شخصاً يشكّل جزءاً من جهاز دعايتها. غير أنها لم تكُن غاضبة قبل ذلك ولوقتٍ طويل. وهي، نفسها، أخذت تكيل المديح بسخاء لشيروود بعد أن انهار ككاتب.

كانت غاضبة على عزرا باوند[12]؛ لأنَّه جلس بسرعة على مقعدٍ صغيرٍ هزيل لا يُركن إليه وغير مريح، ومن الممكن جداً أنه أُعطي له لغاية ما، وقد خلخله أو كسره. أمّا كونه شاعراً عظيماً ورجلاً لطيفاً كريماً، وأنه وضع نفسه في مكانٍ يليق بحجمه الطبيعي، فليس لذلك أيّ اعتبار لديها. وقد اخترعت بصورة حاذقة وخبيثة أسباب كرهها لعزرا باوند بعد سنوات عديدة.

كان ذلك بعدما عُدنا من كندا وكنا نعيش في شارع نوتردام دي شان[13]، وكنت والآنسة شتاين ما زلنا صديقَين حميمَين، في ذلك الوقت أدلت الآنسة شتاين بمقولتها عن الجيل الضائع. كان لديها بعض المشاكل في نظام التشغيل بالسيّارة التي كانت تقودها وهي من نوع فورد تي[14] القديم، ولم يكُن الشاب المكلَّف بإصلاحها في الكراج، والذي كان قد اشترك في الحرب خلال السنة الأخيرة،



بارعاً في المهنة، أو ربّما لم يخرق أولوية السيارات الأخرى ويباشر إصلاحَ سيّارة الآنسة شتاين الفورد. وعلى أيٍّ حال، فإن الآنسة شتاين لم تعدّه جادّاً وشكته لصاحب الكراج الذي أنّبه بقسوة قائلاً له: «إنكم جميعاً جيل ضائع».

- «هذا هو شأنكم. هكذا أنتم جميعاً». قالت الآنسة شتاين «جميعكم أنتم الشباب الذين شاركتم في الحرب. إنكم جيل ضائع».

قلت لها: «حقاً؟».

- «نعم». أصرّت قائلة: «إنكم لا تحترمون أيَّ شيء، وتهلكون أنفسكم بالشراب..»..

فسألتها: «هل كان الميكانيكي الشاب سكران؟».

- «طبعا لا».

- «هل رأيتِني أنا سكران؟».

- «لا، ولكن أصدقاءك يسكرون».

قلت: «لقد حدث أن سكرت، ولكنني لا آتي إلى هنا وأنا سكران».

- «طبعاً لا. لم أقل ذلك».

قلت: «من المحتمل أن يكون صاحب الكراج ثملاً قبل الساعة الحادية عشرة صباحاً؛ ولهذا استطاع أن ينطق بمثل تلك العبارات البديعة».

- «لا تجادلني، يا همنغواي، فذلك لا ينفع أبداً». وأضافت قائلة: «أنتم جميعاً جيلٌ ضائع، كما قال صاحب الكراج بالضبط».

وبعد ذلك، عندما كتبتُ روايتي الأولى حاولت أن أوازن



اقتباس الآنسة شتاين من صاحب الكراج باستشهاد من الطقوس الكنسية. ولكن تلك الليلة وأثناء عودتي إلى المنزل ماشياً، أخذتُ أفكر في ذلك الفتى في الكراج وفيما إذا كان قد حدث له في الحرب أن نُقل في إحدى تلك العربات التي حُوِّلت إلى سيارات إسعاف. وتذكَّرت كيف كانوا يحرقون مكابحها أثناء الهبوط بها على جانب الجبل وهي محمَّلة تماماً بالجرحى، ثم ينتهي بهم الأمر إلى وضع ناقل السرعة على موضع السير إلى الوراء للتقليل من سرعة انحدارها، وكيف أن العربات الأخيرة قُيِّدت فارغة على جانب الجبل لتستبدل بها سيارات فيات كبيرة لها تروس متينة وصنعت مكابحها بأكملها من المعدن الخالص. وفكّرت في الآنسة شتاين وشيروود أندرسون والغرور والكسل الذهني في مقابل التواضع والانضباط. وتساءلت مَن الذي يسمّي مَن بالجيل الضائع؟ ثم، وبينما كنت متجهاً إلى مقهى بستان الليلك والضوء مسلطاً على صديقي القديم، تمثال المارشال نيي[15] وهو مستلّ سيفه، وظلال الأشجار على التمثال البرونزي، وهو ينتصب وحيداً هناك ولا أحد خلفه، والفشل الذريع الذي مُني به في معركة واترلو، فكّرت أن الأجيال جميعها كانت أجيالاً ضائعة لسببٍ أو آخر، وهي ضائعة اليوم، وستكون ضائعة في المستقبل؛ وتوقفتُ عند المقهى لأمنح رفقتي للتمثال وأشرب بيرة باردة قبل الذهاب إلى المنزل عبر المنشرة (معمل نشر الخشب). وبينما كنت جالساً وبيدي البيرة، وأنا أراقب التمثال وأتذكر كم يوماً حارب نيي شخصياً، وهو في مؤخرة الجيش أثناء الانسحاب من موسكو بعد أن عاد نابليون بعربة برفقة الجنرال كولنكور[16]، فكّرت أية صديقة دافئة وودود كانت الآنسة شتاين،



وما أجمل ما قالته عن الشاعر أبولينير[17] وعن موته يوم الهدنة عام 1918 وكانت الجماهير تهتف (فليسقط غيوم[18])، وظنَّ أبولينير وهو في سكرات الموت أنهم يهتفون ضده، وعقدتُ العزم على أن أخدمها، وأن أتأكد أنها تنال ما تستحق على العمل الجيد الذي أنجزَتْه ما دام ذلك في ميسوري، ولهذا ساعدني يا ربي وساعد مايك نيي. ولكن فليذهب حديثها عن (الجيل الضائع) وكلُّ الشعارات الرخيصة القذرة إلى الجحيم. وعندما وصلتُ إلى العمارة حيث أقطن وولجت في ساحتها وارتقيت السلَّم إلى بيتي ورأيت زوجتي وابني وقطته (ف. بوس)، وكلهم سعداء والنار في الموقد، قلت لزوجتي: «أتدرين أن غرترود امرأة لطيفة، على كل حال؟».

- «طبعاً، يا تاتي».

- «ولكنها تقول كثيراً من الكلام الفارغ أحياناً».

- «لا أسمعها بتاتاً». قالت زوجتي «فأنا زوجة، وصديقتها هي التي تتحدث معي».



4

أهل السين

توجد عدة طرق للنزول إلى النهر من أعلى شارع الكاردنال لوموان، أقصرها الهبوط مباشرة في الشارع ذاته، ولكن هذا الطريق شديد الانحدار، ويوصلك بعد أن تقطع جزأه الحافل بالشقق وبداية شارع سان جرمان المليء بالحركة إلى جزء كئيب حيث توجد قطعة معزولة من ضفة النهر تعبث بها الريح، ويقع مخزن النبيذ على يمينك. وهذا المخزن لا يشبه أياً من أسواق باريس الأخرى، فقد كان محتجزاً للجمارك تُخزَّن فيه الخمور لحين دفع الضرائب عليها، ويبدو كئيباً من الخارج مثل مستودعٍ عسكري أو معسكرٍ اعتقال.

وفي الناحية الثانية من فرع السين تقع جزيرة سان لوي، بشوارعها الضيقة ومنازلها العتيقة العالية الجميلة، ويمكنك أن تعبر إلى هناك أو تستدير إلى اليسار لتمشي بمحاذاة ضفة النهر، بحيث تكون جزيرة سان لوي[1] وكاتدرائية نوتردام[2] وجزيرة المدينة[3] في الجانب المقابل.

وفي أكشاك الكتب المنتشرة على رصيف النهر، يمكنك أن تجد أحياناً كتباً أميركيةً حديثةَ الصدور تُباع بأسعارٍ رخيصة جداً. ففي تلك الأيام كان لمطعم البرج الفضّي[4] بضعة غرف في الطابق



العلوي للإيجار، يُعطى نزلاؤها تخفيضاً على ما يأكلون في المطعم؛ وإذا ترك النزلاء أيَّ كُتب خلفهم، فإنّ الخدم يبيعونها إلى كشك الكتب الكائن على الرصيف غير بعيد عنهم، ولك أن تشتريها من صاحبة الكشك لقاء فرنكات قليلة، فهي لا تثق بالكتب المدونة بالإنجليزية، ولأنها لا تدفع شيئاً تقريباً لقاءها، وتكتفي بربح قليل وسريع.

وسألتني بعد أن أصبحنا صديقَيْن: «هل هذه الكتب ذات نفع»؟.

– «أحياناً واحد منها».

– «كيف يستطيع المرء أن يعرف ذلك؟».

– «أستطيع أن أعرف عندما أقرأها».

– «ولكن سيبقى الأمر نوعاً من المقامرة. وكم من الناس يستطيع قراءة اللغة الإنجليزية؟».

– «احتفظي بها لي ودعيني ألقي نظرة عليها».

– «لا، لا أستطيع ادِّخارها، فأنت لا تمرّ بصورة منتظمة، وتتغيب لفترة طويلة في كلِّ مرَّة. عليّ أن أبيعها بأسرعِ ما يمكن. ولا أحد يستطيع أن يعرف إذا كانت لا قيمة لها. فإذا تبيَّن أنها ليست ذات فائدة، فلن أستطيع بيعها أبداً».

– «وكيف تعرفين الكتاب الفرنسي القيّم؟».

– «أوّلاً هناك الصور. ثم مسألة نوعية الصور. ثمَّ هناك التجليد. فإذا كان الكتاب جيّداً، فإن صاحبه سيجلِّده بشكلٍ لائق. كل الكتب الإنجليزية مجلَّدة ولكنه تجليد سيئ، ولا سبيل للحكم على جودتها».

وبعد ذلك الكشك القريب من مطعم البرج الفضي لا توجد



أكشاك أخرى تبيع الكتب الأميركية أو الإنجليزية حتى تصل رصيف غراند أوغستان[5]. ومن هناك وإلى ما بعد رصيف فولتير، توجد عدّة أكشاك تبيع تلك الكتب التي تُشتَرى من مستخدَمي الفنادق القائمة على الضفة اليسرى من النهر، وخاصة فندق فولتير[6] الذي يؤمّه الزبائن الأغنى. وفي يوم من الأيام، سألت صاحبة كشك أخرى وكانت صديقتي كذلك، عمّا إذا كان أصحاب الكتب هم الذين يبيعونها:

قالت: «لا، إنهم يرمونها. ولهذا يمكن للمرء أن يعرف أنها لا قيمة لها».

- «ربما يعطيها لهم أصدقاؤهم لقراءتها في البواخر».

قالت: «لا شك في ذلك. ولا بدّ أنهم يتركون الكثير منها في البواخر».

- «وهو كذلك. وتحتفظ شركة النقل بهذه الكتب وتجلّدها لتكوّن مكتبات البواخر».

قالت: «هذا عمل ذكيّ، على الأقل يجلّدونها بشكل لائق، وهكذا تغدو لذلك الكتاب قيمة».

اعتدت على التمشّي على رصيف النهر بعد أن أنتهي من العمل أو عندما أفكر في موضوع ما. فمن الأيسر عليّ أن أفكر وأنا أمشي أو أفعل شيئاً ما أو أتطلّع إلى الناس وهم يفعلون شيئاً يفهمونه. وفي رأس جزيرة المدينة وتحت الجسر الجديد[7] حيث ينتصب تمثال هنري الرابع تنتهي الجزيرة في نقطة شبيهة بانحناء سفينة حادّ؛ ويوجد منتزه صغير على جرف النهر وفيه أشجار كستناء ضخمة ومنتشرة الأغصان، وفي مجرى الماء وفي البرك المحاذية لنهر السين، توجد



أماكن ممتازة لصيد السمك. فأنت تهبط السلّم إلى المنتزه وتراقب الصيادين هناك وتحت الجسر. وتتغيّر البقع الجيّدة لصيد السمك بتغيّر منسوب مياه النهر. ويستعمل الصيّادون عصا طويلة من الخيزران ذات مفاصل ولها سلك دقيق يلتفُّ على مكوك خفيف؛ ويقومون بنشر الطعم بمهارة في بقعة الماء التي يصطادون فيها. وكانوا دائماً يصيدون شيئاً من السمك المسمى بالغجوم[8]، وهو نوع من السمك النهري مكتنز الجسم وأطيب مذاقاً من السردين الطري، ويغدو لذيذ الطعم عندما يُقلى كاملاً، وأستطيع أن آكل منه ملء الصحن، ويؤكل عادة بأكمله مع عظامه الناعمة.

ومن أفضل الأماكن لتناول هذا السمك مطعمٌ مُقام في الهواء الطلق على ضفة النهر في منطقة با مودون[9]، ونذهب إليه عادة عندما يتوفّر لدينا المال ونرغب في القيام بنزهة بعيداً عن حارتنا. ويسمى هذا المطعم بـ«الصيد العجيب»[10]، ويقدم نبيذاً أبيض رائعاً هو نوع من الموسكادي[11]. واسم المطعم مقتبس من قصة لموباسان[12] ويطلّ على منظر نهريّ يشبه لوحة من لوحات سيسلي[13]. ولا يتحتّم عليك أن تذهب بعيداً لتأكل سمك الغجوم، فبمقدورك أن تحصل على هذا السمك مقليّاً بصورة جيدة في جزيرة سان لوي.

تعرّفت على كثير من الرجال الذين كانوا يمارسون صيد السمك في الأماكن المثمرة من نهر السين بين جزيرة سان لوي وساحة فير غالان[14]، وأحياناً، عندما يكون الجو صحواً، كنت أشتري ليتراً من النبيذ ورغيفَ خبز وبعض النقانق، وأجلس في الشمس وأقرأ أحد الكتب التي حملتها معي وأشاهد الصيّادين.



لقد وصف مؤلفو كتب الرحلات الرجال الذين يصطادون السمك في نهر السين وكأنَّهم حمقى لا يصيدون شيئاً، ولكن الصيد هناك عملٌ جدّي ومنتج. فمعظم الصيادين متقاعدون ذوو رواتب تقاعدية محدودة، لم يعرفوا آنذاك أنها ستمسي لا قيمة لها مع التضخّم، أو رجالٌ يمارسون الصيد طوال النهار أو لنصف نهار بعد العمل. وثمة صيد أفضل في شارنتون[15]، حيث يصبّ نهر المارن[16] في نهر السين، وعلى جانبي باريس، ولكنْ هناك صيد جيّد كذلك في باريس نفسها. ولم أقُم بالصيد في باريس لأنني لم أتوفّر على عدّة الصيد وأفضّل أن أدّخر نقودي لأتمكن من صيد السمك في إسبانيا. وكذلك لأني لم أعرف أبداً في ذلك الوقت متى سأنتهي من عملي، ولا متى يمكنني مغادرة مكتبي، ولم أُرد أن أتقيَّد بصيد السمك الذي له أوقاته الجيّدة وأوقاته الرديئة. ولكنني كنت أتابعه من كثب، فمن الممتع والمفيد أن أعرف عنه، ويسعدني دائماً وجود رجال يصيدون السمك في المدينة ذاتها. وله مردود جدّي ويعودون منه إلى أسرهم بشيء من السمك الصغير.

لم يكن بوسعي أن أشعر بالوحدة على شاطئ النهر مطلقاً وأنا محاط بصيّادي السمك، وأشاهد الحركة في النهر، ومراكب الشحن الجميلة والحياة الخاصة على متنها، وسفن القَطر ومداخنها العالية التي تُطوى إلى الخلف للمرور تحت الجسور، وهي تجرُّ المراكب خلفها، وأشجار الدرداء على ضفاف النهر الصخرية، وأشجار الدلب، وأشجار الحور المنتشرة في أماكن متفرّقة. وبسبب وجود أشجار كثيرة في المدينة، يمكنك أن ترى الربيع وهو يقترب كل يوم حتى تهبَّ ريح دافئة ذات ليلة وتجلبه معها فجأة في صباح واحد.



وأحياناً يتراجع الربيع أمام الأمطار الباردة الغزيرة حتى ليُخيَّل إليك أنه لن يأتي أبداً وأنك ستخسر فصلاً من حياتك. وذلك هو الوقت الحزين الوحيد في باريس لأنه ليس طبيعياً. توقّعتَ أن تكون حزيناً في الخريف، حيث يموت جزء منك كلَّ عام عندما تتساقط الأوراق من الأشجار التي تتعرّى أغصانها بفعل الرياح والضوء الشتائي البارد. بيدَ أنك تدرك أن الربيع سيحلّ دائماً، كما تعرف أن النهر سيجري مرة أخرى بعد أن يتجمّد. وعندما يتواصل هطول الأمطار الباردة وتقضي على الربيع، تشعر كأن فتى يافعاً مات بلا سبب.

في تلك الأيام، وعلى الرغم من أن الربيع كان يأتي آخر الأمر فإن من المريع أن يُشرف على الفشل في محاولته الوصول إلينا.



5

ربيع زائف

عندما يأتي الربيع، وإن كان ربيعاً زائفاً، فإنه لا توجد مشاكل ما عدا اختيار المكان الذي نسعد فيه أكثر من غيره. والشيء الوحيد الذي يمكن أن يفسد عليك يومك هو الناس، وإذا كان بمقدورك أن تتحاشى الالتزام بمقابلتهم فإنَّ كلَّ يوم من أيامك يغدو بلا حدود. فالناس هم الذين يضعون دائماً حدوداً للسعادة باستثناء القليل منهم الذين لهم طيبة الربيع نفسه.

وفي أيام الربيع كنت أعمل في الصباح الباكر وزوجتي لا تزال نائمة؛ والنوافذ مشرعة، وأرصفة الشوارع لمّا تجفّ بعد من أثر المطر، وكانت الشمس تنشّف وجوه المنازل المواجهة لنافذتنا، والدكاكين ما زالت مغلقة. ووصل راعي المعز إلى شارعنا وهو ينفخ مزماره، وخرجت امرأة كانت تقطن في الطابق الذي فوقنا إلى الرصيف وهي تحمل قِدْراً كبيراً. واختار راعي المعز معزة سوداء لها ضرع كبير وحلبها في القِدر، في حين كان كلبه يدفع بقية المعزات إلى الرصيف. وأخذت المعزات في النظر إلى ما حولها وهي تدير رقابها مثل أولئك الذين يشاهدون المناظر الطبيعية. وتناول الراعي النقود من السيدة وشكرها ثم واصل سيره في الشارع وهو يعزف على مزماره، والكلب



يسوق المعزات أمامه، وقرونها تهتزّ. واستأنفتُ الكتابة، وصعدت السيدة السلّم ومعها حليب المعز. وكانت تلبس حذاء ذا نعل ناعم ولم أسمع سوى تنفُّسها عندما توقّفت على السلّم عند بابنا ثم سمعت انغلاق بابها. وكانت هي الزبونة الوحيدة لراعي حليب المعز في عمارتنا.

قرّرتُ أن أنزل لشراء صحيفة سباق الخيل الصباحيّة. ولا توجد حارة، مهما كانت فقيرة، لا تباع فيها نسخة على الأقل من صحيفة سباق الخيل. ولكن عليك أن تشتريها مبكراً في يوم كهذا. ووجدت نسخة من تلك الصحيفة في شارع ديكارت[1] عند زاوية ساحة (كونتر إسكارب). والتقيت المعزات وهي تسير في شارع ديكارت. واستنشقتُ الهواء وعدتُ بسرعة لأرتقي السلّم وأنجز عملي. وراودتني رغبة البقاء في الخارج ومتابعة المعزات في الشارع في ذلك الصباح الباكر. ولكن قبل أن أستأنف عملي ألقيت نظرة على الصحيفة. كان السباق سيجري في إنغهاين، وهي حلبة صغيرة جميلة كانت تعدّ جنّة الفَرَس ضئيل الحظ في الفوز.

وهكذا، بعد أن انتهيت من العمل ذلك اليوم، كنا سنذهب إلى حلبة السباق. فقد وصلني شيء من المال من جريدة تورنتو[2] التي أنجزتُ بعض التحقيقات الصحفية لفائدتها. وكنا بحاجة إلى استشارة إن وجدناها. وذات مرة راهنت زوجتي في حلبة أوتي[3] على جواد يُسمى بـ«العنز الذهبي»[4] وبلغت نسبة أرباحه المحتملة مائة وعشرين مقابل واحد، وكان متقدِّماً في السباق بعشرين مسافة عندما سقط في القفزة الأخيرة وذهب معه من المال ما يكفينا ستة أشهر. وحاولنا ألّا نتذكر ذلك أبداً، فقد كنا في وضع ماليّ جيّد ذلك العام حتى سقط العنز الذهبيّ.



وسألتني زوجتي: «هل لدينا المال الكافي حقاً للرهان، يا تاتي؟».

- «لا، ولكن سنراهن بالمبلغ الذي نأخذه معنا فقط. هل هنالك شيء آخر تودين إنفاق المال عليه؟».

قالت: «حسناً، . .». .

- «أعرف. أننا في ضائقة منذ مدَّة، وكنت أقتّر عليك».

قالت: «لا، ولكن. .». .

أعرف كم كنت قاسياً وكيف كانت الأحوال سيئة. إنَّ مَن يقوم بعمله ويشعر بالرضا عنه لا يزعجه الفقر. كنت أتمنى أن يكون لنا حوض الاستحمام (البانيو) والدُش والمرحاض العصريّ أسوة بأناس أقلّ منزلة منا يتوفّرون عليها، وهي أشياء نتمتّع بها عندما نسافر، وكثيراً ما نسافر. كان هنالك دائماً الحمّام العمومي في آخر الشارع قرب النهر. ولم تشتكِ زوجتي أبداً ولا مرّة واحدة في حين بكت عندما سقط العنز الذهبي. أذكر أنها بكت على الجواد وليس على المال. تصرفتُ بغباء عندما احتاجتْ إلى سترة صوفيّة رماديّة اللون ولكنها أعجبتني كثيراً بعد أن اشترتها. وتصرفتُ بغباء بشأن أشياء أخرى كذلك. وكانت تصرّفاتي جميعها جزءاً من معركتي ضد الفقر، وهي معركة لا تكسبها إلا بعدم الإنفاق، خصوصاً إذا كنتَ تقتني اللوحات بدلاً من الملابس. ولكننا آنذاك لم نفكر بأننا فقراء. لم نقبل تلك الفكرة. كنا نعتقد أننا أرفع منزلة من أولئك الأغنياء الذين نحتقرهم ولا نثق بهم، ونحن محقّون في ذلك. ولم يبدُ لي غريباً أن ألبس كنزة بدلاً من الملابس الداخلية للدفء، فذلك يبدو شاذّاً للأغنياء فقط. كنا نأكل جيّداً وبثمن بخس،



ونشرب جيّداً وبثمن بخس، وننام جيداً، ونتدفأ معاً، ويحبُّ أحدنا الآخر.

قالت زوجتي: «أظن أنه حان الوقت لذلك، فنحن لم نذهب إلى حلبة السباق منذ وقت طويل. سنأخذ غداءنا وشيئاً من النبيذ معنا. سأعدّ شطائر لذيذة».

- «سنذهب بالقطار، فذلك أرخص. ولكن لنبقَ إذا كنتِ تفضلين ذلك، فأيّ شيء نفعله اليوم سيكون ممتعاً، فهو يوم رائع».

- «أرى أنه ينبغي أن نذهب».

- «ألا تفضلين أن تنفقي النقود على شيء آخر؟».

- «لا»، قالت بشَمَم، وكان لها خدان بارزان جميلان يناسبهما الشمم. وأضافت: «مَن نحن، على أي حال؟».

وهكذا توجّهنا بالقطار من محطة الشمال مخترقين أوسخ أحياء المدينة وأكثرها كآبة، ثم مشينا من محطة الوصول إلى حلبة السباق. كنا مبكرين، فوضعت معطفي المطري على العشب الندي وجلسنا عليه وتناولنا غداءنا وشربنا من قنينة النبيذ، ونحن ننظر إلى المدرج القديم، وأكشاك الرهان الخشبيّة البنيّة اللون، والعشب الأخضر الذي ينمو بين مسارات حلبة السباق ويزداد اخضراراً عند الحواجز الخشبيّة، والبرك ذات الماء اللامع التي يتعيّن على الخيول أن تثب فوقها، والجدران الحجريّة المطليّة باللون الأبيض، ومواقف الخيول وقضبانها البيضاء المقامة تحت الأشجار المورقة حديثاً، وقد أخذت أوائل الخيول تَفِدُ إليها. وشربنا مزيداً من النبيذ، ودرسنا عناصر السباق في الجريدة، ثم استلقت زوجتي على معطفي المطري لتنام والشمس ترسل أشعتها إلى وجهها. وذهبتُ



لأجد شخصاً كنت أعرفه منذ أيام سان سيرو[5] في ميلانو، وأعطاني اسمَي جوادين:

- «تذكّرْ أنهما ليسا استثماراً هاماً، ولكن لا تدع الثمن يثبّطك».

وربحنا الأول بنصف المال الذي كان يتعيّن علينا إنفاقه، ودفع لنا اثني عشر مقابل واحد، وكان يثب بصورة جميلة، وظلّ في طليعة السباق، وبلغ النهاية متقدّماً بأربع مسافات. وادّخرنا نصف ما ربحنا ووضعناه جانباً، ثم راهنّا بالنصف الثاني على الحصان الآخر، الذي انطلق في المقدمة طوال الميدان واثباً فوق الحواجز، محتفظاً بتقدّمه على الأرض المنبسطة كذلك، ولكن قبيل خط النهاية تقدّم عليه الحصان المفضّل وهما تحت لهيب السياط.

وذهبنا لتناول كأس من الشمبانيا في الحانة الواقعة تحت المدرَّج منتظرين إعلان النتائج.

وقالت زوجتي: «يا إلهي، إن السباق شديد الوطأة على الناس. أرأيت كيف تقدّم عليه ذلك الحصان؟».

- «ما زلت أحسّ بذلك في أعماقي».

- «ما الربح الذي سيحقّق؟».

- «ثمانية عشر لواحد طِبْقاً للجدول. ولكن ربما راهن عليه الناس كثيراً في الأخير».

ومرّت الخيول، وكان جوادنا مبتلاً، ومنخراه يتّسعان ليتنفس، والفارس (الجوكي) يربت عليه.

وقالت زوجتي: «المسكين. نحن نراهن فقط».



وراقبنا الخيول تمرّ بالقرب منا، وتناولنا كأساً أخرى من الشمبانيا، ثم أعلنت أسعار الأرباح: 85. وهذا يعني أنّ الجواد الرابح يدرّ 85 فرنكاً لكل عشرة فرنكات.

وقلت: «لا بدّ أنهم راهنوا بكثير من المال في الأخير».

ولكننا حقّقنا ربحاً وفيراً، مالاً كثيراً بالنسبة لنا. والآن صار عندنا الربيع والمال كذلك. وشعرت بأنّ ذلك كلَّ ما ينقصنا. وفي مثل ذلك اليوم كان كلٌّ واحد منا يحتفظ بربع الأرباح لينفقه، وندّخر النصف الباقي بمثابة رأس مال للسباق القادم. وكنتُ أخبئ رأس المال المخصَّص للرهان في معزل عن بقية المال.

وفي يوم آخر في نهاية ذلك العام، وبعد أن عُدنا من إحدى رحلاتنا وأصبنا حظّاً حسناً من سباق الخيل مرَّةً أخرى، توقفنا عند مطعم برونييه[6] ونحن في طريقنا إلى المنزل. ودخلنا وجلسنا بعد أن تفحّصنا المأكولات الشهية المعروضة مع أسعارها في واجهة المحل، وتناولنا محاراً وسرطانَ البحر المكسيكي مع كؤوس من نبيذ السانسير[7]. ثمَّ عُدنا مشياً مخترقين حدائق التويلري[8] في الظلام. وتوقّفنا برهة ننظر إلى قوس الكاروسل[9] عبر الحدائق المعتمة، وأضواء ميدان الكونكورد[10] وراء العتمة ثمَّ الخطّ الطويل من الأضواء الممتدّ إلى قوس النصر[11]. وبعد ذلك نظرنا إلى الخلف باتجاه متحف اللوفر المظلم، وقلت: «هل تظنين حقاً أن الأقواس الثلاثة هي في خطٍّ واحد؟ هذان القوسان هنا وقوس السرميون[12] في ميلانو؟».

- «لا أعرف، يا تاتي. يقولون ذلك، ولا بد أنهم يعرفون. أتَذكُر عندما خرجنا في الربيع على الجانب الإيطالي من سان



برنار[13] بعد أن تسلقنا في الجليد، وهبطنا أنا وأنتَ وتشنك[14] طوال النهار في ذلك الربيع إلى أوستا[15]؟».

- «لقد أطلق تشنك على نزهتنا تلك اسم (عبر سانت برنارد في أحذية عادية)؛ هل تتذكَّرين حذاءك يومها؟».

- «حذائي المسكين. هل تتذكَّر أننا تناولنا كؤوساً من سلطة الفواكه في مطعم بيفي في الكالريا[16] مع كابري وخوخ طازج وفراولة بريّة بالثلج في أقداح طويلة؟».

- «ذلك هو الوقت الذي أخذتُ أتساءل فيه عن الأقواس الثلاثة».

- «أتذكر قوس السرميون. إنه يشبه هذا القوس».

- «هل تذكرين الفندق في إيغل[17] حيث جلستِ أنتِ وتشنك في الحديقة ذلك اليوم تقرآن بينما كنت أنا أصيد السمك؟».

- « نعم، يا تاتي».

وتذكَّرتُ نهر الرون[18]، ضيقاً رمادياً مليئاً بالماء المثلج، وعلى جانبيه المجريان المليئان بسمك السلمون: الستوكالبر[19] وقناة الرون. كان الستوكالبر صافياً حقاً ذلك اليوم، أما قناة الرون فكان ماؤها كدراً.

- «هل تذكرين أشجار البلوط المزهرة، وكيف حاولتُ أن أتذكَّر قصَّة كان رواها لي جيم غامبل[20]، على ما أظن، عن كرمة الوستاريا[21] المتسلِّقة، ولم أستطع أن أتذكَّرها؟».

- «نعم، يا تاتي، وكنتَ أنتَ وتشنك تتحدثان دائماً عن كيفية جعل الأشياء تبدو حقيقية في الكتابة، بوضعها مباشرة ومن دون وصف. أتذكَّر كل شيء. كان مصيباً في بعض الأحيان، وكنتَ أنت



على حق في أحيان أخرى. أتذكَّر الأضواء، والمضامين، والأشكال التي كنتما تناقشانها».

والآن وبعد أن خرجنا من بوابة الحديقة اخترقنا اللوفر وقطعنا الشارع لنقف على الجسر، منحنين على حاجزه الحجري متطلعين إلى النهر تحتنا.

قالت لي هادلي: «كنا الثلاثة نتجادل حول كلِّ شيء، وحول أشياء بعينها، ويتندّر بعضنا على بعض. أتذكّر كلَّ شيء فعلناه وكلَّ شيء قلناه طوال تلك الرحلة. أتذكّر كلَّ شيءٍ حقاً، كلَّ شيء. عندما كنت وتشنك تتحدثان، كنتُ أشارك في الحديث، ولا أبقى مجرد زوجة كما هو الحال في شقة الآنسة شتاين».

- «أتمنى أنني أستطيع أن أتذكّر قصة كرمة الوستاريا المتسلّقة».

- «لم تكُن مهمّة. كان النبيذ هو المهمّ، يا تاتي».

- «هل تذكرين أنني جلبت معي بعض النبيذ من إيغل إلى الشاليه. لقد باعوه لنا في الفندق. وقالوا ينبغي أن نتناوله مع السمك. وجلبناه ملفوفاً بنسخة من جريدة **غازيت دو لوزان**[22]، على ما أظن».

- «وكان نبيذ السيون[23] أفضل منه. أتذكر كيف طهت السيدة غانجسويش[24] سمك السلمون عندما عُدنا إلى الشاليه؟ لقد كان سمكاً لذيذَ الطعم، يا تاتي، وشربنا نبيذ السيون والتهمنا الطعام على الشرفة، وكان سفح الجبل ينحدر تحتنا، وكان باستطاعتنا أن نرى عبر البحيرة الدان دو ميدي[25] ونصفها مغطّى بالجليد، والأشجار على مصبِّ نهر الرون الذي يلقي بمياهه في البحيرة».

- «إننا دائماً نفتقد تشنك في الشتاء والربيع».



- «دائماً. وأفتقده الآن عندما انتهى كلُّ شيء».

كان تشنك جندياً محترفاً، وذهب إلى مونز[26] بعد أن تخرج من ساندهيرست[27]. التقينا به أول مرة في إيطاليا، وكان صديقي الحميم ثم صار صديقنا المفضل لوقت طويل. وكان يمضي إجازاته معنا في ذلك الوقت.

- «كان سيحاول الحصول على إجازة في الربيع المقبل. لقد كتب إلينا من كولونيا[28] في الأسبوع الماضي».

- «أعرف. يجب أن نعيش في هذا الوقت الراهن ونتمتّع بكل لحظة فيه».

- «إننا نشاهد الماء الآن وهو يضرب دعامة الجسر. تُرى ما الذي نراه إذا نظرنا إلى أعالي النهر؟».

ونظرنا فألفيناها كلها أمامنا: نهرنا ومدينتنا وجزيرة مدينتنا.

قالت: «إننا محظوظون. آمل أن يأتي تشنك، فهو يعتني بنا».

- «إنه لا يظنُّ ذلك».

- «طبعاً لا».

- «إنه يظن أننا نستكشف معاً».

- «وهو كذلك. ولكن يعتمد على ما نستكشف».

ومشينا عبر الجسر وأصبحنا على ضفة النهر حيث نسكن.

وقلت: «هل أنت جائعة من جديد بعد أن تحدّثنا وتمشينا طوال الوقت؟».

- «طبعاً يا تاتي، ألستَ جائعاً أنت كذلك؟».

- «لنذهب إلى مطعم فاخر ونتناول عشاءً رائعاً».

- «أين؟».



- «في مطعم ميشو[29]».

- «ذلك رائع، والمطعم قريب جداً من هنا».

وهكذا سرنا في شارع سان بيرس حتى زاوية شارع جيكوب، وكنا نتوقَّف ونلقي نظرة على واجهات المحلات بما فيها من لوحاتٍ وأثاث. ووقفنا خارج مطعم ميشو لنقرأ قائمة الطعام المعلقة على واجهته. كان المطعم غاصّاً بالزبائن وانتظرنا حتى خرج بعضهم، وفي أثناء ذلك كنا نراقب الطاولات التي انتهى أصحابها من تناول قهوتهم.

كنا جائعين من جديد بسبب المشي، وكان مطعم ميشو مثيراً لشهيّتنا، وغالياً بالنسبة لنا. وهناك رأينا جويس[30] وعائلته: هو وزوجته بجانب الحائط، وكان يمسك بقائمة الطعام بإحدى يديه ويحدّق فيها من خلال نظارتَيه السميكتَين، وكانت نورا[31] إلى جانبه متفتّحة الشهية ولكنها رهيفة الصحة؛ وكان جورجيو[32] نحيفاً، أنيقاً، ناعم الشعر؛ وكان لابنته لوسيا[33] شعر كثّ مجعّد، ولم تكن آنذاك قد كبرت بعد، وكانوا جميعاً يتحدثون بالإيطالية.

وعندما كنت واقفاً هناك، تساءلت عمّا شعرنا به فوق الجسر وهل كان مجرّد جوع. سألت زوجتي فقالت: «لا أدري، يا تاتي. هناك أصناف عديدة من الجوع، وتزداد أثناء الربيع. ولكن ذلك انتهى الآن. والذكرى جوع».

كنت أتصرّف بغباء. نظرت من خلال النافذة فرأيت سمكتَين على مائدة، فأدركت أنني جائع بالمعنى البسيط للجوع.

- «قلتِ إننا محظوظان اليوم. وهو كذلك طبعاً. ولكن توفّرت لنا النصيحة الصادقة والمعلومات الدقيقة».



ضحكت وقالت:

- «لم أقصد بقولي الحظّ الذي أصابنا في سباق الخيل. أنت تأخذ الكلام حرفياً. قصدت أننا محظوظون بمعنى آخر».

- «لا أظن أن تشنك يهتمّ بسباق الخيل». قلت ذلك، متمادياً في تعقيد غباوتي.

- «لا، إنه يهتّم به إذا كان يمتطي الجواد بنفسه».

- «ألا تريدين أن تذهبي إلى سباق الخيل مرة أخرى؟».

- «طبعاً، والآن نستطيع أن نذهب إلى هناك مرة ثانية متى ما شئنا».

- «ولكن أتريدين الذهاب حقاً؟».

- «طبعاً، وأنت أيضاً، أليس كذلك؟».

وبعد أن دخلنا مطعم ميشو تناولنا وجبةً شهيّة، ولكن بعد أن انتهينا لم يعُد ثمَّة جوع، بيد أن الشعور الذي انتابنا بما يشبه الجوع عندما كنا فوق الجسر ما زال فينا عندما صعدنا الحافلة في طريقنا إلى المنزل. وظلّ ذلك الشعور فينا بعد ولوجنا غرفتنا وتطارحنا الغرام في الظلام. وعندما استيقظتُ في الليل والشبابيك مشرعة وضوء القمر على سطوح المنازل العالية، كان ذلك الشعور ما زال يقضّ مضجعي. وأشحت بوجهي عن ضوء القمر إلى الظل، غير أني لم أستطِع النوم وبقيتُ أفكر في ذلك الشعور. وقد استيقظ كلانا مرَّتَين في تلك الليلة، والآن تنام زوجتي بكلِّ حلاوة وضوء القمر يغمر وجهها. وكان عليّ أن أفكِّر في الأمر، وأنا في غاية الغباء. وعندما استيقظتُ في الصباح بدت الحياة لي في منتهى البساطة



والربيع المبكر قد حلّ في المدينة، وسمعت مزمار بائع الحليب مع قطيعه من الماعز، وخرجتُ لجلب جريدة سباق الخيل.

بَيدَ أنّ باريس مدينة قديمة جداً وكنا شابَّين يافعَين وليس هنالك شيءٌ سهل، ولا حتى الفقر ولا المال المفاجئ، ولا ضوء القمر، ولا الصحيح والخطأ، ولا تنفّس امرأة مضطجعة إلى جانبك في ضوء القمر.



6

نهاية هواية

ذهبنا معاً إلى سباق الخيل عدّة مرات ذلك العام وفي أعوام أخرى تلته، وكنا نذهب بعد انتهاء عملي في الصباح الباكر، واستمتعتْ هادلي بالسباقات، وشغفتْ بها أحياناً. ولكنها لم تكُن بمثل متعة تسلّق مروج الجبال المنيفة المطلّة على الغابة، ولا بمثل متعة العودة ليلاً إلى الشاليه، ولا بمثل متعة السير في ممرّ جبليٍّ عالٍ في ريفٍ جديد مع صديقنا الحميم تشنك. وفي الحقيقة لم يكُن ذلك السباق سباق خيل وإنما كان رهاناً على الخيل، ولكننا كنا نسميه سباقاً.

لم يشكّل سباق الخيل حاجزاً بيننا؛ الناس فقط يستطيعون أن يفعلوا ذلك، ولكن لوقت طويل بقي سباق الخيل قريباً منا مثل صديقةٍ مُلحفة. ووصفُ السباق بهذا الشكل نوعٌ كريم من التفكير. فأنا الذي أعدّ نفسي شخصاً مستقيماً لا يرضى بإلحاق الأذى بالناس أو تدميرهم، احتملت هذه الصديقة الزائفة، الجميلة، المثيرة، الشرّيرة، والمُلحفة؛ لأنها كانت من الممكن أن تدرَّ عليّ بعض الربح. ولكي تكون مربحة، فإنها تتطلب عملاً يستغرق الوقت كله، ولم يكن لديّ وقتٌ لذلك. غير أني سوّغت في نفسي هوسي بالسباق



بأنني كتبت عنه، على الرغم من أنني في النهاية، فقدتُ جميع ما كتبت ما عدا قصة واحدة عن سباق الخيل نجت، لأنها كانت قد أرسلت بالبريد.

والآن أصبحت كثيراً ما أذهب إلى سباقات الخيل وحيداً، ووجدت نفسي متورّطاً فيها ومشوشاً بها كذلك. كنت أراهن في حلبتَين في موسم السباقات كلّما كان ذلك في استطاعتي: أوتي وإنغهاين. ويتطلّب تحقيق التكافؤ في السباق (بحيث تخرج بلا ربح ولا خسارة) عملاً لوقت طويل، ومع ذلك فأنت قد لا تربح شيئاً بتلك الطريقة. وهذا مجرّد تقديرات على الورق. ويمكنك طبعاً أن تشتري جريدة تبيِّن لك ذلك.

عليك أن تراقب سباق القفز فوق الحواجز من منصّة المشاهدين في أوتي. وتبذل جهداً كبيراً لتلاحظ ما يفعل كلُّ فَرس، وترى الفرس الذي كان من الممكن أن يربح ولم يتسنَّ له ذلك، وترى لماذا وربما كيف لم يفعل ما كان يمكنه أن يفعل ليربح. وتراقب الأثمان وجميع التحوّلات التي تطرأ على الأرباح في كلِّ مرَّة يشارك جوادك المفضَّل في السباق، وعليك أن تعرف كيف يعمل، وأخيراً ينبغي عليك أن تعرف متى يحاول أصحابه إشراكه في السباق. ومن المحتمل أن يخسر كلَّما شارك في السباق، فعليك أن تعرف آنذاك ما هي فرص نجاحه. إنه عملٌ شاقٌّ، ولكن في أوتي يبدو كل شيء جميلاً وأنت تشاهدهم يتسابقون، عندما تتمكَّن من الحضور وترى السباقات النظيفة التي تتبارى فيها جيادٌ مطهّمة، وتتعرف على حلبة السباق جيّداً، وتتعرَّف أخيراً على العديد من الأشخاص من الفرسان والمدرّبين وأصحاب الخيول، وجياد عديدة وأشياء كثيرة.



كنت لا أراهن إلّا إذا كان لديّ جواد معيّن أراهن عليه. هذا من حيث المبدأ، ولكن يحدث أحياناً أن أرى خيولاً لا يظن بها أحد خيراً سوى الرجال الذين يدرّبونها أو يمتطونها وقد ربحت السباق تلو السباق وكنت أراهن عليها. وتخلَّيتُ أخيراً عن الرهان في سباقات الخيل؛ لأنه يستلزم كثيراً من الوقت ولأنني وجدت نفسي متورِّطاً جداً وأعرف الكثير عمّا كان يحدث في أنغهاين وفي حلبات سباق الجري كذلك.

لقد سررتُ عندما توقَّفتُ عن الانهماك في المشاركة في السباقات، بيدَ أن ذلك خلّف فراغاً لديّ. وتعلّمت آنذاك أن أي شيء زيناً كان أو شيناً يترك فراغاً عندما ينتهي. ولكن إذا كان شيناً فإن الفراغ يمتلئ تلقائياً. أما إذا كان زيناً فإنك لا تستطيع ملء الفراغ الذي يخلّفه إلّا إذا وجدت شيئاً أفضل. وأعدتُ المصروف المخصّص للرهان إلى المصروف العام، وشعرتُ بالارتياح.

وفي اليوم الذي تخليت فيه عن السباق، عبرتُ إلى الضفة الأخرى من النهر والتقيت صديقي مايك وارد[1] في مكتب الأسفار بمؤسّسة الائتمان التي كانت تقع يومئذٍ في ملتقى شارع الإيطاليين[2] وجادة الإيطاليين[3]. ذهبتُ لأُودِع رأسمال السباق، ولكن دون أن أخبر أحداً بذلك. ولم أسجّل تلك الوديعة في دفتر شيكاتي وإنما حفظتها في ذاكرتي.

وسألت مايك: «أتريد أن تتناول طعام الغداء؟».

- «بالتأكيد، يا فتى، نعم أستطيع أن أفعل ذلك. ولكن ماذا حدث، ألستَ ذاهباً إلى حلبة السباق اليوم؟».

- «لا».



وتناولنا طعام الغداء في ساحة لوفوا[4] في حانةٍ جيّدة مع نبيذٍ أبيض رائع. وفي الجهة الثانية من تلك الساحة تقع المكتبة الوطنية.

- «أنت لم تذهب إلى حلبة السباق كثيراً، يا مايك؟».

- «لا، منذ وقتٍ طويل».

- «لماذا تخلّيتَ عنه؟».

قال مايك: «لا أدري». ثم استدرك قائلاً: «بلى، أعرف بالتأكيد. كلُّ شيء تراهن عليه ويصيبك منه أذى لا يستحق المشاهدة».

- «ألا تذهب إلى حلبات السباق أبداً؟».

- «أحياناً لمشاهدة سباق كبير تتبارى فيه خيول مشهورة».

ووضعنا الخبيصة على الخبز الشهي وشربنا النبيذ الأبيض.

- «وهل تابعت السباقات كثيراً؟».

- «نعم».

- «وأي أنواع السباق أفضل في رأيك؟».

- «سباق الدراجات الهوائية».

- «حقاً؟».

- «لأنك لا تراهن عليه، وإنما تشاهده فقط».

- «أما سباق الخيل فإنه يأخذ منك وقتاً طويلاً».

- «نعم، يستغرق وقتاً طويلاً جداً. إنه يستغرق جميع وقتك. ولا أحبُّ الناس هناك».

- «كنتُ مولعاً جداً به».

- «بالتأكيد. وهل كنت على ما يرام؟».

- «لا بأس».



وقال مايك: «من الأفضل أن تتوقّف».

- «لقدَ توقفتُ».

- «صعبٌ أن تفعل ذلك. اسمع يا فتى، سنذهب إلى سباق الدرّاجات الهوائية يوماً ما».

لقد كان ذلك شيئاً جديداً ولطيفاً لا أعرف عنه إلّا اليسير. ولكننا لم نبدأ مباشرة، وإنما حصل ذلك فيما بعد. وقد أضحى جزءاً كبيراً من حياتنا بعد أن تلاشى الجزء الآخر من باريس.

ولكن لوقت طويل، كان يكفينا أن نعود فقط إلى حيّنا في باريس بعيداً عن حلبة السباق وأن نراهن على حياتنا وعملنا، أو نراهن على رسّامين نعرفهم، وألّا نعيش من القمار أو سَمّه أيَّ اسمٍ آخر. لقد أخذتُ أكتب عدَّة قصصٍ قصيرة عن سباق الدراجات الهوائية، ولكن لم أكتب قصة لها روعة تلك السباقات نفسها، سواء ما كان يجري منها في قاعة مغطاة أو في حلبة مكشوفة أو على الطرق. ولكني سأذكر ميدان الدرّاجات الشتوي في ضوء المساء الضبابي بمساراته الخشبيّة المرتفعة وأزيز عجلات الدراجات على الخشب حينما يمر المتسابقون، والجهد الذي يبذلونه والتقنيّات التي يستعملونها في صعودهم وهبوطهم، وكلٌّ واحدٍ منهم ملتصق بدراجته كأنَّه جزء منها. سأذكر سحر سباق المسافات المتوسّطة، وضجيج الدرّاجات النارية التي كان يمتطيها المدرّبون وهم يرتدون خوذهم الثقيلة الواقية ويتكئون إلى الخلف بملابسهم الجلدية الفضفاضة لحماية المتسابقين خلفهم من مقاومة الهواء؛ وكان المتسابقون يرتدون خوذاً أخفَّ، وكلٌّ واحدٍ منهم منحنٍ على مقود دراجته وساقاه تديران عجلة المحرّك المسنّنة، والعجلات الأماميّة الصغرى



تلامس مؤخّرة الدرّاجات البخاريّة التي توّفر الحماية للمتسابقين، والمنافسات الأكثر إثارة من أيِّ شيءٍ آخر وسط ضوضاء الدرّاجات الناريّة، وهم كتفاً لكتف وعجلة لعجلة صعوداً وهبوطاً ودوراناً بسرعةٍ قاتلة، حتى إذا لم يعُد بمقدور أحدهم الحفاظ على السرعة المطلوبة تخلَّف عن المجموعة وهكذا يرتطم به جدار الهواء الذي كان يصدّه عنه المدرّبون.

كانت هنالك أنواعٌ متعدّدة من السباق. فهناك السباقات القصيرة إما على أشواط وإما دفعة واحدة. وفي النوع الأخير يحاول أحد المتسابقين التخلّف للحظات من أجل أن يجعل منافسه يتقدّم عليه، قبل أن ينقضّ عليه وهو في أقصى سرعته. وهنالك سباقات الفِرَق لمدة ساعتَين، وتتكون من سلسلةٍ من سباقاتٍ قصيرةٍ سريعة تستغرق وقت العصر كلَّه. وهنالك عروضٌ لراكب واحد ينطلق في سرعةٍ قصوى. وهنالك السباقات الجميلة والخطيرة جداً لمسافة مئة كيلومتر، وكانت تجري في الميدان الخشبي الكبير الذي يبلغ طوله خمسمئة متر والكائن في ملعب بوفالو(5) المفتوح في الهواء الطلق في مونروج(6)، حيث يجري المتسابقون خلف درّاجات نارية كبيرة. وأذكر لينار(7)، البطل البلجيكي العظيم، الذي كانوا يلقبونه بـ «السيوكس»(8) بسبب ملامح وجهه، وهو يحني رأسه ليحتسي براندي الكرز من قنينة بلاستيكية مخبأة تحت قميصه كلما احتاج إلى ذلك ليزيد من سرعته الجنونية قرب خطّ النهاية. وأذكر المباريات التي تجري لإحراز بطولة فرنسا خلف الدرّاجات الناريّة الكبيرة وهي تنطلق على مسارٍ إسمنتيٍّ طوله ستمئة وستون متراً في ملعب بارك دي برانس(9) قرب بلدة أوتي، وهو أخطر المسارات قاطبة، وقد شاهدنا



عليه المتسابق العظيم غاناي[10] وهو يسقط من درّاجته وسمعنا جمجمته تتهشّم تحت خوذته كما تُكسَر بيضةٌ مسلوقة على حجر قبل تقشيرها في نزهة. يجب أن أكتب عن العالم العجيب الذي كانت تجري فيه سباقات تستمرُّ مدَّة ستة أيام وعن روائع طريق السباق في الجبال. واللغة الفرنسية هي الوحيدة التي كُتب فيها عن تلك السباقات بصورةٍ جيّدة، فجميع المصطلحات اللازمة متوفّرة فيها. وهذا ما يجعل كتابتي عن تلك السباقات (بالإنجليزية) أمراً صعباً. وكان مايك مصيباً، فلا حاجة للرهان. ولكن ذلك سيحدث في وقتٍ آخر في باريس.




مكتبة
الفكر الجديد

7

شركة شكسبير

لم تكُن لدي، في تلك الأيام، نقود لشراء الكتب. فكنت أكتري الكتب من مكتبة شركة شكسبير[1]، التي كانت مكتبة لمطالعة الكتب أو شرائها أو كرائها، وتملُكُها سلفيا بيتش، وتقع في 12 شارع الأوديون[2]. ففي شارعٍ تجتاحه ريحٌ باردة، كانت تلك المكتبة مكاناً دافئاً بهيجاً يتوفَّر على موقدٍ كبير في الشتاء، وعلى مناضد ورفوف كتب، والمطبوعات الجديدة معروضة في الواجهة، وصور مشاهير الأدباء من الأحياء والأموات معلَّقة على الجدران. كانت جميع الصور تبدو كأنَّها لقطات فوتوغرافية طبيعية، وحتى الكتّاب الأموات ظهروا كما لو كانوا أحياء حقّاً. وكان لسلفيا وجه مفعم بالحياة وذو تقاطيع حادّة، ولها عينان بُنيّتان تفيضان حيوية مثل عيني حيوان صغير، وفرِحتَين مثل عيني صبيّة، ولها شعرٌ بنّي متموّج منسدل إلى الخلف ابتداء من جبهتها الجميلة، ومقطوع تحت أذنيها وعند ياقة السترة البنيّة التي ترتديها. ولها ساقان جميلتان، وهي حنون ومرحة وتُبدي اهتماماً بالآخرين، وتحب المزاح والقيل والقال. وليس هناك من الذين عرفتهم مَن كان أكثر عطفاً عليّ منها.

كنت في غاية الخجل عندما ذهبت أوّل مرّة إلى المكتبة، ولم



يكُن معي المال الكافي للاشتراك في مكتبة كراء الكتب. فأخبرتني سلفيا أنني أستطيع أن أدفع مبلغ التأمين في أيّ وقت يتوافر فيه لدي المال، وأعدّت لي بطاقة مشارك وقالت إنه يمكنني أن أستعير كُتباً بالعدد الذي أرغب فيه.

لم يكُن لديها سبب لتثق بي. فلم تكُن تعرفني، والعنوان الذي ذكرته لها - 74 شارع الكاردنال لوموان - لم يكن هناك عنوان أهزل منه. ولكنها كانت سيّدة بهيجة وجذّابة وكريمة. وخلفها رفوف ورفوف من ثروة المكتبة مرصوفة على جميع الجدران حتى السقف وممتدّة إلى الغرفة الخلفية.

بدأتُ بترجنيف[3] وأخذت مجلدي **تخطيطات رجل رياضي** وأحد كتب د. هـ. لورنس الأولى، وأظنه **أبناء وعشاق**، وأخبرتني سلفيا أنني أستطيع أن أستعير كتباً أخرى إن شئت. فاخترت طبعة كنستانس غارنيت[4] لكتاب **الحرب والسلم**، و**المقامر** وقصص أخرى لدوستويفسكي[5].

وقالت سلفيا: «إنك لن تعود قريباً إذا قرأت كل ذلك».

قلت: «سأعود لأسدّد ما عليّ، فلدي بعض المال في الشقّة».

قالت: «لم أقصد ذلك، فلك أن تدفع متى ما يناسبك».

وسألتها: «متى يأتي جويس إلى هنا؟».

- «إذا كان سيأتي فإنه يأتي عادة عصراً». وأضافت: «ألم تره من قبل؟».

قلت: «لمحناه مرة في مطعم ميشو وهو يتناول الطعام مع عائلته، ولكن لم يكن من اللائق أن ننظر إلى الناس وهم يأكلون، وميشو مطعم غالٍ».



- «هل تأكلون في المنزل؟».

قلت: «معظم الوجبات حالياً، فلدينا طاهية ماهرة».

- «لا توجد مطاعم قريبة منكم في الحارة، أليس كذلك؟».

- «لا، وكيف تعرفين ذلك؟».

قالت: «لقد سكن لاربو[6] هناك، وأحبَّ تلك الحارة كثيراً فيما عدا خلوّها من المطاعم».

- «إن أقرب مطعم رخيص جيّد يقع في البانتيون».

- «لا أعرف ذلك الحيّ. ونحن نأكل في البيت. يجب أن تأتي أنت وزوجتك لزيارتنا».

قلت: «انتظري حتى تري إذا كنت سأدفع، ولكن شكراً كثيراً لدعوتك».

قالت: «لا تقرأ حتى الصيام».

كان بيتنا في شارع الكاردنال لوموان عبارة عن شقّة ذات غرفتين لا تتوفَّر على ماءٍ ساخن ولا يوجد في داخلها مرحاض خاص بها وإنما تشتمل على وعاء صحّي، لا يمكن وصفها بأنها غير مريحة من قبل شخص كان معتاداً على المرحاض الخارجي في مشيغان. وكانت شقّتنا بهيجة ومرحة فهي تطلّ على منظرٍ لطيف؛ ولفراشنا على الأرض حشية جيدة، وعلى جدرانها لوحات نحبُّها. وعندما وصلت إلى البيت ومعي الكتب، أخبرتُ زوجتي عن المكتبة الرائعة التي اهتديت إليها.

قالت: «ولكن، تاتي، يجب أن تعود إليها بعد الظهر لتسدّد ما عليك».



قلت: «سأذهب بالتأكيد، سنذهب معاً، ثم نعود سيراً على الرصيف بمحاذاة النهر».

- «لنتمشى عائدين في شارع السين[7] وننظر إلى المعارض وواجهات المخازن فيه».

- «طبعاً، في وسعنا أن نتمشى أينما نريد، ويمكننا أن نتوقَّف في أحد المقاهي الجديدة حيث لا نعرف أحداً ولا يعرفنا أحد ونتناول مشروباً».

- «يمكننا أن نتناول مشروبَين».

- «ثم نأكل في مكان آخر».

- «لا. لا تنسَ أن علينا أن ندفع للمكتبة».

- «سنعود إلى المنزل ونأكل هنا، فنتناول وجبة شهيّة ونشرب نبيذ البون[8] من مخزن التعاونية الذي ترينه من هنا عبر الشبّاك وبالسعر المعلَن في واجهة المحل. وبعد ذلك سنقرأ ونأوي إلى فراشنا ونمارس الحب».

- «ولن نحبَّ أحداً آخر أبداً، بل يحبُّ أحدنا الآخر».

- «لا، أبداً».

- «ما أروعها من أمسية. أما الآن فيحسن بنا أن نتناول طعام الغداء».

قلت: «إنني جائع جداً، لقد عملت في المقهى ولم أتناول سوى فنجان قهوة بالحليب».

- «وكيف سار عملك، يا تاتي؟».

- «أظن أنه على ما يرام. آمل ذلك. ماذا عندنا للغداء؟».



- «قليل من الفجل وكبد العجل مع البطاطا المطحونة وسلطة الهندباء، ثم كعكة التفاح».

- «وستكون لنا جميع الكتب في العالم لقراءتها، وعندما نسافر في رحلات سنأخذها معنا».

- «وهل تسمح بذلك المكتبة؟».

- «بالتأكيد».

قالت: «نحن محظوظون لأنك وجدت ذلك المكان».

- «نحن دائماً محظوظون». ردّدت مثل أبله ولم أدقّ على الخشب. وكان هنالك خشب في كلِّ مكان بالشقة أيضاً.



8

الجوع تهذيب جيّد

ستشعر بالجوع كثيراً في باريس إذا لم تأكل بما فيه الكفاية؛ لأن جميع المخابز تعرض حلويات لذيذة في واجهاتها، والناس يأكلون خارج المقاهي والمطاعم على طاولات موضوعة على أرصفة الشوارع. وهكذا فأنت ترى الطعام وتشمّ رائحته. وعندما تكون قد تخلّيت عن الصحافة ولا تكتب شيئاً يشتريه أحد في أميركا، وتقول لزوجتك إنك تتناول طعام الغداء مع صديق خارج المنزل، فإن أفضل مكان تذهب إليه حدائق اللكسمبورغ، فأنت لا ترى ولا تشمّ شيئاً يؤكَل طوال الطريق من ساحة المرصد إلى شارع فوجيرار. ومن هناك يمكنك دوماً أن تذهب إلى متحف اللكسمبورغ[1] حيث تبدو جميع اللوحات أكثر وضوحاً وحدّة وجمالاً إذا كنتَ خاوي المعدة جائعاً. لقد تعلَّمت أن أفهم سيزان بشكلٍ أفضل وأدركت الكيفية الحقيقية لرسمه المناظر الطبيعية، عندما كنت جائعاً. وكنت أتساءل ما إذا كان سيزان جائعاً كذلك عندما رسم لوحاته، ولكن افترضت أنّ من الممكن أنه نسي أن يأكل فقط. إنها واحدة من الأفكار غير القيّمة، لكن المضيئة، التي تراودك وأنت تعاني السهاد أو الجوع. وفي وقتٍ لاحق خُيّل إليَّ أن سيزان كان جائعاً بطريقة مختلفة.



وبعد أن تخرج من لكسمبورغ بوسعك أن تمشي إلى ساحة سان سلبيس[2] مروراً بشارع فَرو الضيق، وهناك لا توجد مطاعم كذلك، وإنما مجرّد ساحةٍ هادئة بمصاطبها وأشجارها. ثمَّة نافورةٌ وتماثيلُ أُسودٍ، وحمائم تغدو وتروح على الرصيف وتطير وتحطّ على تماثيل الأساقفة. وهناك الكنيسة، وهناك دكاكين في الجانب الشمالي من الساحة تبيع المواد الدينية والأردية الكهنوتية.

ومن تلك الساحة لا تستطيع مواصلة السير باتجاه النهر دون المرور بحوانيت تبيع الفواكه والخضراوات والخمور، أو بحوانيت الخبز والحلويات. بيدَ أنك إذا اخترت طريقك بعناية، يصير بمقدورك أن تلتفّ إلى اليمين حول الكنيسة المبنية بالحجر البنيّ والأبيض لتصل إلى شارع الأوديون وتستدير إلى يمينك باتجاه مكتبة سلفيا بيتش، وفي طريقك هذا لا تمرّ بأماكن كثيرة تعرض المأكولات للبيع. فقد كان شارع الأوديون خالياً من أماكن الأكل حتى تصل الساحة حيث توجد ثلاثة مطاعم.

وفي الوقت الذي تصل فيه إلى 12 شارع الأوديون تكون قد تمالكت جوعك ولكن بصيرتك أضحت أشد حدَّةً. ستبدو الصور مختلفة وسترى كُتباً لم ترَها من قبل.

وستقول سلفيا: «إنك نحيفٌ جداً، يا همنغواي. هل تأكل ما يكفيك؟».

- «طبعاً».

- «ماذا أكلتَ في وجبة الغداء؟».

وشعرتُ بمعدتي تقرقر وأنا أقول: «إني في طريقي إلى المنزل لتناول الغداء».



- «في الساعة الثالثة؟».

- «لم أدرك أن الوقت متأخِّر».

- «قالت لي أدريان[3]، قبل مدة، إنها تريد أن تدعوك وهادلي لتناول طعام العشاء. وسندعو فارك[4]. أنت تودّ فارك، أليس كذلك؟ أو لاربو. أعرف أنك تودّه. أو أيَّ شخصٍ تودّه حقّاً. أرجو أن تحدّث هادلي في ذلك».

- «أعرف أنها تحبّ المجيء إليكم».

- «سأرسل إليها بطاقة. لا ترهق نفسك في العمل الآن خاصَّةً وأنت لا تأكل بصورة ملائمة».

- «وهو كذلك».

- «اذهب إلى المنزل الآن قبل أن يفوت وقت الغداء».

- «سيحتفظون به لي».

- «ولا تأكل طعاماً بارداً أيضاً. تناول طعاماً ساخناً جيّداً».

- «هل لديكِ أي رسائل لي؟».

- «لا أظن ذلك. ولكن دعني أتأكد».

ألقت نظرة ووجدت قصاصة ورق عليها ملاحظة، قرأتْها ثمَّ فتحتْ بويباً مغلقاً في مكتبها، وقالت: - «لقد وصلت هذه وأنا خارج المكتبة».

لقد كانت رسالة وشعرت كما لو كانت تحتوي على مال في داخلها.

قالت سلفيا: «ودركوب[5]».

- «لا بد أنها من مجلة در كيرشننت[6]. هل رأيت ودركوب؟».



- «لا، ولكنه كان هنا مع جورج. سيراك. لا تقلق. ربما يريد أن يسدّد لك ما تستحقه أولاً».

- «إنها ستمئة فرنك. ويقول سيرسل إليّ أكثر».

- «أنا مسرورة جداً لأنك ذكرتني بإلقاء نظرة، أيها السيد اللطيف جداً».

- «من المضحك حقاً أن تكون ألمانيا هي المكان الوحيد الذي أستطيع أن أبيع فيه أي شيء، له ولجريدة **الأوقات الفرانكفورتية**[7]».

قالت مازحة: «أليس كذلك؟ ولكن لا تقلق أبداً. يمكنك أن تبيع بعض قصصك لفورد».

- «نعم بثلاثين فرنكاً للصفحة الواحدة. ولنقل قصّة واحدة كل ثلاثة أشهر في مجلة **الترانس أتلانتك**. والقصة التي طولها خمس صفحات تساوي مئة وخمسين فرنكاً كلَّ ثلاثة أشهر. أي ستمئة فرنك في السنة».

- «ولكن، يا همنغواي، لا تقلق بشأن ما تدرُّه عليك قصصك الآن. المهمّ أنك تستطيع كتابتها».

- «أعرف. أستطيع كتابتها، ولكن لا أحد يشتريها، فمنذ أن تركتُ الصحافة لا أتوصل بالمال».

- «ستُباع قصصك. انظر، فأنت تحمل في يديك ثمن واحدة منها».

- «آسف، يا سلفيا، سامحيني لأنني تحدثت عن هذا الموضوع».

- «على أيِّ شيء أسامحك. تحدّث إليّ دائماً عن هذا



الموضوع أو غيره. ألا تعلم أن جميع الأدباء يتحدثون عن متاعبهم؟ ولكن عدني بأنك سوف لا تقلق وتأكل ما يكفي».

- «أعدك».

- «إذن اذهب إلى المنزل الآن وتناول غداءك».

وفي شارع الأوديون، خارج المكتبة، تقزّزتُ من نفسي لأني شكوت إليها. فقد فعلتُ ما فعلتُ بمحض إرادتي، وبطريقةٍ غبية. كان ينبغي عليّ أن آكل رغيف خبز كبيراً بدلاً من أن أتخطّى وجبة طعام. يمكنني أن أتذوق قشرة رغيف لذيذة. ولكنها جافة في الفم ما لم تَشرب معها شيئاً. ما أسوأك من متشكٍّ، أنت أيها القديس الشهيد الزائف القذر. قلت ذلك لنفسي. لقد تركتَ الصحافة برضاك. ولك حساب مع سلفيا، وكانت ستقرضك المال لو طلبتَ منها ذلك، كما أقرضتك عدة مرات من قبل، بالتأكيد. ثم فعلتَ أمراً آخر إذ ضحّيت بشيءٍ من أجل شيء آخر. فالجوع صحيٌّ والصور تبدو أفضل وأنت جائع. ولكن الأكل رائع كذلك وهل تعرف أين تذهب لتأكل الآن؟

ستأكل في ليبس[8] وستشرب أيضاً.

وكانت مشية سريعة إلى (ليبس)، وكل مكان مررتُ فيه ولَحَظَتْه معدتي وعيني وأنفي بسرعة، أضاف متعةً خاصَّة لتلك المشية. وجدتُ في المحل قليلاً من الناس، وعندما جلست على المصطبة جنب الحائط والمرآة خلفي والطاولة أمامي وسألني النادل ما إذا كنت أريد بيرة، طلبت الكأس المميز[9] وهو قدح كبير يتسع لليتر من البيرة، وطلبت سلطة بطاطا.

كانت البيرة باردة جداً ويلذّ شرابها. والبطاطا مقليّة بالزيت



والتوابل، وزيت الزيتون شهيّاً. وأضفت شيئاً من الفلفل الأسود إلى البطاطا وغمست الخبز بزيت الزيتون. وبعد تناول جرعة كبيرة من البيرة أخذت آكل وأشرب بتؤدة. وعندما أتيت على البطاطا المقلية طلبت صحناً آخر منها ونقانق. والنقانق نوع من السجق شبيه بسجق فرانكفورت، وتكون عريضة ومشقوقة ومغطاة بصلصة خردل.

التهمتُ جميع الخبز والزيت والصلصة وشربت البيرة بتباطؤ إلى أن أخذتْ تفقد برودتها فأنهيتها وطلبتُ نصف ليتر آخر منها. وألفيت نصف الليتر أبرد من الكأس المميّز، وشربت نصفه.

وقلت في نفسي إنني لم أكُن قلقاً. كنت أعرف أن قصصي جيّدة وأن شخصاً ما سينشرها في نهاية المطاف في بلادي. وعندما توقفت عن القيام بالعمل الصحفي، كنت متأكداً من أن القصص في طريقها إلى النشر. بيدَ أنَّ كلَّ قصَّةٍ بعثت بها عادت إليّ. والذي جعلني واثقاً جداً هو أن إدوارد أوبراين[10] أخذ قصة (شيخي) لكتابه (أحسن القصص القصيرة) ثم خصّني بإهداء الكتاب في ذلك العام. ثم ضحكت وشربت مزيداً من البيرة. وكانت تلك القصة لم تنشر في مجلَّة من قبل، وقد خرق جميع مبادئه ليضمّنها كتابه. وضحكتُ ثانية ونظر النادل إليّ بسرعة. لقد كان الأمر مضحكاً؛ لأنه بعد أن فعل كلَّ ذلك أخطأ تهجّي اسمي في الكتاب. وكانت تلك القصَّة إحدى قصَّتَين بقيتا بعد أن سُرِق كلُّ شيءٍ كتبته مع حقيبة هادلي في محطة قطار ليون عندما كانت تجلب مخطوطاتي إلى لوزان لتفاجئني بها، كي أتمكن من العمل عليها أثناء عطلتنا في الجبال. فقد وضعتْ الأصول والنسخ المطبوعة ونسخ الورق المصوّر (الكربون) جميعاً في ملفات خفيفة وحملتها في حقيبتها. والسبب في نجاة تلك القصة



هو أن لنكولن ستيفنس[11] كان قد أرسلها بالبريد لأحد الناشرين الذي أعادها. وهكذا فقد كانت في البريد عندما سُرقت جميع القصص الأخرى. أما القصة الثانية التي نجت فعنوانها (هناك في مشيغان) كتبتها قبل أن تزورنا الآنسة شتاين في شقّتنا. ولم أستنسخها، لأنها قالت عنها إنها قصَّة لا يمكن تعليقها، ولهذا فقد بَقِيَت في أحد الأدراج في مكانٍ ما.

وبعد أن غادرنا لوزان وذهبنا إلى إيطاليا، أطلعتُ أوبراين على قصة السباق. وكان أوبراين رجلاً خجولاً شاحب الوجه له عينان زرقاوان شاحبتان وشعرٌ خفيفٌ طويلٌ مسترسل يحلقه بنفسه، وكان يعيش آنذاك نزيلاً في دير قرب رابالو[12]. كنت أمرّ بفترة عصيبة ولم يدُر بخلدي أنني سأستطيع أن أكتب أي شيء آخر، وعرضت عليه القصّة من باب حبّ الاستطلاع، كما لو تَعرض، بغباء، بوصلة سفينة فقدتَها بطريقة لا تُصدّق، أو كما تلتقط ساقك التي ما زالت تحتفظ بالجزمة بعد أن بُترت إثْرَ حادثة اصطدام وتروي نكتة عنها. وبعد أن قرأ القصة رأيت عليه ملامح التأثّر أكثر ممّا تأثّرت أنا. ولم أرَ شخصاً في حياتي تألّم أكثر منه لشيء غير الموت أو الألم الذي لا يُطاق إلا هادلي حينما أخبرتني عن فقدان قصصي. لقد بكتْ وبكت ولم تستطِع إخباري. وقلت لها مهما كان الأمر مريعاً فإنه لا يمكن أن يكون كارثياً لذلك الحدّ، ومع ذلك فليس عليها أن تقلق. سنجد حلاً. ثم أخيراً أخبرتني. وكنت متأكداً من أنها لا يمكن أن تكون قد جلبت نسخ الكربون كذلك، واستأجرتُ شخصاً ليقوم بعملي الصحفي، فقد كنت أكسب مالاً وفيراً حينذاك من الصحافة، وأخذتُ القطار المتجه إلى باريس، ولكنني ألفيت أنّ ما ذكرتْه لي



كان أمراً واقعاً، وأتذكر ما فعلتُه في تلك الليلة بعدما دخلت الشقة واكتشفتُ الحقيقة. لقد انتهى الأمر الآن وقد علَّمني تشنك ألّا أناقش الإصابات والخسائر، ولهذا قلت لأوبراين أن لا يأسف. فربما كان من الأجدى لي أن أفقد أول أعمالي، وسردتُ عليه كلَّ ذلك الهراء الذي يضاهي في غثه الطعام الذي يُقدَّم للجنود. وقلت له إنني سأستأنف كتابة القصص مرَّةَ أخرى، وكنت أحاول أن أكذّبه القول لئلا يتألَّم من أجلي، وأنا عارف بالحقيقة.

وأخذت أتذكَّر في (ليبس) متى واتتني القدرة على كتابة قصةٍ قصيرةٍ مرَّةً أخرى بعد أن فقدتُ كلَّ شيء. كان ذلك في كورتينا دامبيدزو[13] عندما عُدت لألتحق بهادلي هناك بعد تزلج الربيع الذي توجّب عليّ أن أقطعه لأذهب في مهمة إلى (راينلاند) و(الروهر). وكانت قصَّةً بسيطةً جدّاً بعنوان (في غير أوانه)، وحذفت نهايتها الحقيقية، التي تتضمَّن قيام الرجل العجوز بشنق نفسه. وقد أجريتُ الحذف بناء على نظريتي الجديدة القائلة بأنك تستطيع أن تحذف أيَّ شيءٍ إذا كنت تعرف ما تحذف، وهذا الحذف سيقوّي القصَّة ويجعل الناس يشعرون بأكثر ممّا فهموه.

وقلت في نفسي: حسناً، الآن وقد كتبت قصصي فإنهم لن يفهموها. لا شكّ في ذلك. ومن الأكيد أنه لا يوجد طلب عليها. ولكنهم سيفهمونها بالطريقة التي يفهمون بها اللوحات الفنية. إنها مجرد مسألة وقت ويحتاج الأمر إلى شيء من الثقة بالنفس.

من الضروري أن تتحكّم بنفسك بصورةٍ أفضل عندما تضطر لتقليل طعامك لئلا تفكِّر كما يفكِّر الجياع. فالجوع نظامٌ جيّد وبإمكانك أن تتعلّم منه. وما دام الآخرون لا يفهمونه فستكون لك



ميزة عليهم. وقلت في نفسي، طبعاً أنا متقدّم عليهم كثيراً الآن، لأنه ليس بوسعي تناول الطعام بصورة منتظمة. وليس بالأمر السيئ إن هم لحقوا بي قليلاً.

أدركتُ أنه يجب عليّ أن أكتب رواية. ولكن ذلك شيءٌ مستحيل في وقتٍ كنت أواجه فيه صعوبة بالغة عندما أكتب فقراتٍ لا تشكّل إلّا مجرد قطرات في رواية. كان من الضروري أن أكتب قصصاً أطول الآن، كما لو كنتَ تتمرن استعداداً لسباق طويل. وعندما كتبتُ روايةً من قبل، أعني تلك الرواية التي فُقِدت في الحقيبة التي سُرِقت في محطة ليون، كنت لا أزال أملك روح الشباب الغنائية التي كانت تشبه الشباب في سرعة اندثاره ومرارة خداعه. وكنت أدرك أنه ربّما كان من الأفضل لي أنني فقدتها، ولكنني كنت أعرف كذلك أنه ينبغي عليَّ أن أكتب رواية. كنت سأؤجل كتابتها حتى لا يعود بوسعي إلّا أن أكتبها. كان محكوماً عليّ أن أكتب رواية، لأن ذلك ما يجب أن أفعل إذا كنا نريد أن نأكل بانتظام. وإذا كنت سأكتبها فإنها ستكون الشيء الوحيد الذي أفعل ولا خيار لي غير ذلك. فليتصاعد الضغط عليّ. وفي تلك الأثناء سأكتب قصة طويلة حول أيِّ شيءٍ أعرفه.

وفي هذا الوقت كنت قد دفعت فاتورة المطعم وخرجت منه واستدرتُ إلى اليمين وعبرت شارع رين[14] لكيلا أذهب إلى مقهى دو ماغو[15] لتناول القهوة كالعادة، وسرتُ نحو شارع بونابرت[16] سالكاً أقصر طريق إلى منزلي.

ما الشيء الذي كنت أعرفه جيداً ولم أكتب عنه؟ ما الشيء الذي كنت أعرفه حقّاً وآبه به جداً؟ لا خيار لي على الإطلاق. كان



الخيار الوحيد هو أن أسلك الشوارع التي تعود بي إلى مكان عملي. وهكذا دلفتُ من شارع بونابرت إلى شارع غينمير[17]، ثم إلى شارع آساس[18]، وحتى شارع نوتردام دي شان، ثم إلى مقهى بستان الليلك[19].

جلست في زاوية في ذلك المقهى وضوء الظهيرة ينساب على كتفي وأخذتُ أكتب في دفتري. جلب إليّ النادل قهوة بالحليب، شربت نصفها وعندما بردت تركتها على الطاولة وأنا أكتب. وعندما توقّفت عن الكتابة لم أشأ أن أفارق النهر حيث كنت أشاهد السمك يسبح أمامي في الحوض، وكان سطح الماء يرتفع قليلاً بفعل مقاومة أعمدة الجسر للتيار. كانت القصة حول الرجوع من الحرب بيد أنه لا ذِكْر للحرب فيها.

ولكن في الصباح سيكون النهر هناك دائماً، وعليّ أن أضعه في مكانه، وكذلك مناظر الريف وكلُّ الأحداث. وسأفعل ذلك كلَّ يومٍ في الأيام القادمة. ولا يهمُّني أيُّ شيءٍ آخر. وفي جيبي النقود التي وصلتني من ألمانيا فليس ثمّة مشكل. وعندما تنفد تلك النقود ستأتي غيرها.

وكلُّ ما يجب عليّ الآن أن أفعله هو أن أبقى في صحّةٍ جيّدة ومرتاح البال حتى صباح الغد عندما أبدأ العمل مرَّةً أُخرى.



9

فورد مادوكس فورد ومريد الشيطان

كان بستان الليلك أقرب مقهى جيّد لنا عندما كنا نسكن في شقّة تقع فوق المنشرة في البناية رقم 113 في شارع نوتردام دي شان، ويُعدّ واحداً من أفضل مقاهي باريس؛ يتوافر في داخله الدفء في الشتاء؛ وفي الربيع والخريف يطيب الجلوس خارج المقهى إذ تُرتَّب الطاولات تحت ظلال الأشجار على الرصيف بالقرب من تمثال المارشال ني، وفي الساحة توضع الطاولات الاعتيادية تحت مظلات كبيرة على طول الشارع. وقد أصبح اثنان من نُدُل هذا المقهى من أصدقائنا الطيبين. ولم يكن رواد مقهى القبة[1] أو مقهى الطارمة[2] يرتادون مقهى البستان أبداً. فهنا لا يعرفهم أحد، ولن يحدّق فيهم أحد لو جاءوا. ففي تلك الأيام كان الأدباء يذهبون إلى المقاهي الواقعة في زاوية شارع مونبرناس[3] وشارع رسباي[4] ليراهم الجمهور، وكانت تلك الأماكن قد سبقت محرري الأعمدة الصحفيّة في توفير وسيلة يوميّة للشهرة والخلود.

وكان بستان الليلك المقهى الذي يلتقي فيه الشعراء بصورة منتظمة تقريباً، وآخر شاعر كبير ارتاده هو بول فور[5] الذي لم يتسنَ لي قراءة أشعاره، ولكن الشاعر الوحيد الذي شاهدته هناك هو بليز



سندرار[6]، ذو الوجه المعوج الشبيه بوجه ملاكم، وأحد أكمامه فارغة ومثبتة إلى الأعلى بدبوس، وهو يلف سيجارة بيده السليمة الوحيدة. وسندرار نديمٌ جيّد إلى أن يتمادى في الشرب، وحينذاك يأخذ في تلفيق روايات كاذبة تفوق بإمتاعها كثيراً من القصص الحقيقية الصادقة التي يسردها كثيرٌ من الناس. ولكنه كان الشاعر الوحيد الذي يرتاد مقهى بستان الليلك آنذاك. ولم أشاهده هناك سوى مرّة واحدة. وكان معظم رواد المقهى من المسنّين الملتحين الذين يرتدون ملابس بالية ويأتون إلى المقهى مع زوجاتهم أو عشيقاتهم وهم يعلّقون على سترهم، أو لا يعلّقون، أوسمة جوقة الشرف بأشرطتها الحمراء الرقيقة. وكنا نحسب أنهم من العلماء، ويطيلون الجلوس على مشروبٍ فاتح للشهية مثل أولئك الرجال الذين يرتدون ملابس أكثر بِلى ويجلسون مع زوجاتهم أو عشيقاتهم على فنجان من القهوة بالحليب ويعلّقون الأوسمة ذات الأشرطة القرمزيّة، التي لا علاقة لها بالأكاديمية الفرنسية، ونحسبهم من الأساتذة أو المدرسين.

جعل هؤلاء الناس من المقهى مكاناً مريحاً ما دام بعضهم مهتمّاً ببعضهم الآخر وبمشروباتهم أو بفناجين قهوتهم، وبالجرائد أو المجلات التي كانت تُعلّق على مساند من القضبان في المقهى، ولم يكن أي منهم يجلس هناك ليشاهده الجمهور.

وهناك أناس آخرون أيضاً يعيشون في الحيّ ويرتادون مقهى بستان الليلك، ويعلّق بعضهم أشرطة صليب الحرب على سترهم، ويحمل بعضهم الآخر الوسام العسكريّ الأصفر والأخضر، وكنت أراقبهم وهم يتغلّبون على عجزهم الناتج من فقدان بعض أطرافهم،



وأنظر إلى نوعيّة عيونهم الصناعيّة والمهارة التي تمَّت بها إعادة هيكلة وجوههم. فهنالك دائماً لمعانٌ قزحيّ اللون تقريباً في الوجوه التي أعيدت هيكلتها بصورة كبيرة، يشبه نوعاً ما لون منحدر التزلّج الذي يعجّ بالمتزلّجين. وكنا نكنّ لهذا الصنف من الرواد احتراماً يفوق احترامنا للعلماء أو الأساتذة، على الرغم من أن هؤلاء الأخيرين ربما أدّوا كذلك الخدمة العسكريّة دون أن تلحق بهم عاهة أو يصيبهم تشويه.

لم نثِق في تلك الأيام بأيّ فردٍ لم يشترك في الحرب، علماً بأننا لم نثق تماماً بأيّ فرد كائناً من كان. وكان ينتابنا شعور قويّ بأن الشاعر سندراس ربّما يميل إلى التباهي قليلاً بذراعه المبتورة. وسعدت حينما وجدته في مقهى بستان الليلك مبكّراً ذلك المساء قبل أن يصل الزبائن المعتادون.

في ذلك المساء، كنت جالساً إلى طاولةٍ خارج المقهى أُمعن النظر في تحوّلات الضوء على الأشجار والمباني، وأراقب الخيول المطهّمة التي تمر ببطء في الشارع، وإذا بباب المقهى ينفتح من ورائي على اليمين، ويخرج منه رجل ويتّجه إلى طاولتي ويقول:

- «وأخيراً هذا أنت».

ذلك الرجل هو فورد مادوكس فورد، كما كان يسمي نفسه آنذاك، وكان يتنفّس بصعوبة من خلال شاربين كبيرين مصبوغين، وينتصب عمودياً مثل برميل كبير معدّ للتحميل ومغطى بالملابس.

وسألني وهو يجلس: «هل لي أن أجلس معك؟» وكانت عيناه الزرقاوان، اللامعتان تحت حاجبَين وأجفان عديمة اللون، شاخصتَين إلى الشارع.



وقال: «أمضيتُ السنين الطويلة من حياتي مكافحاً من أجل أن تُذبَح الحيوانات بصورة إنسانية».

قلت: «لقد أخبرتني بذلك».

- «لا أظن».

- «إني متأكد من ذلك».

- «غريبٌ جداً. لم أخبر أحداً بذلك في حياتي بتاتاً».

- «أتودّ أن تتناول مشروباً؟».

وقف النادل وأخبره فورد بأنه يريد عصير الكشمش. وردّد كلامه النادل الذي كان طويلاً ونحيفاً وأصلع في قمة رأسه مع شعر أملس ينسدل من فوديه وله شاربان كثّان مثل شاربي تنّين.

- «لا، اجعله براندي بالصودا».

وأكّد النادل طلبه بقوله: «براندي بالصودا للسيد».

كنت دائماً أتجنّب النظر إلى فورد ما استطعتُ وأمسك أنفاسي باستمرار عندما تضمّني معه غرفة موصدة، ولكن هذه المرّة كان لقاؤنا في الهواء الطلق والأوراق المتساقطة تحتنا على الرصيف يدفعها النسيم من جانب طاولتي إلى جانبه، ولهذا أمعنت النظر فيه، وندمت، ثم صوّبت نظري عبر الشارع. لقد تحوّل الضوء ففاتتني مشاهدة الضوء المتحوّل. وتناولت المشروب لأرى ما إذا كان قدومه قد أفسد مذاقه، ولكنه بقي كما هو.

قال: «أنت مكتئبٌ جداً».

- «لا».

- «نعم، أنت مكتئب، تحتاج إلى أن تتنزّه أكثر. توقّفتُ هنا



لأدعوك لمشاركتنا السهرات الصغيرة التي نحييها في مرقص المزمار[7] الممتع بالقرب من ساحة كونتر إسكارب في شارع الكاردنال لوموان».

- «لقد سكنتُ فوقه مدة سنتَين قبل أن تأتي إلى باريس آخر مرة».

- «ما أغرب ذلك. هل أنت متأكد؟».

قلت: «نعم. أنا متأكد. فلدى الرجل الذي يملكه، سيارة أجرة. وعندما كنت أستقلّ الطائرة كان يأخذني إلى المطار، ونتوقف عند بار المرقص لتناول كأس من النبيذ الأبيض قبل أن ننطلق إلى المطار».

فقال فورد: «لم ألفِ في نفسي اهتماماً بالطيران. ستأتي أنت وزوجتك إلى مرقص المزمار ليلة الأحد. إنه ممتع حقاً. سأرسم لك خريطة لتهتدي إليه. لقد عثرت عليه بمحض الصدفة».

قلت: «إنه تحت البناية رقم 74 في شارع الكاردنال لوموان. وكنت أسكن في الطابق الثالث في تلك البناية».

وقال فورد: «لا يوجد رقم. ولكنك تستطيع أن تعثر عليه إذا وجدت ساحة كونتر إسكارب».

وتناولتُ جرعةً أخرى كبيرة من المشروب. وجلب النادل لفورد المشروب الذي طلبه، ولكن فورد أخذ يصحّحه قائلاً بشدّة: «لم يكن طلبي براندي بالصودا. لقد طلبت مشروب الشامبري وعصير الكشمش».

وقلت: «لا بأس، يا جان، سآخذ البراندي، واجلبْ للسيد ما يطلبه الآن».



وصحّح لي فورد قائلاً: «ما طلبتُه».

وفي تلك اللحظة مرّ على الرصيف رجل نحيل نوعاً ما يتلفّع بقبّ، وبصحبته امرأة فارعة الطول. وألقى نظرة عجلى على طاولتنا ثم حوّل نظره بعيداً، وواصل طريقه في الشارع.

وقال فورد: «هل رأيتني وأنا أرفض ردّ تحيته؟ هل رأيتني وأنا أرفض ردّ تحيته؟».

- «لا، مَن؟».

قال فورد: «بِلوك[8]، لم أردّ على تحيته».

قلت: «لم أرَ شيئاً. ولماذا لم تردّ تحيته؟».

قال فورد: «لكلٍّ سبب وجيه في الوجود. لقد رفضتُ ردّ تحيته».

وبدا في غاية السرور. لم أرَ بِلوك من قبل ولا أعتقد أنه شاهدنا. بدا لي مثل رجلٍ كان يفكر في شيء ما ونظر إلى طاولتنا بعجلة وبصورة تكاد تكون تلقائية. وتألّمتُ لأنّ فورد أساء إليه، لأنني كنت شاباً في بداية مشواري الأدبي وأكنّ له احتراماً عظيماً بوصفه كاتباً أكبر سناً. هذا الاحترام لا يمكن فهمه اليوم، ولكن في تلك الأيام كان شائعاً.

وفكّرتُ أنه من بواعث الغبطة لو توقّف بِلوك عند طاولتنا وأُتيحت لي فرصة التعرُّف عليه. لقد أفسد فورد أمسيتي ولكن بلوك كان سيجعلها أفضل.

وسألني فورد: «ولأي شيء تشرب البراندي. ألا تعرف أن الشروع في شرب البراندي أمر مهلك لكاتبٍ شابّ؟».



قلت: «لا أشربه كثيراً». وحاولت أن أتذكّر ما قاله لي عزرا باوند عن فورد، إذ أوصاني بأن لا أقسو عليه، وأن أتذكّر أنه قد يكذب عندما يمسي متعباً، وأنه في الحقيقة كاتبٌ جيّد، وأنه قاسى من مشاكلَ عائليةٍ عويصة. حاولت جاداً أن أفكر في هذه الأمور، ولكن حضور فورد الثقيل الوضيع المصحوب بصفير تنفسه على مقربة مني جعل الأمر صعباً. ولكنني حاولت.

وسألت: «قل لي لماذا يرفض الإنسان ردَّ تحية الآخرين؟» وحتى ذلك الحين ظننت أن ذلك شيء لا يحدث إلّا في الروايات التي تكتبها أويدا[9]. لم أتمكن أبداً من قراءة واحدة من روايات أويدا، حتى في منتجعات التزلّج في سويسرا حيث تنفد المطبوعات عندما تهبّ ريح الجنوب الرطبة، ولا تبقى إلا طبعات تاوشنتس[10] الصادرة قبل الحرب. ولكنني كنت متأكداً، بحاسة سادسة، أنّ الناس يرفض أحدهم ردّ تحية الآخر في رواياتها.

وقال لي فورد موضِّحاً: «إنَّ الرجل النبيل يرفض دائماً ردّ تحية الوغد».

وأخذتُ جرعة سريعة من البراندي. وسألت: «هل يرفض النبيل ردّ تحية السوقيّ المسكين؟».

- «يستحيل على الرجل النبيل أن يعرف سوقيّاً مسكيناً».

وتابعت قائلاً: «إذن يمكنك أن ترفض ردَّ تحية شخصٍ ما عرفته على أساس الند للند؟».

- «طبعاً».

- «وكيف يستطيع الواحد منا أن يلتقي وغْداً؟».

- «قد لا تعرف حقيقته، أو أنه أضحى وغداً فيما بعد».



وسألت: «مَن هو الوغد؟ أليس هو الشخص الذي يجب أن يجلده الإنسان حتى يشارف على الموت؟».

فقال فورد: «ليس بالضرورة».

وسألت: «هل عزرا باوند رجل نبيل؟».

قال فورد: «طبعاً لا. إنه أميركي».

- «ألا يمكن أن يكون الأميركي رجلاً نبيلاً؟».

أجاب فورد: «ربما جون كوين[11]. بعض سفرائكم».

- «ميرون ت. هيريك[12]؟».

- «من المحتمل».

- «هل كان هنري جيمس[13] رجلاً نبيلاً؟».

- «تقريباً».

- «أأنتَ رجل نبيل؟».

- «طبعاً. تسنّمت عضوية لجان صاحب الجلالة».

- وقلت: «إنه أمر معقّد جداً. هل أنا رجل نبيل؟».

قال فورد: «لا. بتاتاً».

- «إذن، لماذا تنادمني الشراب؟».

- «أشرب معك بوصفك كاتباً واعداً. كاتب زميل في الحقيقة».

قلت: «هذا جميلٌ منك».

وقال فورد برحابة صدر: «قد تُعدّ رجلاً نبيلاً في إيطاليا».

- «ولكنني لست سوقياً؟».

- «طبعاً، لا، أيها الفتى العزيز. مَن قال شيئاً مثل ذلك؟».

قلت بحزن: «قد أُصبحُ كذلك بسبب شرب البراندي وما إليه.



هذا ما حصل لـ **لورد هاري هوتسبور**[14]، للكاتب ترولوبه[15]. أخبرني، هل كان ترولوبه رجلاً نبيلاً؟».

- «طبعاً لا».
- «هل أنت متأكد؟».
- «قد يوجد رأيان، ولكن ليس بالنسبة لي».
- «وهل كان فيلدنغ[16] رجلاً نبيلاً؟ فهو قاضٍ».
- «ربما من الناحية التقنية».
- «ومارلو[17]؟».
- «طبعاً لا».
- «وجون دون[18]؟».
- «كان كاهناً».

قلت: «هذا ممتع».

قال فورد: «أنا مسرور لأنك مهتمٌّ بالموضوع. سأتناول براندي معك قبل أن أذهب».

وبعد أن غادر فورد حلّ الظلام، وسرتُ إلى الكشك واشتريت جريدة **البذلة الرياضية الباريسية**[19] وهي آخر طبعة من جريدة السباق المسائية وفيها نتائج سباق الخيل في أوتي وبرنامج سباق انغهاين لليوم التالي. وجاء النادل إميل، الذي حلّ محل جان بعد انتهاء عمله، إلى طاولتي ليرى نتائج سباق الخيل في أوتي. ووصل صديق عزيز لي قلّما يرتاد مقهى بستان الليلك وجلس إلى طاولتي، وبينما كان يطلب مشروباً من إميل مرّ الرجل النحيل الذي يتلفّع بالقب وبرفقته السيدة الطويلة على الرصيف، وتحولت نظرته إلى طاولتنا ثم بعيداً عنا.



وقلت لصديقي: «هذا هو هيلير بلوك. كان فورد هنا بعد الظهر ورفض ردّ تحيته».

فقال صديقي: «لا تكن سخيفاً. هذا أليستر كراولي[20]. يفترض أنه شرّ الناس في هذا العالم».

قلت: «آسف».



10

ميلاد مدرسة جديدة

دفاتر ذات أغلفة زرقاء وقلما رصاص ومبراة (فالسكين مفيدة أكثر من اللازم)، وطاولة مرمرية، ورائحة الصباح الباكر، والكنس والتنظيف، والحظّ؛ هذا كلّ ما كنتَ تحتاجه. ولجلب الحظّ كنتَ تحمل حدوة حصان وقدم أرنب في جيبك الأيمن. وكانت قدم الأرنب قد بليت منذ مدة طويلة، وجلى الاستعمال عظامها وأعصابها. وكانت أصابع يدك تنبش في بطانة جيبك فعرفتَ أنّ الحظ ما زال معك.

كانت الأمور تجري في بعض الأيام بصورة حسنة فكنتَ تستطيع أن تذهب إلى الريف فتتمشّى في الغابة وتخرج منها إلى الضوء، وتتسلّق إلى أرض مرتفعة وترى التلال متناثرة وراء ذراع البحيرة. وقد ينكسر رأس قلم الرصاص في فتحة المبراة المخروطية فتستعمل شفرة صغيرة بسكين الجيب لإخراج الرأس المكسور أو حتى لبري القلم بعناية، ثم تدسّ ذراعكَ تحت سير الحقيبة الجلديّة التي أصبحت لها رائحة الملح بسبب العرق فترفعها مرة أخرى ثم تضع ذراعك الأخرى تحت السير الآخر وتشعر بالحمل يستقر على ظهرك، ووريقات الصنوبر تتكسّر تحت حذائك وأنت تنطلق نحو البحيرة.



وفي تلك اللحظة تسمع شخصاً يقول: «مرحباً، همنغواي، ما الذي تحاول أن تفعله؟ تكتب في مقهى؟».

حينئذٍ يفارقك الحظّ، فتغلق الدفتر. كان هذا أسوأ ما يمكن أن يحدث. وإذا كان في ميسورك أن تكبح جماح غضبك فهذا أفضل، ولكنني لم أُحسن ذلك يوم ذاك وقلت: «أنت يا بن الكلبة القذر ما الذي تفعله هنا بعيداً عن طريقك الوسخة؟».

- «لا توجّه إهاناتك إليّ لمجرّد أنك تريد أن تبدو كأنك غريب الأطوار».

- «خُذ فمك القذر وابتعد من هنا».

- «إنه مقهى عمومي. لي الحقّ نفسه الذي لك في ارتياده».

- «لماذا لا تذهب إلى مكانك المعتاد في مقهى الكوخ الصغير[1]؟».

- «يا الله، لا تكن متعِباً جدّاً».

وعند ذاك كان بإمكانك أن تغادر المقهى على أمل أن تكون تلك مجرّد زيارة عابرة وأن دخول الزائر ذلك المقهى محض مصادفة لا تتحوّل إلى ابتلاء دائم. ثمَّة مقاهٍ جيّدة عديدة يمكنك أن تعمل فيها لكنها تقع على مسافة بعيدة، وهذا المقهى هو الأقرب إلى منزلي. ومن المؤسف أن أُطرَد من مقهى (بستان الليلك). وكان عليّ إمّا أن أتخذ موقفاً واضحاً أو أن أغادر المقهى. ومن الأرجح أن الكياسة كانت تقتضي مغادرة المقهى ولكن الغضب أخذ مني مأخذه وقلتُ: «اسمع، إنّ لقذرٍ مثلك أماكن كثيرة يستطيع الذهاب إليها، لماذا تأتي إلى هنا وتدنّس مقهى محترماً؟».

- «أتيت هنا لأتناول مشروباً. ما الخطأ في ذلك؟».



- «في المنزل يمكن أن يسقوك الشراب وتحطّم الكأس».

- «أين المنزل؟ يبدو مكاناً ساحراً».

كان يجلس إلى الطاولة المجاورة، شاب طويل سمين يرتدي نظارات القراءة. وكان قد طلب كأس بيرة. وفكّرت أن أتجاهله وأرى إذا كان يمكنني الكتابة. وهكذا تجاهلته ودوّنت جملتين.

- «كل ما فعلتُه أنني تحدّثتُ إليك».

واصلتُ عملي وكتبتُ جملةً أخرى. من الصعوبة أن تتوقّف عن الكتابة عندما تنطلق وأنت منغمس فيها.

- «أظنُّ أنك أصبحت عظيماً جداً بحيث لا يستطيع أحد أن يكلّمك».

وكتبتُ جملةً أخرى ختمت بها الفقرة، وأعدتُ قراءة تلك الفقرة. ما زال الأمر على ما يرام وكتبت الجملة الأولى من الفقرة التالية.

- «أنت لا تُعِرْ بالاً لأيّ إنسان آخر، ولا تفكر في أنّ له مشاكله كذلك».

لقد سمعت شكوى الآخرين طوال حياتي. وألفيت أنّ في مكنتي أن أواصل الكتابة، وأن شكواه ليست أسوأ من أنواع الضوضاء الأخرى، وبالتأكيد أفضل من الضوضاء التي يُحدِثها عزرا باوند وهو يتعلم العزف على المزمار.

- «تصوّر أنك أردت أن تكون كاتباً، وتملّكت تلك الرغبة كيانك، ولكن الكتابة لا تواتيك».

وواصلتُ الكتابة، وأخذ الحظّ يحالفني في تلك اللحظة تماماً.



- «افترض مرة أن الكتابة اجتاحتك كَسَيْل جارف ثم ابتعدت عنك وتركتك أصمّ أبكم».

وقلتُ في نفسي أن تكون أصمّ صامتاً خير من أصمّ ثرثار، وواصلتُ الكتابة.

والآن وقد اندفع شاكياً راحت العبارات تتدفّق من فمه بصورة لا تُصدّق مثل ضوضاء يُحدثها قطع لوح خشب ثخين في المنشرة.

وسمعته يقول بعد ذلك: «ذهبنا إلى اليونان» وكنت قبل ذلك لا أسمعه إلّا مثل ضوضاء. ونظراً إلى أنني تقدّمت في الكتابة صار بمقدوري أن أتوقّف وأستأنفها في اليوم التالي.

- «هل قلتَ إنك تناولت المخدّر أم ذهبت إلى هناك؟».

قال: «لا تكن فَظّاً. ألا تريدني أن أخبرك بالبقيّة؟».

قلت: «كلا» وأغلقت دفتري ووضعته في جيبي.

- «ألا يهمّك أن تعرف كيف انتهت الرحلة؟».

- «كلا».

- «ألا تهتمّ بحياة إنسان مثلك ومعاناته؟».

- «ليس بك أنت».

- «أنت متوحّش».

- «نعم».

- «ظننت أنك تستطيع مساعدتي، يا همنغواي».

- «سأغدو سعيداً إذا أطلقت النار عليك».

- «أتفعل ذلك؟».

- «لا، لأنه يوجد قانون يجرّم ذلك».

- «أما أنا فأفعل أيّ شيء من أجلك».



- «حقاً؟».

- «طبعاً».

- «إذن ابتعد عن هذا المقهى. ابدأ بهذا».

ونهضتُ واقفاً وحضر النادل ودفعت ما عليّ.

- «هل تسمح لي أن أتمشّى معك إلى المنشرة، يا همنغواي».

- «لا».

- «حسن، سأراك في وقت آخر».

- «ليس هنا».

قال: «وهو كذلك. أعدك».

وارتكبت خطأ إذ سألته: «ماذا تكتب الآن؟».

- «أكتب أفضل ما أستطيع. تماماً كما تفعل أنت. ولكن الأمر صعب جداً».

- «ينبغي ألّا تكتب إذا كنت لا تستطيع أن تكتب. ولماذا يتوجَّب عليك أن تتباكى بسبب ذلك. اذهب إلى بلادك. احصل على وظيفة. اشنق نفسك. فقط لا تتكلَّم عنها. أنت لا تستطيع الكتابة أبداً».

- «لِمَ تقول ذلك؟».

- «هل سمعت نفسك وأنت تتكلّم؟».

- «إنني أتكلم عن الكتابة».

- «إذاً اصمت».

قال: «إنك لقاسٍ حقاً. كان كلُّ واحد يقول عنك باستمرار إنك قاسٍ وبلا قلب ومغرور. وكنت أدافع عنك دائماً. ولكن لن أفعل ذلك بعد اليوم».



- «حسن».

- «كيف يمكنك أن تقسو على إنسان مثلك؟».

قلت: «لا أدري. اسمع. إذا كنت لا تستطيع أن تكتب، لماذا لا تتعلم كتابة النقد؟».

- «أتعتقد أنني يجب أن أفعل ذلك؟».

فأخبرته: «سيكون أفضل. وعند ذاك تستطيع أن تكتب دائماً. وسوف لا يساورك القلق بشأن عدم مجيء الكتابة وتحوّلك إلى أصمّ أبكم. وسيقرأ الناس ما تكتب ويحترمون رأيك».

- «أتظنّ أن في وسعي أن أصبح ناقداً جيداً؟».

- «لا أعرف مدى الجودة. ولكن بإمكانك أن تكون ناقداً. سيكون هناك دوماً مَن يساعدك، وأنت تساعد جماعتك».

- «ما الذي تعنيه بجماعتي؟».

- «الذين تخرج معهم».

- «آه، هؤلاء. لهم نقادهم».

وقلت: «لا يتحتَّم عليك أن تكون ناقدَ كُتب. هناك اللوحات، والمسرحيات، والباليه، والسينما».

- «إنك تجعل الأمر شائقاً، يا همنغواي، أشكرك كثيراً. إنه لأمرٌ مثير. والنقد كتابة إبداعية كذلك».

- «كثيراً ما نبالغ في شأن الإبداع. وبعد هذا وذاك فالله خلق العالم في ستة أيام واستراح في اليوم السابع».

- «وطبعاً لا شيء يمنع من مزاولة الكتابة الإبداعيّة كذلك؟».

- «لا شيء. ما عدا وضعك مقاييس عالية في نقدك يستحيل بلوغها».



- «ستكون مقاييسي عالية. يمكنك أن تعتمد عليّ في ذلك».

- «أنا على يقين من هذا».

وبعد أن أَصبح ناقداً دعوته لتناول مشروب معي فلبى الدعوة.

قال: «همنغواي»، فتأكد لي أنه صار ناقداً لأن النقّاد يضعون في أحاديثهم اسمك في بداية الجملة وليس في آخرها، «عليّ أن أبلّغك أنني ألفي أسلوبك متخشّباً بعض الشيء».

قلت: «هذا مؤسف جداً».

- «همنغواي، إنه أجرد أكثر من اللازم وأعجف أكثر من اللازم».

- «يا لسوء الحظّ».

- «همنغواي، إنه متخشّب كثيراً، وأجرد كثيراً، وأعجف كثيراً، ومتصلّب كثيراً».

وتحسَّستُ قدم الأرنب في جيبي مع شعور بالذنب. وقلت: «سأحاول أن أسمّنه قليلاً».

- «تذكّر أنني لا أريده مترهّلاً».

وقلت له مقلداً النقّاد في الكلام: «هارولد[2]، سأتجنّب ذلك قدر الإمكان».

وقال بحزم: «يسرّني أن نتّفق في وجهة نظرنا».

- «وتتذكّر ألا تأتي إلى هنا عندما أعمل؟».

- «طبعاً، همنغواي، من الطبيعي. أصبح لي مقهى خاص بي الآن».

- «أنت لطيف جداً».

قال: «أحاول أن أكون كذلك».



كان الأمر مثيراً ومفيداً لو أنَّ ذلك الشاب أصبح ناقداً مشهوراً، ولكن ذلك لم يحدث على الرغم من أن آمالاً كبيرة راودتني بعض الوقت.

لم أكن أتوقّع مجيئه في اليوم التالي ولكنني لم أشأ أن أخاطر وقرَّرت أن أمنح (بستان الليلك) عطلةَ يومٍ. وهكذا استيقظت باكراً في الصباح التالي، وغسلت قنينة الإرضاع وخلمتها في الماء المغلي، وأعددتُ الحليب، ووضعتهَ في القنينة، وأعطيتها للسيد بومبي[3]، واشتغلت على طاولة غرفة الطعام قبل أن يستيقظ أحد غيره وغير القط ف. بوس[4] وأنا. وكان كلاهما هادئاً ونعم الرفيق، واشتغلت أفضل من أيّ وقت مضى. وفي تلك الأيام كنتَ لا تحتاج في الحقيقة إلى أي شيء، حتى ولا إلى قدم الأرنب، ومع ذلك فقد كان من الأفضل أن تحسَّ أنها في جيبك.



11

مع باسكِن[1] في مقهى القبة

كان مساء رائعاً وكنتُ قد عملت بجدّ طوال النهار، فغادرتُ شقّتي الكائنة فوق المنشرة وخرجت مارّاً بباحة العمارة المكتظّة بأكوام مبعثرة من الخشب، وأغلقتُ الباب ورائي، وقطعت الشارع، وذهبت إلى الباب الخلفي للمخبزة التي تقع واجهتها على شارع مونبرناس، وتناهت إليّ وأنا أخترق المخبزة متّجهاً إلى الشارع، روائح الخبز الشهيّة المنبعثة من الأفران والدكان. وكانت مصابيح المخبزة مضاءة في حين كان النهار في الخارج يلفظ أنفاسه الأخيرة. وسرتُ في الشارع في ضوء الغسق، وتوقّفت أمام شرفة مطعم زنجي تولوز[2] حيث وُضِعتْ المناديل ذات المربعات الحمراء والبيضاء في حلقات خشبية على رفّ خاص وهي في انتظارنا لتناول طعام العشاء. وقرأت لائحة الطعام المخطوطة بحبر قرمزي ولحظت أن «صحن اليوم» مجموعة من المقبّلات الشهيّة. وشعرت بالجوع بمجرد قراءة اسمها.

وبادرني صاحب المطعم السيد لافين[3] بالسؤال عن سير عملي فقلت له إنه على أحسن ما يرام. وقال لي إنه سبق أن شاهدني ذات يوم وأنا أكتب في شرفة مقهى بستان الليلك في الصباح الباكر ولكنه لم يكلمني لأنني كنت منهمكاً تماماً. وقال:



- كان يبدو عليك وكأنك رجلٌ وحيد في الأدغال.
- إنني مثل خنزير أعمى عندما أعمل.
- ولكن ألم تكن في الأدغال؟
قلت: في البستان.

وواصلت سيري في الشارع وأنا أشاهد واجهات المحلات. وغمرتني السعادة بفضل تلك الأمسية الربيعية ووجوه المارّة من الناس. ورأيت في المقاهي الرئيسة الثلاث في ذلك الشارع أناساً أعرف بعضهم بوجوههم وبعضهم الآخر سبق أن تبادلتُ الحديث معهم. ولكن كان هناك دائماً أناس عديدون أكثر أناقة لم أكن أعرفهم وهم مسرعون، في تلك الأمسية وقد أخذت مصابيح الشوارع تُضاء، إلى مكان ما ليشربوا معاً، أو يأكلوا سوية، ومن ثم ليتطارحوا الغرام. وقد يفعل الناس الجالسون في المقاهي الرئيسة الشيء ذاته أو يستمتعون فقط بالجلوس والشراب والحديث ويسرّهم أن يراهم الآخرون. أما الناس الذين أحبّهم ولم ألتقِ بهم في ذلك الشارع فإنهم ذهبوا إلى المقاهي الكبرى لأنهم سيضيعون هناك ولا يلاحظهم أحد، وهكذا يصير بميسورهم أن يمضوا الأمسية وحدهم ومع الآخرين في آنٍ واحد. والمقاهي الكبرى رخيصة كذلك، وجميعها تتوفّر على جعة جيّدة ومشهّيات لذيذة بأسعار معقولة دُوّنت بوضوح على الصحون التي تقدّم فيها.

راودتني في تلك الأمسية أفكارٌ عامّة ولكنها ليست أصيلة. شعرت باستقامتي الفائقة لأنني عملتُ طوال النهار عملاً جادّاً جيّداً مع أنّ رغبة الذهاب إلى سباق الخيل قد ألحّت عليّ بشدة في ذلك اليوم. ولكن في ذلك الوقت لم يكُن في وسعي الذهاب على الرغم



من إمكان كسب المال هناك إن بذلتُ جهداً في دراسة ظروف السباق. كان ذلك قبل ظهور اختبارات اللعاب والوسائل الأخرى التي تضبط الخيول المنشَّطة اصطناعياً، وكان استعمال العقاقير المنشِّطة يُمارَس بكثرة. وهكذا فإذا استطعتَ أن تتعرّف على الخيول التي تناولت المنشطات من الأعراض التي تبدو عليها وهي في الحقل المجاور لحلبة السباق مع استخدام نفاذ البصيرة الذي يقع أحياناً خارج حدود الإدراك الحسّيّ، ودعمتَ ذلك بشيء من المال، فإنه لا يمكنك أن تخسر، ولكن ليست تلك هي الطريق التي ينبغي أن يسلكها شابٌّ في مقتبل العمر يعيل زوجةً وطفلاً ومتفرِّغٌ تماماً لتعلّم كتابة النثر.

كنا لا نزال فقراء جداً بجميع المقاييس، وكنت ما زلت أحاول أن أوفّر بعض النقود القليلة فأخبر زوجتي، مثلاً، أنني مدعو للغداء ثم أمضي ساعتين أتمشّى في حدائق لوكسمبورغ، وأعود إلى المنزل لأصف لها ذلك الغداء الرائع. عندما يكون عمرك خمسة وعشرين عاماً وجسمك من الوزن الثقيل بطبيعته، فإنك تجوع جداً إذا فاتتك إحدى الوجبات اليوميّة. ولكن الجوع يجعل إدراكك أكثر حدّة، واكتشفتُ أن عدداً من الناس الذين كتبت عنهم لهم شهيّة قويّة ورغبة عارمة في الطعام، ويتلهّف معظمهم إلى تناول المشروبات.

لقد شربنا نبيذ كاهور[4] الجيّد من الغرافة بالربع والنصف أو بالكامل في مقهى زنجي تولوز، وعادة يمزج هذا النبيذ بالماء بما يساوي الثلث تقريباً. وفي بيتنا الواقع فوق المنشرة، لدينا نبيذ كورسيكي ذو سطوة عظيمة وهو زهيد الثمن. إنه نبيذٌ كورسيكيٌّ أصيل يمكنك أن تمزجه بالماء مناصفة ومع ذلك تصلك رسالته.



وفي تلك الأيام يمكنك أن تعيش جيّداً في باريس على لا شيء تقريباً، وبتخطّي وجبات من حين إلى آخر وعدم شراء ملابس جديدة نهائياً، يمكنك أن توفّر بعض المال جانباً لتنعم ببعض الترف.

رجعت من مقهى النخبة[5] بعد أن غيّرت رأيي في دخوله لدى رؤية هارولد ستيرنز[6] الذي كنت أعرف أنه سيتكلم عن الخيول، تلك الحيوانات التي أعتقد بحقّ ورضا أنني نسيتها. ولما كنت ممتلئاً بالشعور بالاستقامة ذلك المساء، فقد مررتُ بمجموعة من الزملاء في مقهى روتوند، وعبرتُ الشارع وأنا ألعن الرذيلة والغريزة الجماعية، واتجهت إلى مقهى القبة. وكان هذا المقهى مزدحماً كذلك، ولكنه يضمُّ أناساً أمضوا النهار في العمل.

كان في ذلك المقهى عارضات أزياء عملن طوال النهار، ورسّامون عملوا كذلك حتى تلاشى ضوء النهار، وهناك نُدُل أنهوا عملَ نهارٍ بحسناته وسيئاته، وهناك ندامى وشخصيّات أعرف بعضهم وبعضهم الآخر للزخرفة المحضة.

دخلتُ ذلك المقهى وجلست إلى طاولة مع باسكِن وعارضتَي أزياء كانتا أُختَين. فقد لوّح لي باسكِن بيده عندما كنت واقفاً على الرصيف في شارع دلامبر[7] وأنا أتساءل في نفسي عمّا إذا كان ينبغي أن أتوقف هنا وأتناول مشروباً أم لا. وباسكِن رسّام جيد وكان ساعتئذٍ ثملاً، ولكنه متماسك ومعقول. وكانت عارضتا الأزياء شابتَين وجميلتَين. إحداهما سمراء جداً وصغيرة، ولها قوامٌ جميل وتعطي انطباعاً زائفاً بالتهتّك. والأخرى مثل طفلة بليدة ولكنها جميلةٌ جداً بشكلٍ طفولي. ولم يكُن لها القوام الجميل الذي لأختها.



قال باسكِن: «الأختان الصالحة والطالحة. عندي نقود ماذا ستشرب؟».

قلت للنادل: «نصف غرافة من الجعة».

- خُذ ويسكي. عندي نقود.

- أحبُّ الجعة.

- لو كنت تحبُّ الجعة حقاً لذهبتَ إلى ليبس. أفترضُ أنك كنت تعمل طوال النهار؟

- نعم.

- والعمل في تقدم؟

- بصورة جيدة، وأنا مسرور، وكلُّ شيء ما زال له مذاق طيّب.

- كم عمرك؟

- خمس وعشرون.

- هل تريد أن تضاجعها؟ ونظر في اتجاه الأخت السمراء وابتسم «إنها بحاجة إلى ذلك».

- ربما ضاجعتها أنت اليوم بما فيه الكفاية.

وابتسمت لي بشفتَين منفرجتَين، وقالت: «إنه شرير، ولكنه لطيف».

- يمكنك أن تأخذها إلى المرسم.

وهنا قالت الأخت الشقراء: «لا تكن بذيئاً».

فسألها باسكِن: «مَن وجّه الكلام إليك؟».

- لا أحد ولكني قلت رأيي.



فقال باسكِن: «دعونا نرتاح. الكاتب الشابُّ الجادُّ، والرسام العجوز الودود العاقل، والفتاتان الجميلتان، والحياة كلُّها أمامهم».

وجلسنا هناك، والفتاتان ترتشفان مشروبهما، وباسكِن يتناول كأسَ نبيذٍ ثانية، وأنا أشرب جعتي، ولكن ما من أحد كان مرتاحاً ما عدا باسكِن. فالفتاة السمراء متململة وجالسة بوضعية استعراضية وهي تدير وجهها لتدع الضوء يسقط على أجزائه المقعرة، وتسمح لي برؤية نهديها من تحت الكنزة السوداء. وكان شعرها ذو القصة القصيرة ناعماً وأسود مثل شعر فتاة شرقيّة.

وقال لها باسكِن: «لقد وقفت طوال اليوم للعرض، فهل عليك أن تستعرضي هذه الكنزة في المقهى الآن كذلك؟».

فقالت: «إن ذلك يسرّني».

قال: «تبدين مثل لعبة جاويّة».

قالت: «ليس العينان. إن الأمر أكثر تعقيداً ممّا تقول».

- إنك تشبهين دُميةً صغيرةً شريرةً مسكينة.

قالت: «ربّما، ولكن مليئة بالحياة أكثر منك».

- سنرى ذلك.

قالت: «حسن. أحب البراهين».

- ألم يكفك برهان اليوم؟

- «آه، ذلك». ثم استدارت لتتلقّى أشعة المساء الأخيرة بوجهها، «كلُّ ما هناك إنك كنت منهمكاً بعملك». ثم قالت لي: «إنه يعشق قماش الرسم. هناك دائماً نوعٌ من القذارة».

قال باسكِن: «تريدينني أن أرسمك وأدفع لك مقابل ذلك



وأضاجعك ليبقى فكري صافياً، وأعشقك كذلك، أيتها الدمية الصغيرة المسكينة».

وسألتني: «أنت تجدني جميلة، أليسَ كذلك؟».

- جداً.

فقالت بحزن: «ولكنك ضخم أكثر من اللازم».

- الجميع بالمقاس نفسه في الفراش.

فقالت أختها: «هذا ليس صحيحاً. وقد مللتُ هذا الكلام».

قال باسكِن: «اسمعي، إذا كنت تظنين أنني مغرم بالقماش، فسأرسمك بالألوان المائية غداً».

وسألت أختها: «متى سنأكل، وأين؟».

وسألتني الفتاة السمراء: «هل ستأكل معنا؟».

فقلت: «لا، سأذهب لآكل مع رفيقتي الشرعية». هكذا كانوا يقولون يوم ذاك عن الزوجة، أما اليوم فيقولون «رفيقتي المعتادة».

- وهل عليك أن تذهب؟

- عليّ أن أذهب وأريد أن أذهب.

فقال باسكِن: «اذهب إذن، ولا تقع في غرام ورق الآلة الكاتبة».

- إذا حدث ذلك، فسأكتب بقلم الرصاص.

فقال: «غداً، الألوان المائية. حسن، يا أبنائي، سأشرب كأساً أخرى، ونأكل حيث تشاؤون».

فقالت الفتاة السمراء: «في مطعم الفايكنغ».

وقالت أختها حاثّة: «وأنا كذلك».



وقال باسكِن موافقاً: «طيب. ليلة سعيدة أيها الشاب، نَمْ جيّداً».

- وأنت كذلك.

قال: «سيُبقيانني مستيقظاً. لن أنام».

- نَمْ هذه الليلة.

- بعد الذهاب إلى مطعم الفايكنغ[8]؟ وابتسم ابتسامة عريضة وقبعته على مؤخرة رأسه. وبدا مثل شخصية مسرحية من شخصيات برودواي[9] في التسعينيات وليس ذلك الرسّام الرائع الذي عرفته. وفيما بعد عندما شنق نفسه، كنت أودّ أن أتذكره كما كان في تلك الليلة في مقهى (القبة). يقولون إنّ بذور ما سنفعل في المستقبل كامنة في كلٍّ واحدٍ منا، ولكن كان يبدو لي دائماً أن أولئك الذين يتندرون في الحياة لهم بذور مغطاة بتربة أفضل ومدعَّمة بسماد أرقى.



12

عزرا باوند وحبه للأدب

كان عزرا باوند دائماً ذلك الصديق الطيّب الذي يفعل الخير للآخرين باستمرار. ولا يقارَن فقرَ الشقّة الصغيرة التي يسكنها وزوجته دوروثي[1] إلّا بغنى شقّة غيرترود شتاين. وتتوفّر شقّته على ضوء جيّد وموقد لتدفئتها وفيها لوحات لفنانين يابانيين من معارف عزرا. وهؤلاء الفنانون هم من المعروفين في بلادهم ولهم شَعرٌ أسود لامع طويل يهبط إلى الأمام عندما ينحنون؛ وكنت معجباً بهم جدّاً، ولكن لوحاتهم لم ترُق لي. لم أفهم تلك اللوحات على الرغم من أنها ليست لغزاً، وعندما كنت أفهمها لم تكُن تعني شيئاً لي. وكنت آسف لذلك ولكن لم يكُن بوسعي أن أفعل شيئاً بصدده.

أما لوحات دوروثي فقد أحببتها كثيراً، وألفيتُ دوروثي جميلة جداً ولها قوام رائع. وأحببتُ كذلك تمثال عزرا النصفي الذي صنعه النحات غودي - برزيسكا[2]، وأعجبتني جميع الصور الفوتوغرافية لأعمال ذلك النحات التي أطلعني عليها عزرا في الكتاب الذي ألّفه عنه. وأعجب عزرا كذلك بلوحات بكابيا[3] ولكنني ظننت آنذاك أنها لا قيمة لها. وكذلك لم تعجبني لوحات وندهام لويس[4] التي أعجب بها عزرا كثيراً. كان يحبُّ أعمال أصدقائه، وهذا شيء جميل



كالإخلاص، ولكنه يمكن أن يتحوّل إلى كارثة كإصدار الحكم. ولم نتجادل أبداً حول هذه الأمور لأنني كنت ألزم الصمت بشأن الأمور التي لا أحبُّها. فقد شعرت بأنه من المحتمل أن يكون حبُّ الإنسان للوحات أصدقائه أو إنتاجهم الأدبي شبيهاً بحبِّ الناس لأسرهم، وليس من الكياسة انتقادهم. يمكنك أحياناً أن تصبر وقتاً طويلاً قبل أن تنتقد الأهل، أهلك الأقربين أو بالمصاهرة، ولكن الصبر أيسر في حالة الرسّامين السيّئين؛ لأنهم لا يقترفون أفعالاً مشينة ولا يسبّبون أذى بالغاً كما يستطيع الأقارب ذلك. وكل ما تحتاج أن تفعله في حالة الرسّامين السّيئين هو أن لا تنظر إلى لوحاتهم. ولكن حتى لو تعلّمتَ ألا تنظر إلى الأقارب وألّا تستمع إليهم وألا تجيب على رسائلهم، فإن لهم طرقاً عديدة لخلق المتاعب. لقد كان عزرا أكثر عطفاً على الناس وأكثر تديُّناً في تعامله معهم ممّا كنت. وكانت كتاباته، عندما يجيد، رائعة الكمال؛ وهو مخلص في أخطائه، ومفتون بهفواته، وفي منتهى اللطف مع الآخرين؛ ولهذا كنت أعدّه دائماً من القدّيسين. وهو كذلك سريع الغضب ولكن ربما وجد عدَّة قدّيسين غضوبين على شاكلته.

طلب مني عزرا أن أعلّمه الملاكمة، وبينما كنا نتمرن على الملاكمة في عصر يوم من الأيام في شقته التقيت بوندهام لويس لأوَّل مرَّة. لم يكن عزرا قد تمرّن على الملاكمة لوقت كافٍ وكنت أخجل من جعله يتلاكم أمام أحد من معارفه، وحاولت أن أُظهره في أفضل وضع ممكن. وكان ذلك صعباً لأن معرفته السابقة بالمبارزة بالسيف تؤثّر سلباً على تعلّمه مهارات الملاكمة. وكنت لا أزال أدرّبه على استخدام يده اليسرى في الملاكمة وتحريك قدمه اليسرى إلى



الأمام دائماً ثم وضع قدمه اليمنى بموازاتها. وهي حركات أساسية. ولم أتمكّن مطلقاً من تعليمه كيف يسدّد لكمة خاطفة من يسراه؛ أما تعليمه كيفية تقصير يمناه فقد تُرك للمستقبل.

كان وندهام لويس يضع على رأسه قبعة عريضة سوداء، مثل شخصية من الشخصيات المسرحية ويرتدي زياً مثل زيّ واحد من المشردين. وكان له وجه يذكرني بضفدع، ليس بضفدع كبير ولكن مجرّد أيّ ضفدع، وكانت باريس بمثابة بركة كبيرة بالنسبة إليه. كنا نعتقد في ذلك الوقت أن أيّ كاتب أو رسّام يستطيع أن يرتدي أيّ ملابس يمتلكها ولم يكن ثمة زيّ رسميّ للفنان، ولكن لويس كان يرتدي بذلة فنان ما قبل الحرب. وشعرت بالحرج وأنا أراه وهو ينظر بشموخ إلينا عندما كنت أتفادى الضربات التي يسدّدها عزرا إليّ أو أصدّها بقفاز اليد اليمنى المفتوح.

أردتُ أن نتوقّف غير أن لويس أصرّ على أن نستمرّ، وعلى الرغم من أنني لم أكن مدركاً لخفايا الأمور فقد شعرت بأنه كان يأمل أن يُصاب عزرا بأذى. لم يحدث شيء؛ لأنني لم أردّ مطلقاً على هجمات عزرا وإنما تركت عزرا يتحرّك باتجاهي ماداً يده اليسرى ومسدّداً بعض اللكمات بيده اليمنى، ثم قلت إننا انتهينا وغسلت يديّ بإبريق ماء ونشفتهما بمنشفة وارتديت كنزتي.

وتناولنا كأساً من شراب ما واستمعتُ إلى عزرا ولويس وهما يتحدّثان عن أناس في لندن وباريس. وراقبت لويس بعناية دون أن يبدو عليّ أنني كنت أنظر إليه، كما تفعل وأنت تلاكم، ولا أظنّ أنني رأيت في حياتي كلّها رجلاً يفوقه لؤماً. فبعض الناس تظهر عليهم أمارات الشرّ كما تظهر علامات التهذيب على جواد أصيل. ولهؤلاء



الأشرار عنفوان القرحة الصلبة. ولويس لم يظهر عليه الشر وإنما كان الشرّ مجسّداً.

وبينما كنت أسير عائداً إلى منزلي أخذت أتساءل عن الشيء الذي يذكّرني به مرآه. وكانت هناك أشياء مختلفة. كلها طبّية ما عدا «بوز الحذاء» وهذه كلمة عامية. حاولت أن أجزئ وجهه وأصفه ولكني استطعت أن أحصل على العينين فقط. فتحتَ القبعة السوداء بدت عيناه، لدى رؤيتهما أول مرة، مثل عينَي مغتصب نساء فاشل. وقلت لزوجتي: «لقد قابلت اليوم شرّ رجل رأيت في حياتي».

قالت: «يا تاتي، لا تحدِّثني عنه. رجاء لا تحدثني عنه. فنحن على وشك تناول طعام العشاء».

وبعد أسبوع تقريباً التقيت الآنسة شتاين وأخبرتها أنني قابلت وندهام لويس وسألتها ما إذا كانت قد تعرّفت عليه يوماً.

قالت: «إنني أدعوه بـ«الدودة ذات المقياس»». «إنه يأتي من لندن إلى باريس ويرى لوحة جيدة فيُخرج قلماً من جيبه، وتراه يقيس اللوحة بالقلم وإبهامه. ويطيل النظر إليها ويقيسها ويرى بالضبط كيف رُسمت. ثم يعود إلى لندن ويرسمها، ولكنَّه لا يفعل ذلك بصورة صحيحة، إذ يفوته جوهر الموضوع تماماً».

وهكذا اعتبرتُه دودة ذات مقياس. وهذا تعبير ألطف وأكثر تسامحاً ممّا فكرت به شخصيّاً عنه. وحاولت في وقت لاحق أن أحبّه وأكون صديقه كما فعلت مع أصدقاء عزرا جميعهم تقريباً بعد أن فسّر فحوى تصرُّفاتهم لي. ولكن هكذا بدا لي لويس عندما لقيته أوَّل مرَّة في شقّة عزرا الصغيرة.

كان عزرا أكثر الأدباء الذين عرفتُهم كرماً وأعظمهم نزاهة. لقد



ساعد شعراء ورسّامين ونحّاتين وكُتّاباً آمنَ بموهبتهم، وكان على استعداد لمساعدة أي إنسان آخر في مأزق سواء أكان ذا موهبة أم لا. كان يحمل هموم الجميع، وفي الوقت الذي التقيتُ به أول مرة كان قلقاً جداً بخصوص ت. س. إليوت[5]، الذي كان - كما أخبرني عزرا - يعمل في بنك بلندن، ولهذا لا يُتاح له الوقت الكافي ولا الساعات المناسبة لممارسة نظم الشعر.

أسّس عزرا صندوقاً اسمه حب الأدب بالتعاون مع الآنسة ناتالي بارني[6] وهي امرأة أميركية غنيّة ومشجّعة للفنون. وكانت الآنسة بارني قد ارتبطت بصداقة مع ريمي دو غورمون[7] الذي عاش قبل وقتي، ولها ندوة أدبيّة (صالون أدبي) في دارها تنعقد بمواعيد منتظمة، وتشتمل حديقة منزلها على معبدٍ إغريقيّ. وكان لعدد من النساء الثريات الفرنسيات والأميركيات صالونات أدبية، وقررتُ منذ البداية أن تلك الصالونات أماكن ممتازة ولكن عليّ أن أبتعد عنها، غير أن الآنسة بارني، على ما أعتقد، هي الوحيدة التي تتوفّر على معبدٍ إغريقيٍّ في حديقتها.

لقد أطلعني عزرا على مطوّية صندوق حب الأدب، وسمحت له الآنسة بارني بوضع صورة المعبد الإغريقي الصغير على المطوّية. وتتلخَّص فكرة الصندوق في مساهمتنا جميعاً في التبرع بجزء ممّا نكسب لنوفّر مبلغاً من المال يكفي لإخراج السيد إليوت من البنك ليتفرغ لنظم الشعر. وبدت لي تلك الفكرة جيّدة. وبعد أن أخرجنا السيد إليوت من البنك، قرّر عزرا أن نواصل العمل ونساعد الآخرين.

كنت أخلط الأشياء بعض الشيء، إذ كنت أشير دائماً إلى إليوت



باسم ميجر إليوت (وميجر اسم علم بالإنجليزية وتعني كذلك ضابطاً عسكرياً) متظاهراً بخلطه بـ (ميجر دوغلاس) وهو اقتصادي كان إليوت يتحمّس كثيراً لآرائه. ولكنَّ عزرا فهم من ذلك أن قلبي في المكان الصحيح وأنه مليءٌ بحبِّ الأدب حتّى وإن انزعج عزرا عندما كنت أطلب من أصدقائي التبرع لإخراج ميجر إليوت من البنك، فيسأل أحدهم عمّا يفعله ميجر (ضابطٌ عسكريّ) في بنك على أيّ حال، وإذا كان قد صُرف من الخدمة العسكرية ألا يتقاضى راتباً تقاعدياً أو على الأقل مكافأة نهاية الخدمة؟

في مثل تلك الحالات كنت أشرح لأصدقائي أن ذلك كله لا علاقة له بالموضوع، فإما أن تتوفر على حبّ الأدب أو لا. فإذا توفرت عليه فأنت تتبرع لتخليص الميجر من البنك، وإذا لم تتوفر عليه فهذا شيء سيّئ جداً. ألم يفهموا دلالة المعبد الإغريقي الصغير؟ لا؟ هذا ما ظننت. سيئ جداً، يا ماك. احتفظ بنقودك. إننا لا نمسّها.

وكنت بصفتي عضواً في صندوق حبّ الأدب أقوم بحملات نشطة، وكان أغلى أحلامي في تلك الأيام هو أن أرى الميجر رجلاً حرّاً خارج البنك. لا أتذكر كيف انتهى صندوق حبّ الأدب، ولكن أعتقد أن لذلك علاقة بنشر قصيدة (الأرض اليباب) التي أهّلت الميجر لنيل جائزة الدايل[8]، وبعد ذلك بوقت قصير دعمت سيدة تحمل لقباً من ألقاب النبلاء مجلّةً يُصدرها إليوت تدعى **المعيار**[9]، ولم يعد القلق يساورني أنا وعزرا بشأنه. وأظنُّ أن المعبد الإغريقي الصغير لا يزال في الحديقة. لقد ظلّت الخيبة تلاحقني دوماً لأننا لم نستطع تخليص الميجر من البنك بصندوق حبّ الأدب وحده، وكنت



أتصوّره في أحلامي قادماً ليعيش في المعبد الإغريقي الصغير، وأستطيع أن أذهب مع عزرا لتتويجه بأزهار الغار. وكنت أعرف أين أعثر على أزهار غار جميلة يمكنني اقتطافها، كنت سأذهب إليها ممتطياً دراجتي، وكنت أظن أن بإمكاننا أن نتوّجه في أي وقت يشعر بالوحدة أو في الوقت الذي ينتهي فيه عزرا من مراجعة مسودة قصيدة أخرى كبيرة مثل قصيدة (الأرض اليباب). ولكن الأمر برمته سار بشكل سيّئ من الناحية الأخلاقية بالنسبة لي، شأنه شأن كثير من الأمور؛ إذ أخذتُ المال الذي ادَّخرته لإخراج الميجر من البنك، إلى ضاحية أنغهاين وأنفقته على الرهان على خيول القفز التي كانت تحت تأثير المنشطات. وفي سباقَين من تلك السباقات، كانت الخيول المنشَّطَة التي راهنت عليها قد سبقت الخيول التي لم تتناول المنشطات أو التي لم تتناول منها ما يكفي، باستثناء سباق واحد كان فيه الحصان الذي راهنت عليه قد تناول المنشّطات أكثر من اللزوم لدرجة أنه رمى براكبه الجوكي أرضاً حتى قبل أن يبدأ السباق وهرب جرياً وأتمّ دورة كاملة حول الحلبة وهو يقفز قفزات رائعة لوحده كما يقفز الواحد منا في حلم. وبعد أن أوقفوه وركبه الجوكي شارك في السباق وحاز على نتيجة مشرفة، كما يقول الفرنسيون، ولكن بدون أن يربح أي شيء.

كنت سأسرّ أكثر لو ذهبت مدّخراتي إلى صندوق حب الأدب الذي لم يعُد موجوداً، ولكنني كنت أطمئن نفسي قائلاً إنني سأستطيع أن أتبرع من أرباح سباق الخيل بأكثر ممّا كنت أعتزم في الأصل.




مكتبة
الفكر الجديد

13

نهايةٌ غريبةٌ حقّاً

إن الكيفية التي انتهت بها علاقتي مع غيرترود شتاين غريبة حقّاً. كنا قد أصبحنا صديقَين حميمَين، وقدَّمتُ لها خدمات عملية مثل إقناعي فورد بالشروع في نشر كتابها الطويل على حلقات مسلسلة في مجلته، وساعدتها على طباعة مسوّدات الكتاب وتصحيحها. وكانت صداقتنا ستغدو أكثر حميميّة ممّا كنت آمل لها. ولكن ليس ثمة مستقبل كبير لرجال تربطهم صداقة بسيدات عظيمات على الرغم من أن هذا النوع من الصداقة ممتع تماماً قبل أن يؤول إلى الأفضل أو الأسوأ، ويتضاءل عادة مستقبل هذا الصنف من الصداقة مع النساء الكاتبات الطموحات جدّاً. وذات مرَّة، عندما تذرَّعت لعدم توقفي عند الرقم 27 في شارع فليريس ردحاً من الزمن بجهلي ما إذا كانت الآنسة شتاين في المنزل، قالت لي: «ولكن، يا همنغواي، لك حرّية دخول المنزل متى ما شئت، ألا تعرف ذلك؟ وأنا أعني ما أقول حقيقة، تعال في أي وقت والخادمة - وذكرت اسمها ولكنني نسيته - ستعتني بك، واشعرْ أنك في بيتك ريثما أصل».

لم أسئ استعمال هذا التخويل، بيدَ أني كنت أدخل الشقّة أحياناً وتقدم لي الخادمة شراباً، وأُلقي نظرة على اللوحات، وإذا لم



تصل الآنسة شتاين، شكرتُ الخادمة وتركت رسالة وانصرفت. وفي يوم من الأيام كانت الآنسة شتاين ورفيقة لها تستعدّان للسفر جنوباً بسيارة الآنسة شتاين، وقد طلبت مني أن آتي لتوديعها يوم سفرها قبل الظهر. دعتنا لزيارتها، وكنت وهادلي نقيم في فندق، ولكن كنا قد عزمنا على الذهاب إلى مكان آخر. ولم أذكر ذلك للآنسة شتاين بطبيعة الحال، آملاً أن نتمكن مع ذلك من الذهاب لتوديعها، بيد أن ذلك لم يتسنَّ لنا. لم أكن أعرف الكثير عن كيفية التخلف عن المواعيد. وكان عليّ أن أتعلّم. وأخبرني بيكاسو فيما بعد أنه كان يَعِد الأغنياء دائماً بالمجيء عندما يدعونه لأن ذلك يسرّهم، ثم يحصل طارئ يحُول دون تلبية الدعوة. ولكن قوله ذاك لا علاقة له بالآنسة شتاين وإنما ذكره عن أناس آخرين.

كان يوماً ربيعياً رائعاً، ومشيت من ساحة المرصد عبر حديقة لكسمبورغ الصغيرة، وأشجار الكستناء قد تفتحت أزهارها وعدة أطفال يلعبون في الممرات المغطاة بالحصى في حين جلست مربياتهم على المصاطب، ورأيت حمائم على الأشجار وسمعت هديل حمائم أخرى لم أستطع رؤيتها.

فتحت الخادمة الباب قبل أن أدقّ الجرس ودعتني للدخول والانتظار، قائلة إن الآنسة شتاين ستنزل من غرفتها في أي لحظة. كان ذلك قبل الظهر ومع ذلك فقد صبّت لي الخادمة كأساً من الخمر ووضعته في يدي، وغمزتْ بانشراح. وشعرت بمذاق الخمر الصافي، وكان لا يزال في فمي عندما سمعت مَن تخاطب الآنسة شتاين بطريقة لم أسمع بمثلها من قبل في أي مكان آخر بتاتاً.

ثم وصلني صوت الآنسة شتاين وهي تتضرّع وتتوسّل قائلة:



«لا، لا، يا قطتي، لا، لا تفعلي ذلك، أرجوك. سأفعل أي شيء تريدين، يا قطتي، ولكن لا تفعليها. أرجوك لا، أرجوك لا، يا حبيبتي».

واحتسيتُ شرابي ووضعت الكأس على الطاولة وتوجّهت نحو الباب. وأشارت الخادمة إليّ بإصبعها، وهمست: «لا تذهب. ستنزل هي حالاً».

- «عليّ أن أذهب». قلت لها ذلك وأنا أحاول ألّا أسمع أكثر، ولكن التوسّلات ما انفكت تصل مسمعي، والسبيل الوحيد لوضع حدّ لذلك هو مغادرة المنزل. كان ما سمعته سيئاً والإجابة أسوأ.

وفي باحة العمارة، قلت للخادمة: «أرجوك قولي إنني أتيت إلى باحة العمارة والتقيتك، وإنني لم أستطع الانتظار لأن أحد أصدقائي مريض. وبلغيها نيابة عني تمنياتي لها بسفر سعيد. وسأكتب إليها».

- «مفهوم، يا سيدي، من المؤسف أنك لا تستطيع الانتظار».

قلت: «نعم، كم هو مؤسف».

وهكذا انتهت العلاقة بالنسبة لي، بصورة غبيّة حقاً، على الرغم من أنني واصلتُ تقديم بعض الخدمات الصغيرة، والحضور في بعض المناسبات الضرورية، ومرافقة أناس طُلبوا، والانتظار حتى يحين موعد انصرافنا عندما يصل أصدقاء جدد. ومن المحزن أن أرى لوحات لا قيمة لها تُعلّق بجانب اللوحات العظيمة، ولكن ذلك لم يعُد مهماً. ليس بالنسبة لي على الأقل. لقد تشاجرت الآنسة شتاين معنا جميعاً، نحن المولعين بها، ما عدا خوان غريس[1]، ولم يكن بوسعها أن تتشاجر معه لأنه كان ميتاً. ولست متأكداً من أنه



سيعير خصومتها أهمية ما لأنه تجاوز مرحلة الاهتمام وبدا ذلك واضحاً في لوحاته.

وأخيراً تشاجرتْ حتّى مع أصدقائها الجدد، ولكن لم يعُد أحدٌ منا يهتّم بذلك. لقد أخذت تتصرّف مثل إمبراطور روماني؛ وهذا جميل إذا كنت تحبُّ أن ترى نساءك يتصرَّفن مثل الأباطرة الرومان. غير أن بيكاسو رسمها، وأستطيع أن أتذكرها عندما كانت تبدو مثل امرأة من فريولي.

وأخيراً، تصالح كلّ واحد معها، أو ليس كلّ واحد تماماً، حتّى لا يوصف بضيق الأفق أو بالتطرُّف في الاستقامة. وتصالحتُ معها أنا أيضاً. ولكن لم أستطِع أبداً أن أتصالح معها حقّاً، لا في قلبي ولا في عقلي. وعندما لا تستطيع أن تتصالح في عقلك فذلك هو الأسوأ. ولكن الأمر أكثر تعقيداً من ذلك.



14

الرجل الموسوم بالموت

عندما التقيت الشاعر إرنست والش[1]، ذات مساء، في شقّة عزرا باوند، كان برفقة فتاتَين ترتديان معطفَين طويلَين من فرو المِنْك، وكانت هناك سيّارةٌ طويلةٌ لامعةٌ مستأجرة من محلات كلاريدج[2] مع سائقها في انتظاره في الشارع. وكانت الفتاتان شقراوَين وقد سافرتا مع والش على الباخرة نفسها. وكانت الباخرة قد وصلت في اليوم السابق واصطحب الفتاتَين معه لزيارة عزرا.

كان إرنست والش أسمر قويّاً وله ملامحُ إيرلنديَّةٌ لا تخطئها العين، وشاعريّاً، وعلى وجهه إمارات الموت بصورةٍ واضحة، مثل شخصيّة مهيّأة للموت في شريطٍ سينمائيّ. كان يتحدّث مع عزرا باوند، فتحدثتُ مع الفتاتَين اللتَين سألتاني ما إذا كنت قد قرأت قصائد والش. لم أقرأها، فأخرجت إحدى الفتاتين نسخة ذات غلاف أخضر من أشعار هاريت مونرو[3]، وهي مجلة شعريّة، وأطلعتني على قصائد لوالش فيها، وقالت:

- يحصل على 1200 دولار عن المقطوعة.

وقالت الفتاة الأخرى: «عن كلٍّ قصيدة».



وتذكَّرت أنني حصلت من المجلة نفسها على 12 دولاراً عن كلِّ صفحة، فقلت:

«لا بد أنه شاعر عظيم جداً».

وأخبرتني الفتاة الأولى قائلة: «أكثر ممّا يحصل عليه إدي غيست[4]».

- «أكثر ممّا يجنيه ذلك الشاعر، تعرف من».

- «كبلنغ[5]» قالت صديقتها.

وقالت الفتاة الأولى: «أكثر ممّا يحصل عليه أيُّ شخصٍ آخر».

وسألتهما: «هل ستبقيان في باريس فترة طويلة؟».

- «لا، ليس تماماً، نحن مع مجموعة من الأصدقاء».

- «أتينا على هذه الباخرة، كما تعلم. ولكن لم يكُن على متنها أحد، في الحقيقة. كان عليها السيد والش بطبيعة الحال».

وسألتُ: «ألا يلعب الورق؟».

فنظرت إليّ بشيء من الخيبة ولكن بتفهم وقالت:

- لا، ليس مضطراً لذلك. ليس وهو يكتب الشعر بالكيفيَّة التي يستطيع أن يكتب فيها.

- بأيِّ باخرة سترجعان؟

- حسن. إن ذلك يعتمد على البواخر وعلى أشياء عديدة أخرى، هل ستعود أنت؟

- لا، إن أحوالي هنا على ما يرام.

- هذه الضاحية فقيرة نوعاً ما، أليس كذلك؟

- نعم، ولكن لا بأس بها. أزاول كتابتي في المقاهي وأذهب إلى سباقات الخيل.



- هل تستطيع أن تذهب إلى السباقات بهذه الملابس؟

- لا، هذه بذلتي للمقهى.

فقالت إحدى الفتاتَين: «إنها بذلةٌ طريفة. أودُّ أن أرى شيئاً من حياة المقاهي، ألا تودّين ذلك يا عزيزتي؟».

فأجابت الفتاة الأخرى: «أودّ ذلك».

ودوَّنت اسميهما في دفتر العناوين ووعدتهما بالاتصال بهما بواسطة شركة كلاريج. كانتا فتاتَين لطيفتَين. وودَّعتهما كما ودَّعت والش وعزرا. وكان والش لا يزال يتحدَّث مع عزرا بعاطفة شديدة.

وقالت الفتاة الأطول: «لا تنسَ».

- «وكيف أستطيع أن أنسى». قلت لها ذلك وصافحتهما مرَّة أخرى.

وأوّل شيءٍ سمعته بعد ذلك من عزرا عن والش أن بعض السيدات المعجبات بالشعر وبالشعراء الشباب الموسومين بالموت كَفِلْنَه لدى شركة كلاريج (التي لم يستطِع أن يدفع لها مستحقّاتها). وسمعت شيئاً آخر بعد مضي ردح من الوقت مفاده أنه حظي بدعم من مصدر آخر وأنه سيشرع في إصدارِ مجلةٍ جديدة في الحيِّ بوصفه محرِّراً مشاركاً.

وفي ذلك الوقت، أعلنت مجلة **دايل**، وهي مجلة أدبيّة أميركيّة يحررها سكوفيلد ثاير[(6)]، عن جائزة مقدارها ألف دولار، على ما أعتقد، للإبداع الأدبي لواحد من كُتّابها. وكان هذا مبلغاً ضخماً لأيّ كاتب في تلك الأيام، إضافة إلى الشرف الذي يناله، وقد مُنِحت تلك الجائزة فعلاً لأدباء مختلفين وكلّهم يستحقونها بطبيعة



الحال. ويستطيع زوجان، آنذاك، أن يعيشا عيشة مريحة في أوروبا مقابل خمسة دولارات يومياً، وفي إمكانهما السفر كذلك.

وزُعِم أنَّ المجلَّة التي كان والش أحد محرّريها ستخصّص مبلغاً ماليّاً كبيراً للأديب الذي ينشر إنتاجه فيها ويقع عليه الاختيار بوصفه الأفضل بعد صدور أربعة أعداد منها.

ولا يمكنني القطع ما إذا كان ذلك الخبر قد ذاع عن طريق الإشاعة أو الثرثرة أو أنَّه سرٌّ أفضى به أحدهم بصفةٍ شخصيَّة. ولكنّنا كنا نرجو ونعتقد دائماً أن يكون الأمر قد تمّ بصورة نزيهة من جميع الوجوه. ومن المؤكَّد أنَّه لم يكن في وسعنا أن نلصق التهمة بالمحرِّر المشارك زميل والش.

وبعد مرور وقت ليس طويلاً على سماعي تلك الإشاعة عن الجائزة المزعومة، دعاني والش لتناول الغداء معه في مطعم هو الأرقى والأغلى في حي شارع سان ميشيل. وبعد تناول المحارات، من الصنف المسطَّح الغالي المسمى بالمارين[7] وليس من المحارات العاديَّة المقعَّرة المسماة بالبرتغالية[8]، وقنينة من نبيذ بويي فويسيه[9]، أخذ يتطرَّق إلى الموضوع بصورةٍ تدريجية وبلباقة. كان، على ما يبدو، يريد خداعي كما خدع شركاءه في لعب القمار على الباخرة - إذا كان هناك مقامرون وإذا كان قد خدعهم، طبعاً - وعندما سألني إذا كنت أرغب في دزينة أخرى من المحارات المسطحة كما سمّاها، قلت أرغب في ذلك جداً. لم يبذل مجهوداً ليبدو كأنَّه موسومٌ بالموت، وقد أراحني ذلك. كان يعلم أنني أعلم أنه مصاب بالسلّ، وأنَّ مرضه ليس من النوع الذي تخادع به، بل من النوع الذي تموت منه، وما أسوأ ذلك. ولم يبذل مجهوداً ليسعل،



واستحسنتُ ذلك منه أثناء الطعام. وكنت أتساءل ما إذا كان قد أكل المحارات المسطحة بطريقة عاهرات مدينة كنساس نفسها، الموسومات بالموت وبكلِّ شيءٍ آخر، واللواتي كنَّ يرغبن في ابتلاع المني كعلاجٍ ممتاز ضد مرض السلّ، ولكنني أحجمت عن توجيه السؤال إليه. وشرعت في تناول الدزينة الثانية من المحارات المسطحة؛ أتناولها من قاعدة الثلج المطحون الموضوع في إناء من الفضّة، وأشاهد حافاتها البنيّة الرقيقة بشكل لا يصدق وهي تستجيب بالانكماش عندما أعصر الليمون عليها، ثم أنتزع العضلة من القوقعة وأرفعها لأمضغها بعناية.

وقال والش وهو ينظر إليّ بعينيّ الشاعر الداكنتَين: «عزرا شاعر عظيم، عظيم».

قلت: «نعم، ورجلٌ لطيف».

قال والش: «نبيل، نبيل حقيقة».

وأكلنا وشربنا بصمت كأننا نكرّم عزرا لنُبله. وافتقدتُ عزرا وتمنيتُ لو كان معنا، فهو مثلي ليس بمقدوره شراء محارات من نوع المارين.

وقال والش: «جويس عظيم. عظيم، عظيم».

قلت: «عظيم، وصديق حميم».

لقد أصبحنا أنا وجويس صديقَين في الأيام الرائعة التي أمضاها بعد الانتهاء من كتابه **يوليسيس** وقبل أن يشرع في ما أسماه وقتاً طويلاً بـ (العمل في تقدّم). وفكّرت في جويس وتذكّرت أموراً كثيرة.

وقال والش: «تمنيتُ لو كانت عيناه أفضل».

قلت: «وهو يتمنّى ذلك أيضاً».



وقال لي والش: «إنها مأساة عصرنا».

قلت: «ما من أحد إلا ويشكو شيئاً ما». وأنا أحاول أن أضفي جوّاً بهيجاً على الغداء.

- «أنت لا تشكو من شيء». وابتسم لي، ثمَّ وسم نفسه بالموت. ولم أستطع المداراة فسألته: «تعني أنني لست موسوماً بالموت؟».

- «لا، أنت موسوم بالحياة».

قلت: «انتظر الزمن».

رغب في أكل شريحة جيّدة ونادرة، فطلبتُ قطعتين من شرائح التورنيدو[10] مع صلصة البيارنيز[11]. وحسبت أن الزبدة ستنفعه.

وسألني: «وماذا عن النبيذ الأحمر؟» وحضر النادل المختصُّ بالشراب وطلبتُ نبيذ شاتونف دو باب[12]. وسأتخلّص من مفعوله بعد ذلك بالمشي على رصيف النهر. وفي وسعه أن يهضمه نائماً أو يفعل ما يحلو له.

وعندما انتهينا من تناول شريحة اللحم والبطاطا المقليَّة وأتينا على ثلثي قنينة نبيذ شاتو نف دي باب، الذي لا يؤخَذ عادة أثناء الغداء، دخل في الموضوع وقال: «لا فائدة من اللف والدوران. أنت تعرف أنك ستنالِ الجائزة، أليس كذلك؟».

قلت: «هل سأحصل عليها؟ ولماذا؟».

قال: «أنت ستفوز بها». وأخذ يتحدّث عن كتاباتي فلم أعُد أصغي إليه، إذ يصيبني الغثيان عندما يتحدَّث الناس عن إنتاجي أمامي. ونظرت إليه وإلى نظرته الموسومة بالموت، وفكَّرتُ: أنت أيُّها الرجل المخادع تريد أن تخدعني بِسِلّك. لقد رأيت كتيبةً



عسكرية تغوص في التراب على الطريق، وقضى الموت - أو ما هو أشدّ منه - على ثلث رجالها ولم تبدُ عليهم سمة خاصة، التراب للجميع، وأنت ونظرتك الموسومة بالموت، أيُّها الرجل المسلول المخادع، تكسب عيشك من موتك. والآن ستخدعني. لا تخدع، لئلا تموت بالسل. والموت لم يشاركه في الخداع. ولكنّه قادم لا محالة.

- «لا أظن أنني أستحقّها، يا إرنست». قلت ذلك وأنا أستمتع باستعمال اسمي الذي لا أحبذه في مخاطبته، «أضف إلى ذلك، يا إرنست، أن ذلك لا يصحُّ أخلاقيّاً، إرنست».

- «من الغريب أن لنا الاسم نفسه، أليس كذلك؟».

فقلت: - «نعم، يا إرنست. وينبغي أن يكون اسماً على مسمّى. تفهم ما أعني، أليس كذلك، يا إرنست؟».

قال: «نعم، يا إرنست». وبدا عليه فهمٌ إيرلنديٌّ حزينٌ تامّ، وابتسم.

ولهذا كنت لطيفاً دائماً معه ومتعاوناً مع مجلَّته. وعندما أصابه النزيف وغادر باريس طلب مني أن أتابع طباعة المجلة لدى الطابعين الذين لا يقرؤون الإنجليزية، ففعلت ذلك. ورأيتُ مرة نزيفاً أصابه وكان شديداً، وأدركت أنه ميت لا محالة. وسرَّني، في ذلك الوقت الذي كان عصيباً في حياتي، أن أكون لطيفاً معه، كما سرّني أن أدعوه بإرنست. وأحببت كذلك المحرّرة المشاركة معه في المجلة وأعجبتُ بها. لقد كان همّها أن تؤسّس مجلة غراء وأن تجزل العطاء للكُتّاب الذين ينشرون إنتاجهم فيها.

وبعد مضي وقت طويل التقيت جويس ذات يوم وكان يتمشّى في



شارع سان جرمان إثر مشاهدة عرض مسرحيّ بعد الظهر. وكان يحبّ أن يستمع إلى الممثّلين على الرغم من أنه لم يكن في مكنته رؤيتهم. ودعاني لتناول مشروب معه فذهبنا إلى مقهى دو ماغو وطلب كأساً من الشيري الجاف[13]، على الرغم من أنك تقرأ دائماً أنه لا يشرب سوى النبيذ الأبيض السويسري.

وسألني جويس: «وكيف حال والش؟».

قلت: «مَن يعش يمُت».

قال: «وهل وعدك بتلك الجائزة؟».

- «نعم».

قال جويس: «هذا ما كنت أظنه».

- «وهل وعدك بها؟».

قال جويس: «نعم» وبعد هنيهة سألني: «وهل تظن أنه وعد باوند بها؟».

- «لا أدري».

قال جويس: «من الأفضل ألا تسأله».

وتركنا الموضوع عند ذلك الحدّ، وأخبرت جويس عن لقائي الأوَّل مع والش في شقّة عزرا مع الفتاتَين اللتَين ترتديان معطفَين من فرو المِنْك، وسرّه سماع تلك القصة.



15

إيفان شبمان[1] في البستان

منذ اليوم الذي عثرت فيه على مكتبة سيلفيا بيتش استطعت أن أقرأ كل أعمال ترجنيف وما نُشر بالإنجليزية من أعمال غوغول[2]، وترجمات كونستانس غارنيت لأعمال تولستوي[3]، والترجمات الإنجليزية لمؤلفات تشيخوف[4]. وأخبروني في تورنتو، قبل أن آتي إلى باريس، أن كاثرين مانسفيلد[5] تكتب القصة القصيرة جيّداً، وحتّى أنّها كاتبةٌ عظيمة؛ ولكن عندما حاولت قراءتها بعد تشيخوف، وجدتها مثل سماع حكايات مصطنعة بعناية ترويها عانس، بالمقارنة مع قصص طبيب عارف بليغ يكتب ببساطة وروعة. كانت مانسفيلد مثل شبه بيرة. وكان من الأفضل في تلك الحالة شرب الماء. بيد أن تشيخوف لم يكن يشبه الماء في شيء ما عدا الصفاء. وكانت بعض قصصه تبدو مجرد قصص صحفية، ولكن له قصصاً رائعة كذلك.

أما ديستوفيسكي فتوجد في كتاباته أشياء قابلة للتصديق ولا تُصدّق، ولكن بعضها حقيقيّ لدرجة أنها تغيّرك وأنت تقرأها؛ فتتعرَّف فيها على الضعف والجنون، والشر والقداسة، وجنون القمار، كما تتعرّف على الطبيعة والطرقات في مؤلَّفات تورجنيف، وعلى تحركات الجيوش ومواقع المعارك والضبّاط والجنود



والحرب في مصنفات تولستوي. لقد جعل تولستوي كتابات ستيفن كرين[6] عن الحرب الأهلية الأميركية تبدو كأنها تخيّلات لامعة لطفل مريض لم يرَ الحرب قط ولكنه قرأ عن المعارك في كتب التاريخ، وشاهد صور برادي[7] الفوتوغرافية التي كنت قد رأيتها في بيت جدّي وجدّتي. وحتى أن قرأت رواية راهبة بارم لستندال[8]، لم أقرأ أبداً عن الحرب كما هي إلّا في روايات تولستوي، أما الوصف الرائع لمعركة واترلو الذي ورد في رواية ستندال فقد كان مجرَّد مقطوعة استثنائية في كتابٍ يتَّسم بالرتابة. إنَّ عثوري على هذا العالم الجديد من الكتابة، وتوافر الوقت لي للقراءة في مدينة مثل باريس حيث يمكنك أن تجد وسيلة للعيش الجيّد والعمل مهما كنت فقيراً، كان بمثابة العثور على كنز. وكان بمقدورك أن تصطحب كنزك معك أنى سافرت كذلك؛ وفي الجبال حيث أقمنا في سويسرا وإيطاليا قبل أن نكتشف شرونز الواقعة في الوديان العليا في فورارلبورغ في النمسا، كانت هنالك الكتب دوماً؛ بحيث كان بإمكانك أن تعيش في العالم الجديد الذي اكتشفته؛ فخلال النهار هنالك الثلوج والغابات والأنهار الجليدية ومشكلاتها في فصل الشتاء وصعوبة الوصول إلى ملجئك العالي في فندق تاوبه في القرية، أما في الليل فقد كان بميسورك أن تعيش في عالم رائع آخر منحه لك الأدباء الروس. كان المانح في البداية الأدباء الروس ثم أضحى فيما بعد جميع الآخرين. ولكن لوقت طويل كان الروس فقط.

أتذكّر أنني سألت عزرا ذات يوم ونحن عائدان إلى البيت بعد أن لعبنا كرة المضرب (التنس) في ملعب يقع في شارع أراغو[9]،



وقد دعاني لتناول شراب معه في شقّته، سألته عن رأيه الحقيقي في دوستويفسكي.

فقال عزرا: «أقول لك الحقيقة، يا هام، إنني لم أقرأ **الروشيين** قط».

كان جواباً صريحاً ولم يضف إليه عزرا شيئاً، ولكنني شعرت بأسفٍ عميق؛ لأنَّ الجواب صدر من الرجل الذي أحببته ووثقت بآرائه النقدية أكثر من أي شخص آخر، هذا الرجل الذي آمن **بالكلمة العدل** (Le mot juste) - الكلمة الصحيحة والوحيدة التي تصلح للاستعمال في سياق معين - الرجل الذي علّمني أن أرتاب في الصفات والنعوت كما تعلّمت لاحقاً الارتياب في بعض الناس في مواقف معينة، وطلبت رأيه في الكاتب الذي لم يستعمل **الكلمة العدل** مطلقاً ومع ذلك يبعث شخوصه أحياء كما لم يفعل أحد غيره تقريباً.

وقال عزرا: «تمسّكْ بالفرنسيين. فهناك الكثير الذي تتعلّمه منهم».

قلت: «أعرف ذلك، فهناك الكثير الذي أتعلّمه في كل مكان».

وبعد أن غادرت شقَّة عزرا الصغيرة وأنا أمشي إلى المنشرة في الشارع الذي ترتفع البنايات على جانبيه، أخذت أتطلّع إلى نهايته المفتوحة حيث تراءت أشجار عارية وخلفها الواجهة البعيدة لمرقص بوليي(10) عبر شارع سان ميشيل العريض، وفتحت بوابة العمارة ومررتُ بالخشب المنشور حديثاً، وتركت مضربي في إطاره الضاغط بجانب السلَّم الذي يقود إلى الطابق العلوي في البناية. وناديت باتجاه أعلى السلّم ولكن لم يكن ثمة أحد في البيت.



وأخبرتني زوجة صاحب المنشرة: «إنَّ السيدة خرجت، وكذلك الخادمة والطفل». فشكرتها. كانت امرأة صعبة، وتميل إلى البدانة، ولها شعرٌ أصفرُ نحاسيٌّ اللون.

- «جاء رَجلٌ شابّ لرؤيتك. وقال إنه سينتظرك في مقهى البستان». واستعملتْ عبارة (رجل شاب) بدلاً من سيّد.

قلت: «شكراً. أرجوك أن تخبري السيدة إذا عادت بأنني في البستان».

- «لقد ذهبتْ مع صديقات لها». قالت ذلك وهي تلفّ رداءها حولها وتدخل بحذائها ذي الكعب العالي إلى منزلها دون أن توصد الباب خلفها.

وسرتُ في الشارع بين البنايات العالية البيضاء التي شابتها شيات من البقع والخطوط، ودلفتُ إلى اليمين في النهاية المفتوحة المشمسة، وولجت غسق مقهى البستان الذي تقطعه خيوط من أشعة الشمس.

لم يكن ثمة مَن أعرفه داخل المقهى فتحوّلتُ إلى الشرفة وهناك وجدت إيفان شبمان ينتظرني. كان شاعراً رقيقاً، وكان يهتم بالخيول وله دراية بها، ويزاول الكتابة ويتعاطى الرسم. ونهض، فرأيته طويلاً نحيلاً شاحباً، وكان قميصه الأبيض بالياً ومتسخاً عند ياقته، وربطة العنق معقودة بعناية، وبذلته بالية ومجعدة، وأصابعه الملطخة أكثر اسوداداً من شعره، وأظافره متسخة، وهو يتحكَّم في ابتسامته المحببة المتواضعة لئلا تبدو أسنانه السيئة.

وقال: «إنني سعيد برؤيتك، يا هام».

وسألته: «كيف حالك، يا إيفان».



فقال: «محبَط قليلاً. ومع ذلك فإنني أشعر بأنني تخلصت من المازبا[11]. وهل أنت على ما يرام؟».

قلت: «آمل ذلك. كنت ألعب التنس مع عزرا عندما أتيتَ إلى بيتي».

- «هل عزرا بخير؟».

- «جداً».

- «إنني مسرورٌ لسماع ذلك. هام، لا أظن أن زوجة مالك العمارة التي تسكنها تحبني. فهي لم تدعني أنتظرك في الطابق العلوي».

قلت: «سأحدّثها عن ذلك».

- «لا تشغل بالك بذلك. يمكنني دائماً أن أنتظرك هنا. من الممتع الجلوس في الشمس، أليس كذلك؟».

قلت: «لقد حلَّ فصل الخريف الآن، ولا أظنك ترتدي ملابس دافئة بما فيه الكفاية».

فقال إيفان: «إن الطقس بارد في المساء فقط. سأرتدي معطفي».

- «أتعرف أين هو؟».

- «لا، ولكنَّه في مكانٍ آمن».

- «وكيف تعرف ذلك؟».

- «لأنني أودعت القصيدة فيه». وضحك من كلِّ قلبه وهو يضمُّ شفتيه على أسنانه بشدَّة. «تناول ويسكي معي رجاء، يا هام».

- «حسناً».



ونهض إيفان ونادى النادل: «جان، كأسا ويسكي، من فضلك».

وجلب جان القنينة وقدحين وصحنين من ذوات العشرة فرنكات مع رشّاف. ولم يستعمل كأس قياس وصبَّ الويسكي في القدحين حتى امتلآ إلى أكثر من ثلاثة أرباعهما. فقد كان جان يحبّ إيفان الذي كثيراً ما يرافقه إلى ضاحية مونروج الواقعة وراء باب أورليان[12]، للعمل معه في حديقته أيام عطله.

وقال إيفان للنادل الطويل المتقدِّم في السنّ: «يجب ألّا تبالغ».

وسأله النادل قائلاً: «إنهما كأسا ويسكي، أليس كذلك؟».

وأضفنا إليهما الماء، وقال إيفان: «خذ الجرعة الأولى بتؤدة، يا هام. فإنهما سيبقيان معنا لوقت طويل إذا تناولناهما بطريقة مناسبة».

وسألته: «هل تعتني بنفسك؟».

- «نعم، بصدق، يا هام. لنتحدّث عن شيء آخر».

لم يكن هناك أحد غيرنا جالساً في شرفة المقهى، وأخذ الويسكي يسخننا على الرغم من أنني كنت مرتدياً ملابس أكثر ملاءمة لفصل الخريف من ملابس إيفان، فقد كنت أرتدي كنزة داخلية، وقميصاً وكنزة بحّار فرنسية من الصوف الأزرق فوق القميص.

وقلت: «كنت أفكر بدوستويفسكي. كيف يستطيع رجل أن يكتب بذلك الأسلوب السيّئ، سيّئ لدرجة لا تُصدّق، ومع ذلك فإنه يحرِّك مشاعرك بعمق!».

فقال إيفان: «قد يكمن السبب في الترجمة، فالترجمة هي التي أظهرت تولستوي بصورةٍ جيّدة».



- «أعرف ذلك. أتذكّر كيف حاولت أن أقرأ تولستوي عدَّة مرَّات فلم أفلح حتى عثرت على ترجمة كونستانس غارنيت».

وقال إيفان: «يقولون إنَّ بوسع الترجمة تحسين الأصل. وأنا متأكد من ذلك على الرغم من أنني لا أعرف الروسيّة. ولكننا - كلينا - نعرف الترجمات. بيدَ أنَّ **الحرب والسلام** جاءت مترجمةً، روايةً رائعة حقاً، بل أفترض أنها الأعظم، وبإمكانك أن تقرأها مرَّة تلو أخرى».

قلت: «أعرف ذلك، ولكنك لا تستطيع أن تقرأ دوستويفسكي مرَّة بعد أخرى، فقد أخذت معي رواية **الجريمة والعقاب** في رحلة إلى شرونز[13]، وعندما لم تعُد لدينا كتب أخرى لم أستطِع قراءتها مرَّة ثانية، ولهذا أخذت أقرأ الصحف النمساوية وأتعلّم الألمانية حتى عثرت على بعض مؤلفات ترولوبه في تاوشنتس».

فقال إيفان: «سقى الله تاوشنتس».

وفقد الويسكي طعمه اللاذع، وصار الآن، بعد مزجه بالماء، قوياً أكثر مما ينبغي.

وواصل إيفان كلامه قائلاً: «كان دوستويفسكي سيئاً، يا هام، لا يجيد الكتابة إلّا عن الأشرار والقدّيسين. إنه يصنع قدّيسين رائعين. ومن المؤسف أننا لا نستطيع أن نعيد قراءته».

- «سأحاول قراءة رواية **الأخوة كارامازوف** مرَّة أخرى. من المحتمل أنَّ الخطأ يكمن فيّ».

- «يمكنك أن تقرأ بعضها مرَّة أخرى، أو معظمها، ولكنها ستغضبك بعد ذلك، مهما كانت عظيمة».



- «حسن، نحن محظوظون لأننا حصلنا عليها وقرأناها بعد صدورها مباشرة، وربما ستُنشر ترجمة أفضلُ لها».

- «ولكن لا تدعها تغريك، يا هام».

- «لا، سأحاول أن أفعل ذلك بصورة طبيعيّة بحيث كلّما زدتها قراءة زادتك عطاء».

وقال إيفان: «أمّا أنا فأساعدك على شرب ويسكي جان».

قلت: «إنه سيواجه مشكلة بسبب ما فعله».

قال: «إنه يواجه المشاكل حالياً».

- «كيف؟».

قال إيفان: «إنهم يغيّرون الإدارة، وأصحاب المقهى الجدد يرغبون في اجتذاب زبائن مختلفين مستعدّين لإنفاق مزيد من المال، وسيضعون في المقهى باراً أميركياً. وسيرتدي النُدُل سترات بيضاء، يا هام، وأخبروهم أن عليهم أن يحلقوا شواربهم».

- «إنهم لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك بأندريه وجان».

- «من المفروض ألّا يفعلوا ذلك، ولكنّهم سيفعلون».

- «لجان شارب طوال حياته. إنه شارب التنين. وقد خدم في كتيبة الخيالة».

- «سيتوجّب عليه حلقه».

وشربت ما تبقّى من الويسكي.

وسأل جان: «ويسكي آخر، يا سيدي؟ ويسكي، يا سيد شبمان؟» وبدا شاربه الثقيل المتدليّ جزءاً من وجهه النحيف اللطيف، وبدت صلعته لامعة تحت الشعرات القليلة التي رُتّبت عبرها.



قلت: «لا تفعلها، يا جان، لا تجازف».

وقال هامساً لنا: «ليست هناك مجازفة، هناك فوضى سائدة. كثيرون سيغادرون». ثمَّ أضاف بصوت عالٍ: «مفهوم، أيُّها السادة». ودخل في المقهى وخرج وهو يحمل قنينة الويسكي، وقدحَين كبيرَين، وصحنَين مذهبيّ الحافة من ذوات العشرة فرنكات، وقنينةَ ماءٍ معدنيٍّ فوّار.

قلت: «لا، يا جان».

وضع القدحَين على الصحنَين وملأهما بالويسكي إلى حافتيهما تقريباً، وأخذ بقية القنينة إلى المقهى. وأضفنا أنا وإيفان قليلاً من الماء المعدني الفوّار إلى الكأسَين.

وقال إيفان: «من حسن الحظّ أنَّ دوستويفسكي لم يتعرَّف على جان، وإلّا لمات من الشرب».

- «ماذا سنفعل بهاتَين الكأسَين؟».

- «نشربهما». أجاب إيفان: «إنّه احتجاج. إنه فعلٌ مباشر».

وعندما ذهبت إلى مقهى البستان يوم الاثنين التالي لأكتب هناك، جاء إليَّ أندريه بكأسٍ من **البوفريل**(14) وهو مشروبٌ مستخلص من اللحم والماء. وبدا أندريه قصيراً أشقر، وبدلاً من شاربه الكثّ بدت شفته العليا عارية مثل شفة قسيس. وكان يرتدي سترةَ نادلِ بار أميركي بيضاء.

- «وجان؟».

- «لا يأتي حتى الغد».

- «وكيف حاله؟».

- «سيحتاج إلى وقتٍ طويل ليتصالح مع نفسه. كان يخدم في



كتيبة خيّالة ثقيلة طوال الحرب. وحاز على صليب الحرب والوسام العسكري».

- «لم أعرف أنه جُرح جرحاً بليغاً».

- «لا. أصيب بجرح طبعاً، ولكنه استحقّ الوسام العسكري لأمرٍ آخر. لبسالته».

- «أخبره أنني سألت عنه».

قال أندريه: «طبعاً، آمل ألّا يحتاج إلى وقت طويل ليتصالح مع نفسه».

- «وأرجو أن تبلغه تحيّات السيد شبمان كذلك».

- «السيد شبمان معه». قال أندريه «إنهما يعملان في الحديقة معاً».



16

عميل الشرّ

كان آخر ما قاله عزرا لي قبل أن يغادر شقته في شارع نوتردام دي شان ليتوجه إلى رابالو هو: «هام، أريدك أن تحتفظ بجرة الأفيون هذه وتعطيها إلى دوننغ[1] عندما يحتاجها فقط».

كانت جرَّةً كبيرةً صفراءَ اللون، وعندما فتحتُ غطاءها رأيت محتوياتها داكنة ولزجة ولها رائحة الأفيون الفجّ. لقد اقتناها عزرا من رئيس قبيلة هندي، كما أخبرني، في شارع الأوبرا قرب شارع الإيطاليين ودفع ثمناً باهظاً لقاءها. أمّا أنا فخمّنت أنها وصلت من حانة الثقب في الحائط[2] العتيقة التي كانت ملتقى الهاربين من الجندية وبائعي المخدّرات خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها. وهذه الخمّارة، التي تتّسم بضيقها وبواجهتها المطليّة باللون الأحمر، بمثابة مجاز أو ممرّ في شارع الإيطاليِّين. وفي وقت من الأوقات كان لها منفذٌ خلفيٌّ يفضي إلى بالوعات باريس ومن هناك كان يُفترض أنك تستطيع أن تصل إلى سراديب القبور تحت الأرض.

ودوننغ هذا هو رالف شيفر دوننغ، شاعر كان يدخّن الأفيون وينسى أن يأكل. وعندما كان يدخّن أكثر ممّا ينبغي لم يستطِع أن يتناول شيئاً ما عدا الحليب. وكتب بالـ **ترزا ريروسه**[3] ما حبّبه إلى عزرا



الذي وجد في شعره مزايا رفيعة كذلك. وكان يعيش في البناية التي يسكن فيها عزرا نفسها، وكان عزرا قد دعاني لأساعده عندما كان دوننغ يلفظ أنفاسه قبل بضعة أسابيع من مغادرة عزرا باريس.

«دوننغ يلفظ أنفاسه. أرجوك أن تأتي حالاً». هكذا كانت رسالة عزرا.

وبدا دوننغ مثل هيكل عظمي وهو مستلقٍ على الفراش، وكان سيموت حتماً في آخر الأمر من سوء التغذية، بيدَ أني أقنعت عزرا أخيراً بأن قليلاً من الناس ماتوا في وقت كانوا يتحدَّثون فيه بجمل مفيدة، وأنني لم أرَ في حياتي قط رجلاً يموت وهو يتكلم بالـ (ترزا ريروسه)، وأشكُّ حتى في مقدرة دانتي[4] على ذلك. وقال عزرا إنّ دوننغ لا يتكلم بالـ (ترزا ريروسه)، فقلت ربما تبدو لغته لي مثل الـ (ترزا ريروسه) لأنني كنت مستغرقاً في النوم عندما بعث إليَّ مَن يوقظني. وأخيرا وبعد قضاء ليلة مع دوننغ في انتظار مجيء الموت، وُضِع الأمر بيد طبيب ونُقل دوننغ إلى مصحّة خصوصية ليُعالج من التسمّم. وتكفل عزرا بنفقات العلاج وسجّلها على تبرعات محبّي شعر لا أعرفهم نيابة عن دوننغ. ولم يُترك لي سوى أمر تسليم الأفيون في حالة طوارئ حقيقيّة. إنها مهمّةٌ جسيمة ألقاها عزرا على عاتقي، وكنت آمل فقط أن أكون عند حسن ظنه وأتمكَّن من تحديد حالة الطوارئ الحقيقية. ووقعت الأزمة عندما وصلت حارسة بناية عزرا صباح يوم أحد إلى باحة المنشرة وأخذت تصرخ باتجاه الشباك المفتوح حيث كنت أتملى قائمة سباق الخيل، قائلة بالفرنسية: «إن السيد دوننغ صعد إلى سطح البناية ويرفض النزول رفضاً قاطعاً».

وبدا لي صعود دوننغ إلى سطح العمارة ورفضه القاطع النزول



حالة طوارئ حقيقية، فأخذت جرة الأفيون وسرت في الشارع مع حارسة العمارة، وهي امرأة صغيرة مفتولة العضلات وكانت منفعلة بسبب الموقف.

وسألتني: «هل لدى السيد ما يلزم؟».

فأجبت: «بالتأكيد. لن تكون هناك أي صعوبة».

وقالت: «إن السيد باوند يفكِّر في كلِّ شيء. إنَّه تجسيد للخير والطيبة».

فقلت: «إنَّه حقّاً كذلك. وأنا أفتقده كلَّ يوم».

- «لنأمل أن السيد دوننغ سيكون معقولاً».

فطمأنتها قائلاً: «لدي جميع ما يلزم».

وعندما وصلنا باحة البناية حيث توجد الشقق الصغيرة، قالت الحارسة: «لقد نزل».

قلت: «لا بدّ أنه علم أني قادم».

تسلّقتُ السلّم الخارجي الذي يؤدّي إلى شقّة دوننغ وطرقتُ الباب. وفتح الباب. كان نحيلاً وبدا لي طويلاً بصورة غير معتادة.

- «عزرا طلب مني أن أجلب لك هذه». وسلَّمته الجرة، مضيفاً: «وقال إنك ستعرف ما هي».

أخذ الجرّة ونظر إليها ثم رماها عليّ. أصابتني بالصدر أو الكتف ثم تدحرجتْ على السلّم.

وقال: «أنت، يا بن الكلبة، أنت يا بن الحرام».

قلت: «قال عزرا إنك قد تحتاج إليها». فردّ عليّ بقذفي بقنينة حليب.

فسألتُ: «هل أنت متأكد من أنك لا تحتاجها؟».



فرمى عليّ قنينة حليب أخرى. وتراجعتُ فضربني في ظهري بقنينة حليب ثالثة. ثمَّ أغلق الباب.

التقطتُ الجرّة التي تصدّعت قليلاً ووضعتها في جيبي.

قلت للحارسة: «يبدو أنه لا يريد هدية السيد باوند».

قالت: «ربما سيهدأ الآن».

قلت: «ربما لديه ما يلزمه».

قالت: «مسكين السيد دوننغ».

وتنادى محبّو الشعر الذين نظّمهم عزرا مرة أخرى لمساعدة دوننغ في آخر الأمر. لم يكن تدخّلي وتدخّل الحارسة ناجحاً. وأخفيت جرة الأفيون، التي تصدّعت، في فردة جزمة ركوب الخيل في شقّتي، بعد أن لففتها بورق مشمع وربطتها بإحكام، وعندما كنت وإيفان شبمان ننقل أمتعتي الشخصية من الشقّة بعد ذلك ببضع سنين كانت الجزمة هناك ولكن جرة الأفيون اختفت. لا أعرف لماذا رماني دوننغ بقنينات الحليب، إلّا إذا كان قد تذكّر عدم تصديقي له ليلة موته الأول، أو إنه محض كره فطري لشخصي. ولكنني أتذكر السعادة التي منحتها عبارة **(إن السيد دوننغ صعد إلى السطح ويرفض النزول رفضاً قاطعاً)** لإيفان شبمان، فقد ظنّ أن لتلك العبارة دلالة رمزية. ولا أعرف ذلك. ولربَّما نظر إليّ دوننغ بوصفي عميلاً للشرّ أو للشرطة. كل ما أعرفه أن عزرا حاول أن يُحسِن إلى دوننغ، كما كان يُحسِن إلى أناس عديدين ويعطف عليهم، وكنت آمل دائماً أن يصبح دوننغ شاعراً مجيداً كما كان يحسبه عزرا. كانت رمياته لقناني الحليب دقيقة جداً بالنسبة إلى شاعر. ولكن عزرا، الذي كان شاعراً عظيماً جداً، كان يلعب كرة المضرب ببراعة



كذلك. لقد فضّل إيفان شبمان، الذي كان شاعراً ممتازاً ولا يأبه حقّاً لقصائده أَنُشِرت أم لا، أن يبقى سبب قذفي بقناني الحليب لغزاً.

قال لي ذات مرة: «نحتاج إلى ألغاز حقيقية أكثر في حياتنا، يا هام. والذي يعوزنا جداً في هذا العصر هو الكاتب غير الطموح والقصيدة الجيّدة غير المنشورة. وتبقى طبعاً مشكلة الدعم الماديّ».




مكتبة
الفكر الجديد

17

سكوت فتزجيرالد

كانت موهبته طبيعية مثل طرزٍ دبّجه الغبار على أجنحة فراشة. لا يفهم ذلك أحياناً أكثر مما تفهمه الفراشة ولا يعرف متى يتعرّض ذلك الطرز للزوال أو التشويه. وأصبح مؤخّراً واعياً بجناحَيه المعطوبَين وتكوينهما وتعلّم كيف يفكّر فلم يعُد بوسعه الطيران؛ لأن حبَّ الطيران قد اختفى، وصار بإمكانه أن يتذكّر فقط، عندما لا يتطلّب الأمر مجهوداً.

وقع أمرٌ غريبٌ جداً عندما التقيت سكوت فتزجيرالد أوَّل مرَّة. حدثت أشياء غريبة عديدة مع سكوت فيما بعد، ولكن لم أتمكَّن من نسيان تلك الحادثة البتة. لقد جاء إلى حانة دينغو[1] في شارع دلامبر حيث كنت جالساً مع أشخاص متواضعين تماماً، وقدّم لنا نفسه وقدّم رجلاً طويلاً لطيفاً كان معه اسمه دونك شابلان[2]، لاعب البيسبول المشهور. لم أتتبع مباريات برنستون[3] للعبة البيسبول ولم أسمع مطلقاً بدونك شابلان، ولكنه كان لطيفاً للغاية وهادئاً ومرتاح البال وودوداً وقد فضّلته على سكوت كثيراً.

كان سكوت حينذاك رجلاً، ولكنه كان يبدو مثل غلامٍ وجهه



يتراوح بين الوسامة والملاحة. وكان له شعر أشقر مجعّد، وجبهة عالية، وعينان لامعتان ودودان، وفم إيرلندي رقيق طويل الشفتين لو كان لفتاة لغدت بارعة الجمال. وكان ذقنه قوياً وأذناه جيّدتان وأنفه حسناً، بل جميلاً تقريباً، لا عوج فيه. ولا تشكل تلك الصفات مجتمعة وجهاً حسناً، ولكن أضف إلى ذلك السحنة والشعر الأشقر والفم. ويقلقك الفم بعض الشيء حتى تعرفه فيقلقك أكثر.

كنت متشوقاً جداً لرؤيته، وكنت قد عملت بجدّ طوال النهار، وبدا لي أنه من الرائع حقاً أن يحضر سكوت فتزجيرالد بصحبة دونك شابلان العظيم الذي لم أكن قد سمعت به من قبل ولكنه أصبح الآن صديقي. لم يتوقّف سكوت عن الكلام، ونظراً إلى أنه أحرجني بما قاله إذ انصبّ كلامه كلّه على كتابتي وعظمتها، فإنني كنت أمعن النظر فيه بدلاً من الإنصات إليه. فقد كنا ما زلنا نعتقد في ذلك الوقت أن إطراء الآخرين بحضرتهم بمثابة عار مفضوح. وطلب سكوت قنينة شمبانيا وشربناها أنا وهو ودونك شابلان وبعض الأشخاص المتواضعين. ولا أظن أن دونك أو أنا قد تتبّعنا الخطاب؛ لأن كلامه كان خطاباً، وإنما واصلت إمعان النظر فيه. كان قوي البنية بعض الشيء ولم يبدُ في حال جيّدة جداً، فوجهه منتفخ قليلاً. وكانت ملابسه المقتناة من الإخوة بروكس(4) تناسبه تماماً، ولقميصه الأبيض ياقة مثبتة بزرّين وربطة عنق من النوع الذي يلبسه الضباط، وفكّرت في ضرورة إخباره عن ربطة العنق إذ يوجد بريطانيون في باريس وقد يأتي أحدهم إلى حانة دينغو - وكان هناك اثنان منهم في ذلك الوقت - ثم صرفت النظر عن ذلك ورحت أحدّق فيه أكثر. وتبيّن فيما بعد أنه اشترى ربطة العنق من روما.



لم ألمَّ بمعلوماتٍ كثيرة من جراء النظر إليه الآن، سوى أن له خلقة حسنة، ويدَين قويتَين، ليستا صغيرتَين كثيراً، وعندما جلس على أحد مقاعد المشرب (البار) لحظت أنَّ ساقَيه قصيرتان جداً. ولو كانت ساقاه اعتياديتَين لكان أطول ببوصتَين. وأنهينا قنينة الشمبانيا الأولى وعندما شرعنا في شرب القنينة الثانية شارف الخطاب على نهايته.

وأخذت ودونك نشعر بأحسن ممّا كنا عليه قبل شرب الشمبانيا وصار الوضع ألطف بكثير عندما انتهى الخطاب. وحتى ذلك الحين كنت أظنّ أنّ مسألة كوني كاتباً عظيماً كانت سرّاً مكتوماً بعناية بيني وبين زوجتي وبعض الذين نعرفهم معرفة جيّدة تُمكّننا من التحدُّث إليهم في الموضوع. وسعدتُ لأن سكوت وصل إلى النتيجة نفسها حول العظمة المحتملة، بيدَ أني سررت كذلك عندما شارف على الانتهاء من خطابه. ولكن أعقبت الخطاب حصّة الأسئلة. كان بوسعك أن تمعن النظر في وجهه ولا تستمع لخطابه ولكن لا يمكنك التملّص من الأسئلة. وفهمت منها أنّ سكوت يعتقد أن بوسع الروائي أن يعثر على ضالته بتوجيه الأسئلة المباشرة إلى أصدقائه ومعارفه. ولهذا كان التحقيق مباشراً.

قال: «إرنست، لا مانع لديك من أن أخاطبك بإرنست، أليس كذلك؟».

قلت: «اسأل دونك».

- «لا تكن هازلاً، فأنا جادّ. أخبرني، هل كنت أنت وزوجتك تنامان معاً قبل الزواج؟».

- لا أدري.



- ماذا تعني بقولك لا أدري؟

- لا أتذكّر.

- ولكن كيف لا يمكنك أن تتذكّر شيئاً بمثل هذه الأهمية؟

قلت: «لا أعرف. إنه أمر غريب، أليس كذلك؟».

قال سكوت: «إنه أسوأ من الغريب. يجب أن تتذكّر».

- «آسف. إنه أمر مؤسف، أليس كذلك؟».

قال: «لا تتكلم مثل بحار إنجليزي. حاول أن تكون جادّاً وتذكّر».

قلت: «لا. لا فائدة».

- «بمقدورك أن تبذل مجهوداً صادقاً لتتذكّر».

وبدا لي أنّ الحديث قد تجاوز حدّه. وتساءلت في نفسي ما إذا كان ذلك ديدنه مع الآخرين، بيد أنني لم أظنّ ذلك؛ لأنني رأيته يتصبّب عَرقاً وهو يخاطبني. وانحدر العرق قطرات صغيرة على شفته العليا الطويلة الإيرلندية الشكل، وحدث ذلك في الوقت الذي صرفت نظري من وجهه وصوّبته نحو الأسفل لأدقّق في طول ساقيه المسحوبتين إلى الأعلى وهو جالس على مقعد المشرب (البار). والآن استأنفت النظر إلى وجهه، وفي تلك اللحظة وقع ذلك الأمر الغريب.

فحينما كان جالساً على مقعد البار ممسكاً كأس الشمبانيا بيده أخذ جلده ينكمش على وجهه حتى اختفى تنفّسه، ثم ازداد انكماش الوجه حتى أمسى مثل وجه رجلٍ ميّت. غارت عيناه كأنه ميت، وتصلبت شفتاه، وامتقع لون وجهه حتى صار مثل لون شمع مستعمل.



ولم يكن هذا من خيالي. فقد رأيت بأمّ عيني كيف غدا وجهه مثل وجه إنسانٍ ميّت أو مثل قناع الموت.

قلت له: «سكوت، هل أنت على ما يرام؟».

لم يُجب وصار وجهه أشدّ انكماشاً من ذي قبل.

قلت لدونك شابلان: «يحسن بنا أن نأخذه لأقرب مركز إسعاف أولي».

- «لا، إنه بخير».

- «يبدو وكأنه يلفظ أنفاسه».

- «لا، هذا ما يحدث له أحياناً».

أخذناه بسيارة أجرة وأنا قلق جداً، غير أن دونك قال إنه على ما يرام ولا داعي للقلق عليه، وقال: «من المحتمل أن يغدو بخير قبل أن يصل إلى منزله».

لا بد أن الأمر كما قال دونك؛ لأنني عندما التقيت بسكوت في مقهى بستان الليلك بعد بضعة أيام قلت له إنني آسف لأن الشراب أثَّر فيه بتلك الكيفية ولعلَّ ذلك نتيجة شربنا السريع بينما كنا نتحدث.

- «ماذا تعني بقولك آسف؟ وأي شراب أثَّر فيَّ بتلك الكيفية؟ عمّ تتكلم، يا إرنست؟».

- «أعني تلك الليلة في حانة دينغو».

- «لم أصب بسوء في دينغو. كلُّ ما هنالك أنني تعبت من هؤلاء البريطانيِّين الملاعين الذين كنتَ معهم فذهبتُ إلى منزِلي».

- «لم يكن هناك بريطانيّون عندما كنت هناك. فقط الساقي».

-«لا تحاول أن تجعل منها لغزاً. أنت تعرف مَن أعني».

فقلت: «آه». لا بُدَّ أنه عاد إلى دينغو بعد ذلك. أو أنه ذهب



إلى هناك مرة أخرى. لا، تذكّرتُ، كان هناك بريطانيان. صحيح. وتذكّرت مَن هما. كانا هناك بالضبط.

قلت: «نعم. طبعاً».

- «تلك الفتاة التي تنتحل لقباً زائفاً وتتصرف بخشونة ومعها ذلك السكّير السخيف. وقالا إنهما من أصدقائك».

- «نعم. وهي وقحة جداً أحياناً».

- «أرأيت؟ لا فائدة من اختلاق ألغاز لمجرد أن شخصاً ما شرب بضع كؤوس من النبيذ. لماذا تريد أن تبتدع هذه الألغاز؟ لم أظنك تفعل شيئاً مثل ذلك».

وأردت أن أنهي الموضوع فقلت: «لا أدري». ثم تذكرت شيئاً آخر وسألته: «هل تصرّفا بوقاحة عندما تحدثا عن ربطة عنقك؟».

- «ولماذا يتصرّفان بوقاحة بشأن ربطة عنقي؟ كنت أرتدي ربطة عنق سوداء مع قميص أبيض من نوع بولو».

حينئذٍ تخلّيت عن متابعة الموضوع. وسألني لماذا أحبُّ ذلك المقهى فأخبرته عن تاريخه في الأيام الخوالي، وبدأ يحاول أن يحبّه هو الآخر، وجلسنا هناك، أنا الذي أحبُّه وهو الذي يحاول محبَّته، ووجّه لي الأسئلة وأخبرني عن أدباء وناشرين ووكلاء أعمال ونقّاد وعن جورج هوراس لوريمر[5]، وعمّا يدور من شائعات، وعن اقتصاديات الكاتب الناجح، وكان ساخراً ومضحكاً ومرحاً جداً وساحراً وودوداً، على الرغم من احتراسي ممّن يتودّدون إليّ. وتحدَّث باستخفاف ولكن بدون مرارة عن كلِّ شيءٍ كتبه، وعرفت أن كتابه الجديد جيّد جداً بالتأكيد، إذ تحدّث بدون مرارة عن هفوات الكتب السابقة. ورغب إليّ أن أقرأ كتابه الجديد **غاتسبي العظيم**[6]،



حالما يستردّ النسخة الأخيرة والوحيدة من الشخص الذي استعارها منه. وعندما تسمعه يتحدّث عن كتابه لا تعرف مدى جودته، ولا تلاحظ شيئاً على وجهه ما عدا الخجل الذي يعتريه، وهو خجل يشعر به جميع الأدباء غير المغرورين عندما ينجزون عملاً رفيعاً، وداخلتني رغبة الحصول على الكتاب في أقرب فرصة لأتمكّن من قراءته.

وأخبرني سكوت عمّا بلغه من ماكسويل باركنز[7] من أنّ الكتاب لا يُباع جيداً ولكنَّه حاز على مراجعات طيّبة. ولا أذكر ما إذا كان قد أطلعني في ذلك اليوم أو في وقت لاحق على مراجعةٍ كَتَبَها جلبرت سيلدِس[8] لا يمكن أن تكون أفضل ممّا كانت عليه، بل كان من الممكن أن تكون أحسن لو كان سيلدِس ناقداً أجود. وقد أصيب سكوت بالحيرة والخيبة لأنّ الإقبال على اقتناء الكتاب كان ضئيلاً، ولكنه، كما قلت، لم يكن يشعر بالمرارة، وأنه كان مسروراً بنوعية الكتاب سروراً يعتريه الخجل.

وفيما كنّا جالسين في ذلك اليوم في شرفة مقهى الليلك، ونحن نشاهد حلول الغسق والمارّة على الرصيف، ونراقب تحوّلات الضوء الرماديّ في تلك الأمسية، لم أرَ أي تغيّر كيمياويّ على وجهه من جراء كأسي الويسكي والصودا اللتين تناولناهما. وترقّبت ذلك التغيّر بعناية، ولكن لم يُصبه شيء، ولم يوجّه إليّ أسئلة غير محتشمة، ولم يفعل شيئاً محرجاً، ولم يرتجل خطاباً، وتصرّف مثل شخص ظريف ذكيّ طبيعيّ.

وأخبرني أنه وزوجته زيلدا[9] اضطرا لترك سيارتهما الرونو[10] الصغيرة في مدينة ليون بسبب الطقس السيئ وسألني عمّا إذا كنت أرغب في مرافقته بالقطار إلى ليون لاستلام السيارة وقيادتها إلى



باريس. وكان فتزجيرالد وعائلته قد استأجروا شقّة مفروشة في العمارة رقم 14 في شارع تيلسيت ليس بعيداً عن ساحة النجمة[11]. وكنا في أواخر فصل الخريف آنذاك، وظننتُ أنّ الريف سيكون في أحسن أحواله وأننا سنتمتّع برحلة رائعة. وبدا لي سكوت رجلاً لطيفاً ومعقولاً جداً، وقد راقبته وهو يشرب كأسَين مملوءتين بالويسكي، ولم يحدث أي شيء، وجعلني ظرفه وحسن إدراكه البادي للعيان أعدّ تلك الليلة في حانة دينغو مجرّد حلم غير سار. ولهذا قلتُ إنه يسعدني أن أرافقه إلى ليون، وسألته عن الوقت الذي يريد أن يغادر فيه.

واتفقنا على أن نلتقي في اليوم الثاني وقرّرنا حينذاك أن نسافر بالقطار السريع الذي يغادر باريس في الصباح. وكان هذا القطار ينطلق في ساعة مناسبة وسرعة فائقة، ولا يتوقّف إلا مرّة واحدة في مدينة ديجون على ما أذكر. وخطّطنا أن نصل إلى ليون ونفحص السيّارة بغية التأكد من أنها في حالة جيدة، ونتناول عشاء شهيّاً ثم ننطلق في الصباح الباكر عائدين إلى باريس.

وتحمّست للرحلة، إذ سأكون برفقة كاتب أكبر مني سنّاً وحقّق نجاحاً، وسيتاح لي الوقت للتحدّث معه في السيّارة فأتعلم - بالتأكيد - كثيراً وأفيد منه. ومن الغريب أن أتذكّر الآن أنني نظرت إلى سكوت بوصفه كاتباً يكبرني سنّاً، ولكن، في ذلك الوقت، ولأني لم أقرأ بعد كتابه **غاتسبي العظيم**، اعتبرته أديباً أسنّ مني كثيراً. لقد كتب قصصاً لجريدة **بريد السبت المسائية**[12] التي كانت واسعة الانتشار، قبل ثلاث سنوات من ذلك التاريخ، ولكني لم أعدّه كاتباً جادّاً مطلقاً. وكان قد أخبرني في مقهى بستان الليلك كيف كتب ما



ظنّه قصصاً جيّدة ثم أجرى بعض التغييرات عليها قبل تقديمها إلى الجريدة لأنه كان يعرف بالضبط كيف ينبغي تعديلها لتصبح قصصاً تشتريها المجلات. صدمني ذلك وقلت إنني أظنه نوعاً من البغاء. وقال إنه البغاء ولكنّه كان مضطراً لذلك لأنه كان يكسب المال من المجلات ليتوافر لديه ما يكفي لتأليف كتب محترمة. وقلت إنني لا أصدق أن أحداً يستطيع أن يكتب بأيّة كيفية أخرى ما عدا الكيفية التي تظهر أفضل ما عنده ولا تُسيء لموهبته. وقال ما دام إنه كتب قصة حقيقية في البداية فإنه لا يضيره أن يحطمها ويغيرها في النهاية. لم يكن بوسعي أن أصدّق ذلك وأردت أن أجادله ولكني كنت بحاجة إلى رواية لدعم وجهة نظري وتبيينها له وإقناعه بها، وأنا لم أكتب بعد مثل تلك الرواية. ومنذ أن أخذت بتفتيت كلِّ كتاباتي والتخلّص من كل سهولة وبمحاولة الإنشاء بدلاً من الوصف، أصبحت ممارسة الكتابة ممتعة ورائعة. ولكن كان يصعب عليّ كتابة رواية ولم أعرف كيف أستطيع أن أكتب شيئاً بطول الرواية. فغالباً ما كانت كتابة فقرة واحدة تستغرق مني الصباح بأكمله.

وأعربتْ زوجتي هادلي عن غبطتها لي للقيام بتلك الرحلة على الرغم من أنها لم تكن تأخذ ما قرأتْه من قصص سكوت مأخذ الجدّ. لقد كان هنري جيمس هو مثلها الأعلى للكاتب الجيّد. بيدَ أنها رأت أنها فكرة طيبة أن أستمتع بفترة استراحة من الكتابة وأمضي في تلك الرحلة، على الرغم من أننا - كلينا - كنا نتمنى لو كان لدينا المال الكافي لامتلاك سيارة والقيام برحلة خاصة بنا. ولكن لم تكُن لديّ أيّ فكرة عن الوقت الذي تتحقّق فيه أمنيتنا تلك. كنت قد تلقيت تسبيقاً مقداره مائتا دولار من بوني وليفرايت[13] عن أول مجموعة



لقصصي القصيرة التي كان من المقرَّر نشرْها في أميركا ذلك الخريف، وكنت أبيع قصصاً لجريدتَي الأوقات الفرانكفورتية ودر كرشنت في برلين ولمجلتَي هذا الفصل[14] وعبر المحيط في باريس، وكنا نعيش باقتصاد شديد ولا ننفق أيَّ مال إلّا للضروريات من أجل أن ندّخر نقوداً تكفي للسفر إلى مهرجان بامبلونا خلال شهر يوليو وإلى مدريد وإلى مهرجان بلنسيا بعد ذلك.

في الصباح الذي كنا سنغادر فيه من محطة ليون في باريس وصلت المحطة قبل وقت كافٍ وانتظرت سكوت خارج البوابة المؤدّية إلى القطارات، إذ إنه هو الذي كان سيجلب التذاكر. وعندما اقترب موعد مغادرة القطار ولم يأتِ سكوت بعد، اشتريت تذكرة دخول إلى موقف القطارات وأخذت أتمشّى على الرصيف منتظراً وصوله. لم يقع نظري عليه، وحينما بدأ القطار بالتحرك قفزتُ إلى إحدى العربات وسرتُ داخل القطار كله على أمل أن أجده بين الركاب. كان ذلك القطار طويلاً ولم أعثر على سكوت فيه. شرحت الموضوع للجابي واشتريتُ تذكرة لنفسي، على الدرجة الثانية - إذ لم تكن هناك درجة ثالثة - وسألت الجابي عن اسم أفضل فندق في ليون. لم يكن ثمة شيء يمكنني أن أفعله سوى أن أبعث ببرقية من ديجون أعطيه فيها عنوان الفندق الذي سأنتظره فيه في ليون. وقد لا تصله برقيتي قبل أن يغادر باريس، ولكنني افترضت أن زوجته ستبرق بعنواني إليه. لم أسمع قط، آنذاك، عن رجل بالغ يفوته القطار؛ ولكن تلك الرحلة علّمتني أشياء جديدة كثيرة.

كنت في تلك الأيام حادّ الطبع سريع الغضب، ولكن في الوقت الذي مرّ فيه القطار بمدينة مونترو كنت قد هدأتُ وزايلني غضبي



الشديد ورحت أستمتع بمناظر الريف، وعند الظهر تناولت غداءً شهياً في عربة المطعم بالقطار وشربت قنينة من نبيذ سان أميلون[15]، وقلت في نفسي إنه على الرغم من أنني كنت مغفّلاً لأنني قبلت دعوة للقيام برحلة على حساب شخص آخر وانتهيت بدفع نفقاتها من مدخراتي التي نحتاجها للسفر إلى إسبانيا، فإن ذلك كان درساً جيّداً لي. لم أكُن قد قبلت من قبل دعوة من أيّ شخص قط للذهاب في أيّ رحلة إلّا إذا كنت سأدفع نفقاتها مناصفة، وحتى في هذه الرحلة أصررتُ على اقتسام تكاليف الفندق والوجبات. ولكنني الآن لا أعرف حتى ما إذا كان فتزجيرالد سيصل أم لا. وأثناء غضبي أنزلتُ رتبة علاقتي معه من سكوت إلى فتزجيرالد. وبعد ذلك سررت لأنني استنفدت غضبي في أول الرحلة وانتهيت من الموضوع. ولم تكُن تلك الرحلة معدّة لرجل سريع الغضب.

وفي ليون علمت أن سكوت غادر باريس متوجهاً إلى ليون ولكنه لم يترك كلمة بخصوص المكان الذي سينزل فيه. وأكّدت عنواني هناك وقالت الخادمة إنها ستعلمُه به إذا اتصل بها هاتفياً. فالسيدة لم تكن في صحّة جيّدة وما زالت نائمة. هاتفتُ جميع الفنادق الجيّدة في ليون وتركت رسائل شفوية لديها ولكني لم أعثر على سكوت. ثم ذهبت إلى مقهى لأتناول شراباً شهيّاً وأطالع الصحف. وفي المقهى التقيت رجلاً يتكسّب من التهام النار وكذلك من ثني قِطع النقود التي يمسك بها بين فكيه الخاليين من الأسنان ثم يستخدم إبهامه وسبابته فقط. وكشّر عن لثته فبدت ملتهبة ولكنها قوية، ووصف عمله بأنه مهنة لا بأس بها. دعوته لتناول شراب معي فسُرّ بذلك. كان له وجه أسمر لطيف يتوهّج ويشعّ عندما يأخذ في



التهام النار. وقال إنه لا يكسب مالاً من أكل النار ولا من ألعاب القوة بالأصابع والفكين في ليون. فأكَلة النار المزيّفون حطّموا المهنة وسيستمرّون في تحطيمها أينما سُمِح لهم بمزاولتها. وقال إنه قام بأكل النار طوال المساء ومع ذلك فإنه لم يجمع من النقود ما يكفي لأكل أي شيء تلك الليلة. ودعوته لتناول شراب آخر ليتخلّص من مذاق البترول الذي يخلفه التهام النار، وقلت إننا نستطيع أن نتناول طعام العشاء معاً إذا دلّني على مطعم جيّد ورخيص، فقال إنه يعرف مكاناً ممتازاً.

وتناولنا الطعام في مطعم جزائري لقاء ثمن زهيد. واستحسنتُ الطعام والنبيذ الجزائري. ووجدت في آكل النار رجلاً لطيفاً، وأثار إعجابي وهو يأكل، فقد كان يستطيع مضغ الطعام بلثته المجرّدة مثلما يمضغ معظم الناس بأسنانهم. وسألني عن عملي الذي أعيش منه فأخبرته بأنني كاتب مبتدئ. وسأل عن نوع الكتابة التي أمارسها فقلت القصص. فقال إنه يعرف قصصاً كثيرة بعضها مريع لا يُصدَّق أكثر من أي قصة مكتوبة. واقترح أن يروي قصصه لي ثم أتولى كتابتها وإذا ما كسبت مالاً من جراء ذلك أعطيته ما أعدّه مبلغاً منصفاً. والأفضل من ذلك أن نرحل معاً إلى شمال أفريقيا وسيأخذني إلى بلاد السلطان الأزرق حيث بوسعي الاطلاع على قصص لم يسمع بها إنسان من قبل.

وسألته عن نوع تلك القصص فقال المعارك، والإعدام، والتعذيب، والاغتصاب، والعادات المريعة، والطقوس التي لا تُصدَّق، والدعارة، وأيُّ شيء أحتاج إليه. وحان موعد عودتي إلى الفندق والاستفسار عن سكوت ثانية، فدفعتُ حساب المطعم وقلت



له إننا لا بُدَّ أن نتصادف مرَّة أخرى. وقال إنه سيتوجّه للعمل في مرسيليا وقلت إننا سنلتقي في مكان ما عاجلاً أو آجلاً، وإنني سُعدت بتناول الطعام معه. وتركته وهو يعدّل اعوجاج قطع نقدية ويرتبها على الطاولة، وقفلتُ عائداً إلى الفندق.

لم تكن ليون مدينة مرحة في الليل، فهي مدينة كبيرة ثقيلة موسرة، ومن المحتمل أنها لا بأس بها إذا كنت تملك المال وتحبّ ذلك النوع من المدن. وكنت أسمعَ لسنوات خلت عن الدجاج اللذيذ في مطاعمها، ولكننا أكلنا لحم الغنم بدلاً من الدجاج. وكان لحم الغنم ممتازاً.

لم تكُن ثمَّة رسالة من سكوت في الفندق وأويت إلى فراشي في ترف الفندق الذي لم أعتَد عليه، وطالعت في نسخة من المجلَّد الأوَّل من **تخطيطات رجل رياضي**(16) لتورجنيف، الذي كنت قد استعرته من مكتبة سلفيا بيتش. لم أستمتع بترف فندق كبير منذ ثلاث سنوات، وفتحت الشبابيك على مصاريعها، ووضعت الوسائد تحت كتفيّ ورأسي وشعرت بسعادة لكوني مع تورجنيف في روسيا حتّى غلبني النعاس وأنا ما زلت أقرأ. وفيما كنت أحلق ذقني في الصباح استعداداً لتناول الفطور، نادوا عليّ من الاستقبال قائلين إنَّ سيداً هناك يرغب في مقابلتي.

- «دعه يصعد من فضلك». قلت ذلك وأنا أواصل حلاقة ذقني، وأسمع المدينة وهي تعود ثانية إلى الحياة منذ الصباح الباكر.

لم يصعد سكوت فالتقيته في صالة الاستقبال.

وبادرني قائلاً: «آسف جداً للارتباك الذي حصل. لو كنت أعرف فقط في أي فندق ستنزل لصار الأمر أيسر».



قلت: «لا بأس». كنا سنقوم برحلة طويلة معاً وأردتُ أن أجنح للسلم. «في أي قطار أتيت؟».

- «في قطار غادر بعد وقت قصير من قطارك. كان قطاراً مريحاً جداً، وكان من الممكن أن نأتي معاً».

- «هل تناولت طعام الفطور؟».

- «لمّا بعد. كنت أبحث عنك في طول المدينة وعرضها».

قلت: «هذا مؤسف. ألم يخبروك في المنزل أنني هنا؟».

- «لا، كانت زيلدا مريضة، وربما كان ينبغي عليّ ألا آتي. والرحلة كلّها بمثابة كارثة حتى الآن».

قلت: «لنتناول فطورنا ونجد السيّارة وننطلق».

- «حسناً، أنتناول فطورنا هنا في الفندق؟».

- «سيكون أسرع في مقهى من المقاهي».

- «ولكن من المؤكد أننا سنحصل على فطور جيّد هنا».

- «طيّب».

وكان فطوراً أميركيّاً كبيراً باللحم والبيض وكان جيّداً جداً. ولكننا في الوقت الذي طلبناه، وانتظرناه، وأكلناه، وانتظرنا دفع الحساب، أضعنا ساعة تقريباً. وبعد أن وصل النادل بالحساب، قرّر سكوت أن نطلب من الفندق أن يعدّ لنا غداء سفريّاً. حاولت أن أقنعه بالتخلي عن هذه الفكرة لأنني كنت متأكّداً من أننا نستطيع أن نشتري قنينة نبيذ ماكون في ماكون[17] ونشتري ما يلزم لإعداد شطائر باللحم المجفّف، أو نتوقف عند أي مطعم من المطاعم العديدة على الطريق إذا كانت الحوانيت مغلقة. بيد أنّه قال إنني كنت قد أخبرته أن الدجاج رائع في ليون، وينبغي بكل تأكيد أن نأخذ دجاجة معنا.



وهكذا أعدّ الفندق لنا غداء كلفنا أربع أو خمس مرات أكثر من ثمنه لو اشتريناه بأنفسنا.

من الواضح أن سكوت كان قد شرب قبل أن ألقاه، وبدا عليه كأنه في حاجة إلى شراب آخر، وسألته ما إذا كان يرغب في تناول شراب في البار قبل أن ننطلق، فأخبرني أنه لا يتناول الصبوح وسألني ما إذا كنت أصطبح. فأخبرتُه أن ذلك يعتمد كليّاً على مزاجي وما عليّ أن أفعله في ذلك الصباح، فقال لي إذا كنتُ أشعر أنني أحتاج إلى شراب فإنه سينادمني لئلا أشرب منفرداً. وهكذا تناولنا شراب ويسكي مع ماء فوار بيرييه في البار حينما كنا ننتظر إعداد الغداء، وشعرنا كلانا بارتياح.

دفعت حساب غرفتي في الفندق وحساب البار، على الرغم من أن سكوت أراد أن يدفع كلَّ شيء. لقد كانت لي مشاعر متضاربة بشأن هذه الرحلة منذ بدايتها، وأحسستُ أنَّ هناك ما هو أكثر أهمية منها لإنفاق المال عليه. فقد أخذت أصرف ما ادخرته من نقود لرحلة إسبانيا، غير أنني أدركت أن بميسوري أن أقترض من سلفيا بيتش ما أريد لتعويض ما كنت أبذره الآن.

وفي المرأب (الكراج) الذي أودع فيه سكوت السيارة، دُهشت عندما ألفيت أنَّ السيّارة الرونو الصغيرة لا سقف لها؛ فقد تضرَّر السقف عند إنزال السيارة من الباخرة في مرسيليا، أو أنه تضرر بمرسيليا بكيفية ما، وطلبت زيلدا قطعه ورفضت تعويضه بسقف آخر. إذ كانت زوجته تكره سقوف السيّارات، كما أخبرني سكوت، وقادا السيّارة بدون سقف حتى ليون ثم أوقفتهما الأمطار. وفيما عدا ذلك فالسيّارة في حالة جيّدة. ودفع سكوت الفاتورة بعد أن جادلهم



حول تكاليف مختلفة تخصّ الغسيل والتشحيم ولترين إضافيَّين من الزيت. وأخبرني صاحب الكراج أن السيارة بحاجة إلى حلقات (أساور) جديدة لمكبس المحرّك، فمن الواضح أنها كانت تستعمَل بدون زيت ولا ماء كافيَين. وأراني كيف تضرّرتْ صباغة المحرّك بسبب ارتفاع درجة حرارة المحرّك، وحثني على إقناع السيد بإجراء ما تحتاج إليه من عمل على حلقات المكبس في باريس بحيث يكون في مقدور السيّارة، وهي سيارة صغيرة جيدة، تأدية الخدمة التي صُنعت من أجلها.

- «ألا يسمح لي السيد بتبديل السقف؟».

- «كلا».

- «إن علينا التزامات تجاه السيارة».

- «علينا».

- «أليس لدى السيّدَين معاطف مطرية مشمعة؟».

قلت: «لا، لم أعرف شيئاً عن السقف».

وقال مستعطفاً: «حاول أن تجعل السيد أكثر جدية على الأقل فيما يخصُّ السيارة».

قلت: «آه».

وأوقفتنا الأمطار على بعد حوالي ساعة شمالي مدينة ليون.

وأوقفتنا الأمطار في ذلك اليوم عشر مرّات تقريباً. وكانت على شكل زخّات عابرة بعضها أطول من بعض. ولو كان لدينا معاطف مشمّعة لكان السفر ممتعاً تحت أمطار الربيع. ولكن في وضعنا ذاك كنّا نضطر إلى الاحتماء من المطر تحت الأشجار، أو نتوقّف في المقاهي على الطريق. وكان لدينا الغداء الرائع من الفندق في ليون:



دجاجة محمّرة بالكمأة مع خبز لذيذ ونبيذ ماكون الأبيض، وكان سكوت سعيداً جداً بشرب نبيذ ماكون في كلِّ مرة توقَّفنا فيها. وكنت قد اشتريت من ماكون أربع قناني إضافية من النبيذ الجيد عمدت إلى فتحها كلَّما احتجنا إليها.

لست متأكداً ما إذا كان سكوت قد شرب النبيذ من القنينة مباشرة من قبل، لذا وجد ذلك أمراً مثيراً، كما لو كان يلج حيّاً فقيراً، أو كما تشعر فتاة تسبح بدون ثوب سباحة لأوَّل مرة. ولكن أخذ القلق يساوره على صحّته بعد الظهر. وأخبرني عن شخصَين تُوفّيا مؤخَّراً من جراء احتقان الرئتَين. وكلاهما مات في إيطاليا وقد تأثّر كثيراً لذلك.

وقلت له إن احتقان الرئتين هو مصطلح قديم لذات الرئة أو الالتهاب الرئوي، فقال لي إنني لا أعرف شيئاً عنه وإنني مخطئ تماماً، وإن احتقان الرئتين مرض متأصل في البيئة الأوروبية وليس من الممكن أن أعرف شيئاً عنه حتى إذا كنتُ قد قرأتُ كتب والدي الطبيّة، لأنها تدور حول الأمراض الأميركيّة تحديداً. وقلت إن والدي درس في أوروبا كذلك. ولكن سكوت شرح لي أنَّ احتقان الرئتين ظهر في أوروبا مؤخراً فقط ولم يكُن بمقدور والدي أن يعرف عنه شيئاً. وشرح لي كذلك أن الأمراض تختلف باختلاف المناطق حتّى في أميركا، وإذا كان والدي قد مارس الطب في نيويورك بدلاً من الغرب الأوسط، فإنه سيتعرف على طبقة مختلفة من الأمراض. واستعمل كلمة **طبقة**.

وقلت له إنه على حقٍّ من حيث انتشار أمراضٍ معيَّنة في صقع من الولايات المتحدة واختفائها في أصقاع أخرى، وضربتُ مثلاً



لذلك في مقدار الجذام في نيو أورليانز وحدوثه النادر، حينذاك، في شيكاغو. بيدَ أني أضفتُ أن للأطباء نظاماً لتبادل المعلومات والمعرفة فيما بينهم؛ وقد تذكَّرت، بعد أن أثار الموضوع، أنني كنت قد قرأت مقالاً عن احتقان الرئتين في أوروبا في مجلة **الجمعية الطبية الأميركية** يتتبع المرض إلى أيام أبقراط نفسه. وهذا أوقفه لهنيهة، فحثثته على تناول شراب ماكون آخر، ما دام النبيذ الأبيض الجيّد الذي يشتمل على نسبة منخفضة من الكحول علاجاً ضد المرض، إذا تناوله الفرد باعتدال.

وانتعش سكوت قليلاً بعد ذلك ولكنه سرعان ما انتكس، وسألني إذا كنا سنصل مدينة كبيرة قبل أن تباغته الحمى والهلوسة. وعندها أبلغته أنَّ مرض احتقان الرئتين الأوروبي يعلن عن نفسه بأعراض واضحة. وكنت آنئذٍ أترجم من مقال قد قرأته في مجلة طبية فرنسية عن المرض نفسه في صالة الانتظار في المستشفى الأميركي بضاحية نويي[18] في باريس قبيل إجراء عملية كيّ لبلعومي. ولقيت كلمة كيّ ارتياحاً من قبل سكوت. ولكنه أراد أن يعرف متى سنصل إلى مدينةٍ من المدن. فقلت إننا إذا واصلنا السير فسنبلغ مدينة بعد فترة تتراوح بين خمس وعشرين دقيقة وساعة.

وسألني سكوت ما إذا كنت أخشى الموت، فأجبت أنَّ ذلك الشعور ينتابني بين الفينة والأخرى.

وأخذت الأمطار تتساقط الآن بغزارة فلجأنا إلى مقهى في قريةٍ قريبة. لا أتذكَّر تفاصيل بعد ظهر ذلك اليوم، ولكن عندما بلغنا أخيراً مدينة يفترض أنها شالون على نهر السون[19]، كان الوقت متأخِّراً وجميع الصيدليات مغلقة. وخلع سكوت ملابسه وأوى إلى



فراشه حالما وصلنا إلى الفندق. وقال إنه لا يأبه بالموت من جراء احتقان الرئتين. ولكن المسألة تكمن في مَن سيعتني بزوجته وطفلته الصغيرة سكوتي. ولم أتصور كيف يمكنني أن أعتني بهما في الوقت الذي أعاني فيه كثيراً من إعالة زوجتي هادلي وولدي الصغير بمبي، ومع ذلك فقد وعدته بأنني سأبذل ما في وسعي لرعايتهما فشكرني سكوت على ذلك. كان عليّ أن أتأكد من أن زيلدا لا تشرب وأن تكون لسكوتي مربيّة إنجليزيّة.

بعثنا بملابسنا لتُجفَّف وبقينا بمنامتينا. وكانت الأمطار لا تزال تهطل في الخارج، ولكن الغرفة بهيجة من الداخل بفضل الأضواء الكهربائية. وظلَّ سكوت مستلقياً على الفراش احتفاظاً بقوّته لمقارعة المرض. وقمت بجسّ نبضه فألفيته 72، وتحسّستُ جبهته فوجدتها باردة. وأصخت السمع إلى صدره وطلبت منه أن يتنفّس بعمق، فبدا لي صدره على ما يرام.

وقلت له: «اسمع، يا سكوت! أنت بخير تماماً. وإذا أردت أن تتحاشى الإصابة بالزكام، فأفضل شيء تفعله هو أن تبقى في فراشك فقط، وسأطلب لكلٍّ واحد منا كأساً من عصير الليمون والويسكي وتأخذ حبّة أسبرين مع شرابك، وستشعر كما ينبغي ولن تُصاب حتّى ببرد في رأسك».

فقال سكوت: «هذه من وصفات الزوجات العجائز».

- «ليس عندك حرارة. فكيف تُصاب - بحقّ جهنّم - باحتقان الرئتين بدون حرارة؟».

قال سكوت «لا تجدّف أمامي. كيف تعرف ألّا حرارة عندي؟».



- «نبضك طبيعي ولا وجود للحرارة عندك حين ألمسك».

وقال سكوت بمرارة: «حين تلمسني». وأضاف: «إذا كنت صديقاً صدوقاً، آتني بميزان الحرارة».

- «إنني بمنامتي».

- «أرسل مَن يأتي به».

وضغطت على زرِّ الجرس لاستدعاء النادل. لم يأتِ فضغطت على الزرِّ مرَّة ثانية، ثمَّ نزلت إلى الرواق للبحث عنه. وكان سكوت مستلقياً على الفراش وعيناه مغمضتان، ويتنفَّس ببطءٍ وعناية، وتبدّى لي بلونه الشمعيّ وتقاطيع وجهه الكاملة مثل فارسٍ صليبيٍّ ميّت. وأخذتُ أشعر بالسأم من حياة التفرُّغ للأدب إذا كانت تلك هي الحياة الأدبية التي أعيشها. وأخذت أفتقد العمل، وأحسست بوحشة الموت التي تغشانا في نهاية كلّ يوم يضيع من حياتنا. ومللتُ سكوت ومهزلته السخيفة، بَيدَ أني عثرت على النادل وأعطيته نقوداً ليشتري بها ميزان حرارة وعلبة أسبرين، وطلبت كأسَي عصير ليمون واثنين من الويسكي. أردت أن أطلب قنينة ويسكي كاملة ولكنهم لا يبيعونه إلّا بالكؤوس.

وحينما عدت إلى الغرفة ألفيت سكوت ما زال ممدّداً كما لو كان في لحده، منحوتاً مثل مومياء، وعيناه مغمضتان، وهو يتنفّس بوقار لا مثيل له. وعندما سمعني أدخل الغرفة تكلم: «هل أتيتَ بالمحرار؟».

دنوت منه ووضعت يدي على جبهته. لم تكن باردة كالقبر، ولكنها كانت باردة وليست رطبة. وقلت: «لا».

- «ظننت أنك أتيت به».



- «بعثت في طلبه».
- «ليس هذا الشيء نفسه».
- «لا، ليس الشيء نفسه، أليس كذلك؟».

ليس في وسعك أن تغضب على سكوت أكثر ممّا تغضب على شخصٍ أحمق، ولكنني أمسيت غاضباً على نفسي لتورطي في هذه المهزلة. ولكنَّه كان على حقٍّ في أمر، وأنا أعرف ما هو جيّداً. كان معظم السكِّيرين يموتون في تلك الأيام من التهاب الرئتين، وهو مرض تم استئصاله تقريباً في الوقت الحاضر. ولكن من الصعب أن تعدّه سكِّيراً، ما دام يتأثر بمثل تلك الكميات القليلة من الكحول.

كنا في أوروبا نظنّ آنذاك أن النبيذ شيءٌ صحّيٌّ وطبيعيّ كالغذاء ونعتبره كذلك مانحاً كبيراً للسعادة والخير والانشراح. لم يكن تناول النبيذ نوعاً من الاستعلاء أو علامة للرقي أو صنفاً من العبادة، بل كان شيئاً طبيعياً كالطعام، وبالنسبة لي ضرورياً كذلك كالطعام، فلم أفكر قطّ في تناول وجبة من الوجبات دون أن أتناول معها إما نبيذاً أو عصير التفاح أو الجعة. وأحببت جميع أصناف النبيذ ما عدا النبيذ الحلو والنبيذ الثقيل جداً. ولم يخطر ببالي أبداً أنَّ منادمة سكوت في شرب بضع قناني من نبيذ ماكون الأبيض الجاف الخفيف نوعاً ما، يمكنها أن تُحدِث فيه تغيراتٍ كيميائية وتحوّله إلى رجل أحمق. نعم كان هناك الويسكي وماء بيرييه الفوّار في الصباح، ولكن لجهلي بالكحوليّات يومئذٍ، لم أتصور أن كأساً واحدة من الويسكي سيؤذي أيّ شخص يقود سيارة مكشوفة في المطر. لا بدَّ أنَّ الكحول قد تأكسد بعد فترة وجيزة.

وفي انتظار وصول النادل مع الأشياء المختلفة، جلستُ أقرأ



جريدة وأُنهي قنينة نبيذ ماكون لم تُفتح أثناء توقّفنا الأخير. ثمة جرائم رائعة دائماً في الصحف ويمكنك متابعتها يوماً بعد يوم إذا عشتَ في فرنسا. وتُقرأ تلك الجرائم مثل قصصٍ مسلسلة، ومن الضروري قراءة الفصول الافتتاحية، وذلك لعدم وجود ملخّصات للفصول السابقة كما هو الحال في القصص المسلسلة الأميركية؛ وعلى كلّ حال، فإنك لا تستمتع بقصة أميركيّة مسلسلة ما لم تكُن قد قرأتَ الفصل الأوَّل ذا الأهمية القصوى. وعندما تسافر عبر فرنسا، فالصحف مخيّبة للآمال؛ لأنك تفتقد الاستمراريّة في الجرائم، والغراميّات، والفضائح المختلفة، وتفقد كثيراً من المتعة التي تستقيها منها وأنت تطالعها في مقهى. وهذه الليلة كنت أفضّل كثيراً أن أكون في مقهى حيث يمكنني أن أقرأ الطبعة الصباحية لصحف باريس، وأشاهد المارّة، وأشرب شيئاً أقوى من نبيذ ماكون تمهيداً لتناول العشاء. بيدَ أنني كنت أعتني بسكوت، وهكذا عملت على تسلية نفسي حيث كنت.

وعندما وصل النادل وهو يحمل كأسَي عصير الليمون والثلج والويسكي وقنينة ماء بيرييه الفوّار، أخبرني أنَّ الصيدلية مغلقة، وأنه لم يستطع الحصول على محرار، وأنَّه استعار بعض حبات الأسبرين. ورجوته أن يحاول استعارة محرار. وفتح سكوت عينيه وحدج النادل بنظرةٍ إيرلندية مؤذية.

وسألني: «هل أخبرته أن الحالة خطيرة؟».

- «أظن أنه يفهم».

- «أرجو أن تحاول توضيح ذلك له».

وحاولتُ أن أبيّن ذلك للنادل الذي قال: «سأفعل ما بوسعي».



- «هل أعطيته من البقشيش ما يكفي ليبذل جهده. إنهم يعملون فقط عندما يحصلون على بقشيش».

قلت: «لم أعلم بذلك. ظننتُ أنَّ الفندق يدفع لهم شيئاً إضافة إلى مرتبهم».

- «أعني أنهم لا يفعلون شيئاً لأجلك ما لم تدفع لهم بقشيشاً كبيراً، فمعظمهم فاسد حتى النخاع».

وفكرت في إيفان شبمان وتذكّرت النادل في مقهى بستان الليلك الذي أُجبِر على حلق شاربه عندما وضعوا باراً أميركياً في المقهى، وكيف كان شبمان يعمل في حديقة ذلك النادل في ضاحية مونروج قبل وقت طويل من تعرُّفي على سكوت، وكيف كنا جميعاً أصدقاء طيبين في مقهى البستان ردحاً طويلاً من الزمن، وتذكَّرت جميع ما جرى وتأثيره فينا جميعاً. وعلى الرغم من أنني كنت، على ما يحتمل، قد ذكرت ذلك لسكوت من قبل، فإنني أعلم أنه لا يهتمُّ بالنُدُل ولا بمشاكلهم ولا بلطفهم ومحبَّتهم. وكان سكوت في ذلك الوقت يكره الفرنسيِّين، ولما كان الفرنسيّون الوحيدين الذين يلتقي بهم سكوت هم النُدُل الذين لم يفهمهم، وسواقي سيارات الأجرة، ومستخدمي الكراجات، وملاكي الشقق، فقد أتيحت له فرص كثيرة لإهانتهم وهضم حقوقهم.

وكان سكوت يكره الإيطاليين أكثر من الفرنسيين ولم يستطع التحدّث عنهم بهدوء حتّى عندما كان صاحياً. وغالباً ما كره الإنجليز بيدَ أنّه كان يحتملهم أحياناً ويحترمهم بعض المرّات. ولم أعرف مشاعره تجاه الألمان والنمساويِّين. ولم أعلم ما إذا التقى أحدهم أو أيّ سويسري قط.



وسررتُ في تلك الأمسية بالفندق، لأنه كان هادئاً. وخلطتُ عصير الليمون والويسكي وقدّمته له مع حبّتَي أسبرين، وبلع الأسبرين بدون اعتراضٍ وبهدوءٍ يثير الإعجاب وراح يحتسي شرابه. وكانت عيناه مفتوحتَين الآن وقد صوّب نظره بعيداً. وكنتُ أقرأ عن الجريمة في الصحيفة وكنت مسروراً، مسروراً أكثر من اللازم على ما يبدو.

وسألني سكوت: «أنت رجل بارد، أليس كذلك؟».

وعندما نظرت إليه رأيت أنني كنت مخطئاً في وصفتي، إن لم أكن مخطئاً في تشخيصي، فقد أخذ الويسكي يفعل فعله ضدّنا.

- «ماذا تعني بذلك، يا سكوت؟».

- «بميسورك أن تجلس هناك وأنت تقرأ تلك الجريدة الفرنسية القذرة ولا يعني لك شيئاً أنني أموت هنا».

- «هل تريدني أن أستدعي طبيباً؟».

- «لا، إنني لا أريد طبيباً فرنسيّاً ريفيّاً قذراً».

- «ماذا تريد، إذن»؟

- «أريد أن تُقاس حرارتي. ثم أريد أن تُجفف ملابسي وأن نستقل قطاراً سريعاً إلى باريس لأذهب إلى المستشفى الأميركي في نيي».

فقلت: «ملابسنا لا تنشف حتى الصباح ولا توجد قطارات سريعة. لماذا لا تستريح وتتناول طعام العشاء في الفراش؟».

- «أريد أن تُقاس حرارتي».

وبعد ذلك بوقت طويل جلب النادل المحرار.

وسألته: «هل هذا المحرار الوحيد الذي استطعتَ الحصول عليه؟».



وأغمض سكوت عينيه عندما دخل النادل وبدا على الأقل كما لو رحلَ بعيداً مثل كاميليا. ولم أرَ في حياتي قطّ رجلاً يهرب الدم من وجهه بمثل تلك السرعة، وتساءلت أين ذهب ذلك الدم!

وقال النادل: «إنه المحرار الوحيد الذي في الفندق». وناولني المحرار. لقد كان محرار الحمام وله قاعدة خشبية وعليه من المعدن ما يكفي لجعله يغطس في الحمّام. وأخذت بسرعة جرعة من الويسكي وفتحت الشباك لحظة لأطلّ على المطر. وعندما استدرت رأيت سكوت وهو يراقبني.

نفضتُ المحرار بطريقةٍ مهنية وقلت: «إنك محظوظ لأنه ليس محراراً مستقيماً».

- «أين يوضع هذا النوع؟».

- «تحت الإبط». قلت ذلك ودسسته تحت ذراعي.

وقال سكوت: «لا تربك المحرار». ونفضت المحرار مرَّة أخرى، بهزّة حادّة واحدة إلى الأسفل، وفككتُ أزرار منامته ووضعت الآلة تحت إبطه وأنا أتحسّس جبهته الباردة بيدي، ثمَّ أخذت نبضه مرَّة أُخرى. كان يحدق في الفضاء البعيد. وكان نبضه 72. وأبقيت المحرار تحت إبطه أربع دقائق.

وقال سكوت: «ظننتُ أنهم يضعون المحرار مدة دقيقة واحدة فقط».

فشرحتُ له قائلاً: «إنَّه محرار كبير، ولهذا فأنت تضرب الوقت بمربع حجم المحرار. إنَّه محرار مئويّ».

وأخيراً أخرجتُ المحرار وأخذتُه تحت الضوء لقراءته.

- «ما هي؟».



- «سبع وثلاثون وستة أعشار».

- «وما هي الطبيعيّة؟».

- «تلك هي الطبيعيّة».

- «هل أنت متأكّد؟».

- «بالتأكيد».

- «جرّبه عليك. لا بدّ أن أتأكد».

نفضت المحرار وفتحت منامتي ووضعته تحت إبطي وأنا أراقب الساعة. ثم ألقيتُ نظرةً عليه.

- «ما هي؟» ونظرتُ إلى المحرار.

- «نفس الشيء بالضبط».

- «وكيف تشعر؟».

قلت: «رائع». وكنت أحاول أن أتذكّر ما إذا كانت سبعة وثلاثين وستة أعشار هي درجة الحرارة العادية أم لا. ولم يكن ذلك مهمّاً لأن المحرار كان ثابتاً على درجة ثلاثين لم يتغير.

وأخذ الشكُّ يساور سكوت قليلاً ولهذا سألته عما إذا كان يريدني أن أعيد التجربة.

فقال: «لا، يمكن أن نسعد لأن الغمّة انجلت بسرعة، فأنا أتوفّر دائماً على قوّة عظيمة تمكّنني من استرداد عافيتي».

قلت: «أنت بخير. ولكن أظنُّ أن من الأفضل، مع ذلك، أن تبقى في فراشك وتتناول عشاءً خفيفاً، ثم بمقدورنا أن ننطلق في الصباح الباكر».

وكان في نيتي أن أقتني معطفَين مطريَّين لنا، ولكن يتوجَّب عليّ أن أقترض النقود منه ولم أرد أن أبدأ الجدال معه حول ذلك الآن.



لم يشأ سكوت أن يبقى في الفراش. أراد أن ينهض ويرتدي ملابسه وينزل ليتصل هاتفياً بزيلدا لتعلم أنه على ما يرام.

- «ولماذا تظنُّ زيلدا أنك لست على ما يرام؟».

- «هذه أوَّل ليلةٍ أباتُ بعيداً عنها منذ زواجنا ولا بُدَّ من مكالمتها. ويمكنك أن ترى ما يعنيه ذلك لكلينا، ألا يمكنك ذلك؟».

كان بإمكاني أن أرى ذلك، ولكن لم يكُن بإمكاني أن أرى كيف استطاع هو وزيلدا أن يناما معاً الليلة الفائتة، بيدَ أنَّ ذلك لا يستحقُّ المناقشة. وتناول سكوت الويسكي بسرعةٍ فائقة الآن، ثم رجاني أن أطلب كأساً أُخرى. وجدت النادل وأعدت المحرار إليه وسألته عمّا إذا كانت ملابسنا قد جفت، فقال إنها قد تغدو جاهزة بعد حوالي الساعة. وقلت له: «اطلب من مُستخدم التنظيف أن يعصر ملابسنا ممّا يساعد على تجفيفها. وليس من المهمّ أن تكون جافة كالعظم».

وجلب النادل الشرابَين اللذَين طلبناهما للوقاية من الزكام. وأخذت أحتسي شرابي وحثثت سكوت على احتساء شرابه بتؤدة. وانتابني القلق الآن من إمكان إصابته بالزكام، وتأكَّد لي بعد كلِّ ما مرَّ بنا من أنه إذا أُصيب بعارضٍ مُحقَّق كالزكام فإن دخوله المستشفى قد يمسي محتّماً. ولكن الشراب جعله يشعر بارتياح برهةً من الوقت، وأحسَّ بسعادةٍ وهو يتعايش مع مضامين الكارثة المتمثّلة في فراقه مع زيلدا لأولّ ليلة منذ زواجهما. وأخيراً لم يحتمل الانتظار أطول من ذلك فارتدى بُرده ونزل لمكالمة زيلدا هاتفياً.

واستغرق طلب تسجيل المكالمة الهاتفية بعض الوقت وبعدها



بقليل صعد سكوت إلى الغرفة، وظهر النادل خلفه حاملاً كأسَين أُخريَين من الويسكي. وهكذا شاهدت سكوت يشرب أكبر قدر من الكحول، حتى ذلك الحين، ولكن لم يؤثر فيه سوى أنه جعله أكثر حيوية وثرثرة، وراح يحدّثني بإيجاز عن حياته مع زيلدا. فأخبرني كيف التقاها إبان الحرب ثم فقدها ثم استعادها، كما أخبرني عن زواجهما، وبعدئذٍ عن كارثة حاقت بهما في سان رافائيل[20] قبل عامٍ تقريباً. وكانت تلك الرواية الأولى التي سردها عليّ حول وقوع زيلدا في غرام ضابط طيّار من البحريّة الفرنسيّة قصة حزينة وأعتقد أنّها حقيقية. فقد سرد عليّ فيما بعد روايات أخرى لتلك القصة، كما لو كان يجربها للاستعمال في قصة طويلة يكتبها، ولكن لم تكُن أيٌّ من تلك الروايات بمثل حزن الرواية التي سردها عليّ أول مرة، على الرغم من أنَّ من المحتمل أن تكون إحدى تلك الروايات صادقة. وفي كلِّ روايةٍ كان السرد أفضل، ولكنَّها لم تؤلمني كما آلمتني الصيغة الأولى.

كان سكوت فصيحاً ومتمكّناً من السرد. ولم يكُن مضطراً لوضع النقاط على الحروف، ولا يخامرك إحساسٌ بأنَّك تستمع إلى أُمّيّ وصلك خطابه قبل أن تُصحَّح كلماته وعباراته. عرفته مدَّة عامين قبل أن يتمكن من تهجية اسمي بصورةٍ صحيحة، ولكن اسمي اسم طويل وربما يصبح أصعب تهجية في كلِّ محاولة، وأخيراً اعترفت بمقدرته وهنأته على تمكُّنه من كتابة اسمي بشكلٍ صحيح. وتعلّم بعد ذلك كيف يتهجّى أشياء أكثر أهمّية، وحاول أن يفكِّر بشكل مستقيم بشأن أمور كثيرة.

أرادني في تلك الليلة أن أعرف وأفهم وأتفهّم ما حدث في سان



رافائيل، ورأيتُ كلّ شيء بوضوح بحيث أصبح بوسعي أن أشاهد طيّار البحرية وهو يُقبل بسرعة في عوامته، وأشاهد لون البحر وشكل العوامة والظلّ الذي يلقيانه على بشرة زيلدا وبشرة سكوت وعلى اللونين الأشقر الغامق والأشقر الخفيف لشعرهما، وعلى الوجه المسمر للفتى عاشق زيلدا. ولم أتمكّن من طرح السؤال الذي ألحّ على ذهني وهو: إذا كانت تلك القصة حقيقية وأنها وقعت فعلاً، كيف يستطيع سكوت أن ينام كلّ ليلة في الفراش نفسه مع زيلدا؟ ولكن ربّما يكون ذلك هو الذي جعل تلك القصة حزينة أكثر من أيّ قصَّةٍ أخرى رويت لي على الإطلاق، وربما لم يتذكّر، كما لم يتذكّر الليلة الفائتة.

وصلت ملابسنا قبل أن تصل مكالمة سكوت الهاتفية وارتديناها ونزلنا لتناول طعام العشاء. وكان سكوت غير مستقرّ نوعاً ما، وكان ينظر إلى الناس من طرف عينَيه مع شيء من العدائيّة. وقدَّموا لنا قواقع بحريّة جيّدة مع غرّافة نبيذ، وبينما كنا في منتصفها وصلت مكالمة سكوت الهاتفية، فذهب لإجرائها وظلّ حوالى الساعة فأكلتُ حصّته من القواقع في نهاية المطاف، وكنت أتناولها مع كسرات من الخبز أغمسها في الزبدة المخلوطة بالثوم والبقدونس، وشربت غرّافة النبيذ. ولما عاد قلت له إنني سأطلب له قواقع أخرى ولكنَّه قال إنَّه لا يريدها. ورغب في تناول شيءٍ أبسط. لم يُرِد شريحة لحم، ولا الكبد، ولا القديد، ولا البيض. إنه سيتناول الدجاج. كنا قد أكلنا دجاجة باردة جيدة وقت الغداء، ومع ذلك فإن هذه المنطقة مشهورةٌ بدجاجها، وهكذا تناولنا دجاجةً وقنينة نبيذ أبيض طيّب من منتجات تلك المنطقة. وأكل سكوت قليلاً واحتسى كأساً من النبيذ. وأغمي



عليه على الطاولة ورأسه على يديه. وكان ذلك طبيعياً وليس مشهداً تمثيلياً وبدا كما لو كان حريصاً على عدم إراقة النبيذ أو كسر الصحون. وقمت أنا والنادل بنقله إلى الغرفة ومدَّدناه على فراشه وخلعت ملابسه وعلّقتها، ثمَّ غطّيته بملاءة الفراش. وفتحت الشبّاك ولاح لي الجوّ صحواً في الخارج، وتركت الشباك مفتوحاً.

ونزلت ثانية إلى المطعم لأنهي عشائي ورحت أفكّر في سكوت. كان واضحاً أنَّه من اللازم ألّا يتناول المشروبات، وأنَّني لم أعتنِ به كما يجب. فكلُّ شيء كان يشربه يثيره كثيراً ويسمّمه، وقرّرت أن أقلّل الشراب إلى الحدّ الأدنى في اليوم التالي. سأخبره بأننا عائدون إلى باريس ويتوجّب عليّ أن أضبط نفسي وأمتنع عن الشرب لأستأنف الكتابة. وليس ذلك بصحيح، فالانضباط الذي كنت أمارسه هو الامتناع عن الشراب بعد العشاء وقبل الكتابة وفي أثنائها. صعدت إلى الغرفة وفتحت جميع الشبابيك على مصراعيها وخلعت ملابسي واستغرقت في النوم حالما أويت إلى فراشي.

وفي اليوم التالي سقنا السيارة إلى باريس في نهارٍ مشرقٍ جميل مروراً بشاطئ الذهب[21]، وكان الهواء منعشاً بعد سقوط المطر، وبدت التلال والسهوب وحقول العنب كلُّها جديدة، وأصبح سكوت بهيجاً سعيداً وبصحّة جيدة، وأخبرني بعقدةِ كلّ رواية من روايات ميخائيل آرلن[22]. وقال إنّ ميخائيل آرلن هو الرجل الذي يتوجّب عليّ أن أتابع أعماله، وأنا وهو يمكننا أن نتعلّم منه كثيراً. وقلت إنني لم أستطع قراءة تلك الكتب، فقال ليس ذلك ضرورياً، فهو سيتولى شرح عُقد الروايات ووصف شخوصها. وألقى عليّ نوعاً من أطروحة دكتوراه شفوية حول ميخائيل آرلن.



وسألته ما إذا كان اتصاله الهاتفي مع زيلدا واضحاً بلا ضوضاء، فقال إنه لا بأس به وأنهما تحدّثا حول أمورٍ كثيرة. وعند تناول الطعام، طلبت قنينةً من أخفّ نبيذٍ استطعت أن أجده في القائمة، وأخبرت سكوت أنه سيتكرّم عليّ كثيراً إذا منعني من طلب المزيد من النبيذ؛ لأنه يتوجّب عليّ الامتناع من الشرب قبل أن أستأنف الكتابة، وأنه لا ينبغي أن أشرب أكثر من نصف القنينة بأيٍّ حالٍ من الأحوال. وتجاوب سكوت معي في ذلك بصورةٍ رائعة، وعندما لاحظ توتّري ونحن نقترب من نهاية القنينة، أعطاني بعض حصّته.

وبعدما تركته في منزله وعدت بسيّارة أجرة إلى المنشرة، خامرني إحساس رائع لدى رؤية زوجتي، وذهبنا معاً إلى مقهى بستان الليلك لتناول شراب هناك. وشعرنا بسعادة الأطفال الذين يلتقون بعد فراق، وحدّثتها عن الرحلة.

وسألتني: «ولكن ألم تمرح أو تتعلّم شيئاً يا تاتي؟».

- «كنت سأتعلّم عن ميخائيل آرلن، لو أصختُ السمع، وتعلّمت أشياءَ لم أصنّفها بعد».

- «ألم يكن سكوت سعيداً على الإطلاق؟».

- «ربّما».

- «مسكين».

- «تعلّمت شيئاً واحداً».

- «ما هو؟».

- «لا تسافر أبداً مع أيّ إنسان لا تحبُّه».

- «أليس ذلك جميلاً؟».



- «نعم، وسنسافر معاً إلى إسبانيا».

- «نعم، فلم يبقَ على موعد رحلتنا إلّا أقل من ستة أسابيع. ولن ندع أحداً يفسدها علينا هذا العام».

- «لا. وبعد بامبلونا سنذهب إلى مدريد وبلنسيا».

وقالت بغنج: «م م م م» مثل قطة.

وقلت: «مسكين سكوت».

وقالت هادلي: «مسكين مَن لا يملك المال».

- «إننا محظوظون حقّاً».

- «يجب علينا أن نكون طيّبين ونحافظ على سعادتنا».

ولمس كلانا الخشب على طاولة المقهى. وجاء النادل ليرى ما نريد. ولكنَّ الذي نريده لا يمكن أن يحقّقه لنا النادل أو لمس الخشب أو المرمر، لأنَّ سطح الطاولة في ذلك المقهى كان من المرمر. ولكننا لم نعرف ذلك في تلك الأمسية، وأحسسنا بسعادةٍ غامرة.

وحمل إليّ سكوت كتابه بعد يوم أو يومين من تلك الرحلة. وكان له غلاف ورقي خارجي صارخ الألوان، وأذكر أنني شعرت بنوعٍ من الحرج أمام قلة الذوق الذي أُخرج به غلاف الكتاب، فقد تبدّى لي مثل غلاف روايةٍ بوليسيَّةٍ سيئة. وقال إنه أعجبه الغلاف سابقاً ولم يعُد يعجبه الآن. وخلعت الغلاف الخارجي لكي أقرأ الكتاب.

وعندما انتهيتُ من قراءة الكتاب، تأكّد لي أنّه مهما فعل سكوت وكيفما تصرَّف، فإن عليّ أن أعلم أن سلوكه نوع من المرض، ومن واجبي أن أقدّم له ما في وسعي من مساعدة وأحاول أن أصبح



صديقاً وفيّاً له. كان له أصدقاء خُلَّص عديدون أكثر من أي واحد آخر أعرفه. ومع ذلك فإنَّني اعتبرت نفسي صديقاً إضافيّاً له سواء استطعت نفعه أم لا. وما دام قد تمكّن من تأليف كتاب رائع مثل **غاتسبي العظيم** فأنا متأكّد أن بوسعه أن يكتب كتاباً آخر أروع منه. لم أكُن قد تعرفت على زيلدا بعد، ولهذا لم أعرف ما يخبئه له القدر من مصائب. بيدَ أنَّنا سنكتشف تلك المصائب عما قريب جداً.




مكتبة
الفكر الجديد

18

الصقور لا تتقاسم الفريسة

دعانا سكوت فتزجيرالد لتناول طعام الغداء معه وزوجته وابنته الصغيرة في الشقّة المؤثثة التي استأجروها في البناية رقم 14 شارع تلسيت. ولا أستطيع أن أتذكّر الشيء الكثير عن الشقّة ما عدا كونها كئيبةً وسيّئةَ التهوية؛ ويبدو أن لا شيء فيها تعود ملكيته لهم باستثناء كتب سكوت الأولى المجلّدة بجلدٍ أزرقَ خفيفٍ ولها عناوين مذهّبة. وأَطْلعنا سكوت على دفتر حسابات كبير يحتوي على عناوين جميع القصص التي نشرها مرتّبة حسب سِنيّ نشرها والمبالغ التي قبضها لقاءها، وكذلك المبالغ التي تلقاها عن كلِّ شريط سينمائيّ، وكذلك مبيعات كتبه وحقوق نشرها. ودُوّنت تلك المعلومات بعناية تضاهي دقّة دفتر السفينة؛ وعرضها سكوت علينا أنا وزوجتي بصورة موضوعيّة كما لو كان محافظ متحف من المتاحف. وكان سكوت مرتبكاً ومضيافاً وأطلعنا على حساب مدّخراته كما لو كان معرضاً فنياً. وليس ثمّة معرض.

وكانت زيلدا تعاني من خُمار السكر. فقد ذهبا الليلة الماضية إلى مونمارتر[1] وتشاجرا هناك لأن سكوت لم يُرد أن يسكر. لقد قرّر، كما أخبرني، أن يعمل بجدّ وألّا يشرب في حين تعامله زيلدا



كما لو كان معكّر الصفو أو مكدّر الأفراح. وقد نَعَتَته بهاتَين العبارتَين، وراحا يكيلان التهم أحدهما للآخر ثم قالت زيلدا: «لم أقُل ذلك. لم أفعل شيئاً من ذلك، هذا غير صحيح، يا سكوت». وبعد ذلك بدا عليها كما لو تذكّرت شيئاً وأخذت تضحك بسعادة.

لم تبدُ زيلدا في أحسن أحوالها ذلك اليوم. فشعرها الأشقر الغامق قد أفسده مؤقّتاً صبغ سيّئ اشترته في ليون يوم اضطرّهم المطر لترك سيارتهما هناك، وكانت عيناها متعبتَين ووجهها متوتراً ومنقبضاً.

وكانت لطيفة معي ومع هادلي بصورةٍ رسميّة، بَيد أنه تبدّى قسمٌ كبير من كيانها كما لو كان غير حاضر معنا، بل ما زال في الحفلة التي عادت منها ذلك الصباح. ويبدو أنَّها وسكوت كانا يشعران بأنَّنا (أنا وسكوت) قد تمتعنا كثيراً وأمضينا وقتاً رائعاً معاً في رحلتنا إلى ليون، وأصابتها الغيرة بسبب ذلك.

وقالت لسكوت: «عندما تذهبان أنتما وتمضيان وقتاً ممتعاً معاً بكلِّ بساطة، فمن العدل أن أمرح أنا قليلاً مع أصدقائنا الطيّبين هنا في باريس».

كان سكوت يمثّل المُضيف الكامل وتناولنا غداء سيّئاً حسَّنه النبيذ بعض الشيء وليس كثيراً. وكانت ابنتهما الصغيرة شقراء، مدوّرة الوجه، ممتلئة الجسم، وتبدو بصحَّةٍ جيّدة، وتتكلم الإنجليزية بلهجة عامّية بريطانية قويّة. وأوضح لنا سكوت أن مربيتها إنجليزية لأنَّه يريدها أن تتحدث مثل الليدي ديانا مانرز[2] عندما تكبر.

وكان لزيلدا عينا صقر، وفم دقيق، وأخلاق ولهجة أميركية جنوبيّة. وعندما تمعن النظر في وجهها يمكنك أن تلاحظ أن فكرها



يغادر المائدة وينتقل إلى حفلة الليلة البارحة ويعود، وعيناها فارغتان مثل عينَي قطّة، ثمَّ تنشرح ويظهر الانشراح على طول الخطوط الدقيقة لشفتيها ثمَّ يختفي. وكان سكوت مُضيفاً طيباً وبهيجاً، ونظرت إليه زيلدا وابتسمت بسعادة بعينَيها وفمها كذلك عندما شرب النبيذ. وتدربتُ على معرفة تلك الابتسامة جيّداً، فهي تعني أن سكوت لن يتمكَّن من الكتابة.

كانت زيلدا غيورة من عمل سكوت، وعندما عرفناهما جيّداً أصبحت غيرتها أمراً معتاداً. يقرر سكوت عدم الذهاب إلى حفلات الشراب التي تستغرق الليل كلَّه لكي يتمرّن قليلاً كلّ يوم ويمارس الكتابة بانتظام. فيبدأ العمل وحالما ينهمك فيه، تأخذ زيلدا بالتشكّي من ضجرها وعزلتها وتُجبره أن يرافقها إلى حفلة شراب أخرى. ويتخاصمان ثم يتصالحان، ويأتي إليّ لنتمشّى مسافةً طويلة يتخلّص بها من أثر الكحول، ويصمم على أن يعمل بجدٍّ هذه المرَّة، ويبدأ بداية حسنة، ثمَّ تدور الدائرة كالمعتاد مرَّة أخرى.

كان سكوت مغرماً بزيلدا جدّاً، ويغار عليها كثيراً. وقد أخبرني عدة مرات في نزهاتنا كيف أنّها وقعت في غرام طيار من البحريّة الفرنسيّة. بيد أنها لم تُثِرْ غيرته مع رجل آخر منذ ذلك الحين. وفي هذا الربيع أثارت غيرته مع نساء أخريات، وفي حفلات حيّ المونمارتر كان يخشى من أن يُغمى عليه أو عليها من شدّة السكْر. وكان الإغماء أثناء الشرب يمثِّل وقاية لهما من الاستمرار فيه. وكانا يتناولان الشراب أو الشمبانيا لمساعدتهما على النوم ولكن ذلك قليل التأثير في شخصٍ اعتاد على الشراب، ويأويان إلى فراشهما مثل الأطفال. وحدث أن شاهدتهما وقد أُغمي عليهما لا كمَن كان تحت



تأثير السكْر، بل كمن كان تحت التخدير، ويتولى أصدقاؤهما أو، أحياناً، سائق سيارة الأجرة بنقلهما إلى فراشهما، وعندما يستفيقان في الصباح يشعران بنشاط وسعادة، لأنّهما لم يأخذا من الكحول ما يكفي لتدمير جسديهما قبل أن يُغمى عليهما.

والآن فقدا وقايتهما الطبيعيّة. فقد أصبحت زيلدا في هذا الوقت قادرة على أن تشرب أكثر من سكوت، وصار سكوت يخشى عليها من الإغماء أمام رفاقهما في الأماكن التي كانوا يرتادونها ذلك الربيع. ولم يحبّ سكوت تلك الأماكن ولا الأشخاص، وكان عليه أن يشرب أكثر ممّا يطيق ويبقى متماسكاً، ليحتمل تلك الأماكن وأولئك الأشخاص، ثمَّ أخذ يشرب ليبقى صاحياً بعد أن كان يغمى عليه عادة. وفي النهاية لم يتبقَّ لديه إلا فترات يسيرة للعمل.

كان يحاول دائماً أن يعمل. ففي كلّ يوم كان يحاول ولكنّه يفشل. وعزا سبب فشله إلى باريس، تلك المدينة التي تتوفّر على كلّ ما يساعد الأديب على الكتابة، وكان يعتقد بوجود مكانٍ ما يستطيع هو وزيلدا أن يستمتعا فيه بالحياة الطيّبة معاً مرَّة أخرى. وفكّر في الرفييرا، كما كانت آنذاك وقبل أن يزحف عليها البناء، بما لها من مساحات واسعة من زرقة البحر والشواطئ الرمليّة وغابات أشجار الصنوبر وجبال الأستيرال[3] المطلَّة على البحر. وكان يتذكّرها كما رآها هو وزيلدا أوَّل مرَّة قبل أن يذهب الناس إلى هناك لتمضية الصيف.

وحدّثني سكوت عن الرفييرا وكيف يتوجّب عليّ وزوجتي أن نذهب إلى هناك في الصيف الموالي وكيف أنَّه سيجد لنا مكاناً غير باهظ الثمن وكيف سنعمل كلانا بجدٍّ ونسبح ونستلقي على الشاطئ،



وتلوّح الشمس بشرتنا، ولا نتناول إلا مشروباً فاتحاً للشهية قبل الغداء وآخر قبل العشاء فقط. وقال إن زيلدا ستسعد هناك، فهي تحبّ السباحة وتجيد الغطس وستسرُّها تلك الحياة فتحثّه على العمل وسيغدو كلُّ شيء منضبطاً. وكان يتأهَّب هو وزوجته وابنتهما للذهاب إلى هناك في ذلك الصيف.

حاولتُ أن أقنعه بكتابة قصصه على أفضل وجه يستطيع دون أن يُخضعها لأيٍّ وصفة كما كان يفعل. وقلت له: «إنكَ كتبت رواية جيدة الآن، ولا ينبغي أن تكتب شيئاً رخيصاً بعد اليوم».

فقال: «ولكن تلك الرواية لا تُباع. ويجب أن أكتب قصصاً وأن تُباع هذه القصص».

- «اكتب أفضل قصّة في مقدورك واكتبها بصورة مباشرة قدر الإمكان».

قال: «سأفعل ذلك».

ولكن نظراً إلى أنّ الأمور كانت على ما هي عليه، فإنَّه لم يحالفه الحظُّ لفعل أيِّ شيءٍ على الإطلاق. لم تشجِّع زيلدا الرجال الذين كانوا يلاحقونها ولا علاقة لها بهم، هكذا كانت تقول. غير أنّ ذلك يسلّيها ويجعل سكوت غيوراً، ولهذا فإنه يضطر إلى مصاحبتها إلى تلك الأماكن. وقد دمّر ذلك عمله. وكانت تغار من عمله أكثر من أيِّ شيءٍ آخر.

وقد كافح سكوت ليعمل طوال ذلك الربيع وأوائل الصيف ولكنَّه لم يستطِع أن يعمل إلّا لماماً. وكان بشوشاً كلَّما التقيت به، وأحياناً بشوشاً بصورةٍ يائسة، ويروي نكاتاً جيّدة، وكان رفيقاً طيباً. وعندما كان يمرّ بأوقات عصيبة، كنت أستمع إليه وأحاول أن أجعله



يعي أنّه إذا استطاع أن يتماسك، فإنّه سيكتب، لأنه يمتلك موهبة الكتابة وأن لا شيء يتعذّر تغييره إلا الموت. وعند ذاك يأخذ بالسخرية من نفسه، وشعرت أنه على ما يرام ما دام يستطيع أن يسخر من نفسه. وطوال ذلك الوقت لم يستطِع أن يكتب إلّا قصَّة قصيرة جيدة بعنوان (الولد الغني)، وكنت واثقاً من أن بمقدوره أن يكتب ما هو أفضل منها، كما فعل فيما بعد.

كنا في إسبانيا خلال الصيف، وشرعتُ في كتابة مسودة رواية أَتمَمْتها في باريس في شهر سبتمبر. وكان سكوت وزيلدا في رأس عنتيبة[4]، وعندما رأيته في باريس ذلك الخريف كان قد تغيّر كثيراً. لم يتمكّن من الكف عن الشراب في الرفييرا، وأصبح الآن ثملاً في النهار كما في الليل. ولم يعُد يعبأ بي سواء كنت أعمل أم لا، وهكذا أخذ يأتي إلى 113 في شارع نوتردام دي شان وهو سكران في وقت النهار أو في الليل. وأصبح فظاً مع الذين هم أقلُّ منه منزلة أو مع مَن يعدّهم أقلَّ منزلة منه.

ودخل ذات يوم من باب المنشرة مع ابنته - وكان يوم العطلة الأسبوعيّة لمربّيتها الإنجليزيّة ويتولى سكوت العناية بها في ذلك اليوم - وفي أسفل السلم أخبرته ابنته أنها تحتاج إلى الذهاب إلى دورة المياه. فشرع سكوت في خلع ملابسها في باحة العمارة، وعندما شاهده صاحب العمارة الذي كان يسكن في الطابق تحتنا، نزل إليه وقال له: «سيدي، توجد دورة مياه بالقرب منك إلى يسار السلّم».

فقال له سكوت: «نعم، وسأضع رأسك فيها كذلك إن لم تكُن مهذباً».



وكان صعباً جداً طوال ذلك الخريف، ولكنَّه أخذ يعمل في كتابة رواية عندما لا يكون ثملاً. ونادراً ما رأيته صاحياً، ولكنَّه حين يكون صاحياً، يصبح لطيفاً ويروي النكات وأحياناً يسخر من نفسه. بيد أنه عندما يكون سكران، يأتي إليّ عادة ويجد لذَّة في التدخل في عملي كما تتدخل زيلدا في عمله. وقد استمرَّ هذا الوضع سنوات، ولكن، لسنوات كذلك، لم يكن لدي صديق أكثر إخلاصاً من سكوت حين يكون صاحياً.

كان مستاءً مني في خريف عام 1925، لأنني لم أطلعه على المسودة الأولى لروايتي **ولا تزال الشمس تشرق**. وشرحتُ له أنها لا تعني شيئاً حتى أراجعها وأعيد كتابتها وأنني لا أرغب في مناقشتها مع أيٍّ شخصٍ آخر ولا أعرضها عليه قبل ذلك. وكنا سنذهب إلى شرونز في فورارلبرغ[5] بالنمسا حالما تسقط أوائل الثلوج.

وأعدتُ كتابة النصف الأول من مسودّة الرواية هناك وانتهيت منها في يناير، على ما أظن. وأخذتها إلى نيويورك وأطلعت ماكس باركنز من دار سكرايبنرز[6] للنشر عليها، ثم عدت إلى شرونز وأكملت إعادة كتابة الرواية. ولم يطّلع عليها سكوت حتّى أتممتُ إعادة كتابتها. وبعثتُ بالمسودّة إلى دار سكرايبنرز للنشر في نهاية شهر أبريل. وأذكر أنني كنت أمزح معه حول اهتمامه ورغبته في المساعدة دائماً بعدما ينتهي العمل. ولكنني لم أطلب مساعدته أثناء إعادة كتابة الرواية.

وفيما كنا نعيش في فورارلبرغ وأنا في سبيل الانتهاء من إعادة كتابة الرواية، غادر سكوت وزوجته وطفلتهما باريس متوجهين إلى



الينابيع في جبال البيرينيه[7] السفلى. وكانت زيلدا مريضة بذلك المغص المعوي الشائع الذي ينتج عادة من تناول الكثير من الشمبانيا والذي كانوا يشخِّصونه آنذاك باسم «التهاب القولون». ولم يواصل سكوت الشراب وأخذ يعمل، وطلب منا أن نوافيهم في جوان لي بان[8] في شهرِ يونيو. وكانوا سيجدون لنا فيلا بثمن مناسب، وفي هذه المرة سيمتنع عن الشرب وسيغدو الحال كما كان في الأيام الطيّبة الخوالي، وسيزاول السباحة ويصبح صحيح البدن ومسمرّ البشرة، ولا يتناول سوى شراب مُشَهٍّ قبل الغداء وآخر قبل العشاء. وأصبحت زيلدا بخير مرَّة أخرى وكلاهما على ما يرام والعمل في روايته يسير بصورة رائعة، ووصله المال من جرّاء تحويل روايته **غاتسبي العظيم** إلى مسرحية لقيت إقبالاً، كما أنها كانت ستباع إلى السينما ولم تعُد الهموم تتملكه. وكانت زيلدا بخير حقيقة وكلُّ شيءٍ كان يسير على ما يرام وبشكل منضبط.

وذهبتُ إلى مدريد في مايو للعمل بمفردي، وعدت من بايون[9] إلى جوان لي بان بالدرجة الثالثة بالقطار وأنا جائع تماماً، لأنني أنفقت جميع ما لدي من نقود بغباء، وكانت آخر مرَّة تناولت فيها طعاماً في هينداي[10] على الحدود الإسبانية الفرنسية. لقد كانت دارنا فيلا جميلة ودار سكوت فاخرة لا تبعد عن فلتنا كثيراً. وكنت سعيداً برؤية زوجتي التي اعتنت بالفيلا جيداً، وسعيداً برؤية أصدقائنا، وكان الشراب المشهّي المنفرد قبل الغداء لذيذاً وتناولت منه عدَّة كؤوس. وفي تلك الليلة أُقيمت حفلة للترحيب بنا في الكازينو، مجرَّد حفلة صغيرة تضم عائلات مكليش[11] وميرفي[12] وفتزجيرالد وعائلتنا. ولم يشرب أحد شراباً أقوى من الشمبانيا،



وكانت حفلة مرحة. وكان المكان فاخراً ملائماً للكتابة، وفيه كلّ شيء يحتاجه الإنسان ليكتب ما عدا الانفراد بنفسه.

وكانت زيلدا جميلة جداً وقد لوّحت الشمس بشرتها بلون ذهبيّ بديع، وكان شعرها بلونٍ ذهبيٍّ غامقٍ جميل، وكانت في غاية اللطف، وعيناها الشبيهتان بعينيّ الصقر هادئتين صافيتين. وأدركت أن كلّ شيء على ما يرام، وأن الأمور تسير سيراً حسناً وستنتهي بخير، وإذا بها تميل نحوي وتخبرني بسرّها العظيم قائلة: «ألا تظن، يا إرنست، أن آل جولسون[13] أعظم من يسوع المسيح؟».

لم يتبادر شيءٌ إلى ذهن أيٍّ منا في ذلك الوقت. إنه سرّ زيلدا الذي باحت به لي، وأشركتني فيه، كما يقتسم صقرٌ ما شيئاً مع إنسان. ولكن الصقور لا تقتسم الفريسة. ولم يكتب سكوت شيئاً آخر ذا قيمة إلى أن علم بجنونها.




مكتبة
الفكر الجديد

19

مسألة مقاييس

دعاني سكوت فيما بعد لتناول طعام الغداء معه في مطعم ميشو الواقع في زاوية التقاء شارع يعقوب[1] بشارع دي سان بير[2]، وذلك خلال الفترة التي عانت فيها زيلدا ممّا أسموه حينذاك بانهيارها العصبي الأول. وقال لي إنّ لديه أمراً هاماً جداً يريد أن يسألني عنه وإن ذلك الأمر يعني بالنسبة إليه أكثر من أي شيء آخر في العالم، ويجب أن أجيب عنه بمنتهى الصدق. وقلت له إنني سأبذل كلّ ما في وسعي. وكان كلَّما طلب مني أن أصارحه بالحقيقة، وهو مطلبٌ صعبٌ جدّاً، وبذلت جهدي، أغضَبَه ما أقول ليس في حين الإجابة ذاته، وإنما على الأغلب بعد وقتٍ طويلٍ عندما يُطيل التأمّل فيها. وتغدو كلماتي شيئاً ينبغي تحطيمه، وأحياناً، تحطيمي معها، لو كان ذلك ممكناً.

شرب النبيذ مع الغداء ولكن لم يؤثّر فيه، لأنه لم يكن قد مهَّد للغداء بمشروبٍ سابق. وتحدّثنا عن عملنا وعن الناس، وسألني عن أناس لم نرَهم مؤخَّراً. وعلمت أنه بصدد كتابة شيء جيد وأنه يواجه صعوبة في محاولته لعدَّة أسباب، بيدَ أن ذلك لم يكُن الأمر الذي يريد التحدُّث عنه. وبقيت أنتظر مجيء ذلك الشيء الذي يجب عليّ



أن أجيب عنه بالحقيقة المطلقة، ولكنّه لم يتطرّق إليه حتى نهاية الوجبة، كما لو كنا نتناول غداءً عمل.

وأخيراً وفيما كنا نأكل كعكة الكرز ونشرب آخر غرافة نبيذ، قال لي:

- «أنت تعلم أنني لم أضاجع امرأة أخرى سوى زيلدا».

- «لا، لا أعرف ذلك».

- «ظننت أنني أخبرتك بذلك».

- «لا، لقد أخبرتني بأشياء كثيرة ولكن ليس ذلك».

- «هذا ما يتعيّن عليّ أن أسألك عنه».

- «طيّب، استمر».

- «تقول زيلدا إنّ تكويني البدني لا يساعدني أبداً على إسعاد أي امرأة، وهذا هو الذي يكدّرها في الأساس. وتقول إنَّها مسألة مقاييس. ولم أسترجع مشاعري الطبيعية منذ أن أخبرتني بذلك، ويجب أن أعرف الحقيقة».

قلت: «تعال معي إلى المكتب».

- «أين المكتب؟».

قلت: «المرحاض».

ورجعنا وجلسنا إلى الطاولة. وقلت له:

- «إنك طبيعيّ تماماً. أنت على ما يرام وليس من عيب فيك. انظر إلى نفسك من الأعلى وستبدو قصيراً. اذهب إلى متحف اللوفر وألقِ نظرة على تماثيل الرجال ثمَّ اذهب إلى منزلك وانظر إلى نفسك في المرآة».

- «قد لا تكون تلك التماثيل مضبوطة».



- «إنّها جيدة. ومعظم الناس تتفق عليها».

- «ولكن لماذا تقول هي ذلك؟».

- «لتعرقل نشاطك. هذه أقدم طريقة لعرقلة نشاط الآخرين. طلبتَ مني، يا سكوت، أن أخبرك بالحقيقة، وأستطيع أن أخبرك بأكثر من الحقيقة، ولكن ها هي الحقيقة المطلقة وكلُّ ما تحتاج إليه. وبوسعك مراجعة طبيب».

- «لم أُرِد ذلك. أردتك أن تخبرني أنت بصدق».

- «والآن هل تصدقني؟».

قال: «لا أعرف».

قلت: «تعال معي إلى اللوفر. إنه في آخر الشارع عبر النهر».

وذهبنا إلى اللوفر ونظرنا إلى التماثيل، ولكن الشكّ ما زال يساوره بنفسه.

وقلت: «إن المسألة أساساً لا تكمن في حجمه في حالة الاسترخاء. إنها مسألة الحجم الذي يبلغه في الانتصاب. ومسألة الزاوية كذلك».

وشرحت له كيفية استخدام وسادة وبعض الأشياء الأخرى التي تعود عليه بالفائدة.

وقال لي: «ثمة فتاةٌ لطيفة معي جداً، ولكن بعد الذي قالته زيلدا...».

فقاطعته قائلاً: «انسَ ما قالته زيلدا. زيلدا حمقاء. لا عيب فيك مطلقاً. ولتكن لديك ثقة بنفسك، وافعل ما تبتغيه تلك الفتاة. إنّ زيلدا تريد تحطيمك فقط».

- «أنت لا تعرف أي شيء عن زيلدا».



قلت: «حسن. لنتوقّف عند هذا الحدّ. ولكنَّك أتيت إليّ لتسألني وحاولتُ أن أجيبك بكلٍّ أمانة».

ولكن، مع ذلك، ظلَّ متشكِّكاً.

وسألته: «ألا ينبغي أن نذهب لمشاهدة بعض الأفلام؟ هل شاهدت هنا أيَّ فيلم آخر باستثناء الموناليزا؟».

قال: «لست في حالةٍ نفسية تسمح لي برؤية الأفلام. وقد وعدت أناساً أن ألتقي بهم في بار الريتز[3]».

وبعد عدة سنوات، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بوقت طويل، سألني جورج، وهو رئيس بار الريتز آنذاك وكان نادلاً عندما عاش سكوت في باريس، سألني في البار قائلاً:

- «بابا، مَن هو السيد فيتزجيرالد حتى يسألني عنه كلُّ واحد؟».

- «ألم تعرفه؟».

- «لا، إنني أتذكر كلّ رواد تلك الفترة. ولكن الآن يسألونني عنه فقط».

- «وبماذا تجيبهم؟».

- «بأيّ شيء ممتع يرغبون في سماعه. بما يسرّهم. ولكن أخبرني مَن هو؟».

- «كان كاتباً أميركياً في أوائل العشرينيات وما بعدها، وعاش في باريس والخارج بعض الوقت».

- «ولكن لماذا لا أتذكّره؟ هل كان كاتباً جيّداً؟».

- «ألّف كتابَين جيّدَين وآخر لم يكتمل يقول عنه الذين يعرفون



أدبه إنه كان سيصبح كتاباً جيّداً. وكتب كذلك بعض القصص القصيرة الجيّدة».

- «وهل كان يرتاد البار كثيراً؟».

- «أعتقد ذلك».

- «ولكنك لم تأتِ إلى البار في أوائل العشرينيات. أعرف أنك كنت فقيراً آنذاك وتعيش في حارة أخرى».

- «عندما كانت تتوفّر لي النقود كنت أذهب إلى الكريون[4]».

- «وأعرف ذلك أيضاً. وأتذكّر جيّداً أوَّل مرَّة التقينا فيها».

- «وأنا كذلك».

وقال جورج: «من الغريب أنني لا أذكره».

- «كلّ هؤلاء الناس متوفّون».

- «ومع ذلك فإن الإنسان لا ينسى الآخرين لمجرَّد كونهم موتى، والناس يظلّون يسألونني عنه. يجب أن تخبرني شيئاً عنه لذكرياتي».

- «سأفعل».

وابتسم وقال: «أذكر أنك أتيت يوماً مع البارون فون بلكسن[5] ذات مساء - في أيِّ سنة؟».

- «وهو ميت كذلك».

- «نعم، ولكن لا ينساه أحد. أرأيت ما أعني؟».

وقلتُ: «زوجته الأولى كانت تكتب بأسلوب جميل جداً. لقد ألّفت أفضل كتاب قرأتُه عن أفريقيا باستثناء كتاب السير صموئيل بيكر[6] عن روافد النيل في الحبشة. أضف ذلك إلى ذكرياتك ما دمت مهتمّاً بالأدباء الآن».



فقال جورج: «طيب. البارون ليس بالرجل الذي تنساه. واسم الكتاب؟».

قلت: «**من أفريقيا**. وكان بليكي[7] فخوراً جداً بكتاب زوجته الأولى. ولكنَّنا كنا نعرف أحدنا الآخر قبل وقت طويل من تأليفها الكتاب».

- «والسيد فتزجيرالد الذي يظلّون يسألونني عنه؟».
- «لقد كان هنا في زمن فرانك».
- «نعم. ولكنني كنت أنا **النادل**. وأنت تعرف ما معنى **النادل**».
- «سأكتب عنه شيئاً في الكتاب الذي سأؤلفه عن أيامي الأولى في باريس. لقد قطعت على نفسي عهداً أن أكتب ذلك الكتاب».

قال جورج: «حسن».

- «سأصفه بالضبط كما أتذكره أوّل مرَّة التقيته».

قال جورج: «طيّب. إذن، إذا كان قد جاء هنا فسأتذكره. ومع ذلك، فإن الإنسان لا ينسى الآخرين بسهولة».

- «والسيّاح؟».
- «طبيعي. ولكنك تقول إنه كان يأتي إلى هنا كثيراً».
- «أعني كثيراً بالنسبة إليه».

«اكتبْ عنه كما تتذكّره، وإذا كان قد أتى إلى هنا فسأتذكّره».

قلت: «سنرى».



20

لا نهاية لباريس مطلقاً

عندما أصبحت عائلتنا تتألف من ثلاثة أفراد بدلاً من اثنين، صار الطقس البارد هو الذي يخرجنا من باريس في فصل الشتاء. لا مشكلة لديّ لو كنت وحدي فقد تعوَّدت على البرد. كنت أستطيع دائماً أن أذهب إلى مقهى وأكتب هناك طوال الصباح ولا أتناول سوى قهوة بالحليب فيما يقوم عمّال المقهى بالتنظيف والكنس، وشيئاً فشيئاً أشعر بالدفء. وكان بإمكان زوجتي أن تذهب للتمرُّن على البيانو في مكانٍ بارد وهي ترتدي ما يكفي من الكنزات لتظلَّ دافئة أثناء العزف ثمَّ تعود إلى المنزل لإرضاع بومبي. ومن الخطأ اصطحاب طفل إلى المقهى في الشتاء، حتّى إن كان ذلك الطفل لا يبكي أبداً وإنما يراقب كلَّ ما يدور حوله ولا يشعر بالسأم. لم يكُن هنالك في تلك الأيام جليس أو جليسة أطفال وكان بومبي يظلُّ سعيداً في فراشه الطويل المسيَّج كالقفص ومعه قطّه الكبير الودود المسمى ف. بوس. ثمّة مَن كان يقول إنّ تَرْك قطٍّ مع الطفل شيءٌ خطير. ويقول أشدّ المتحاملين الذين لا علم لهم بالموضوع إنَّ القطَّ يمصُّ نَفَس الطفل ويقتله. ويقول آخرون إنَّ القط يتمدّد على الطفل ويكتم أنفاسه. ولكن القط ف. بوس كان يضطجع بجانب



بومبي في الفراش القفصيّ الطويل ويراقب الباب بعينيه الكبيرتَين الصفراوَين ولا يدع أحداً يقترب منه إذا كنا خارج المنزل، وحتى منظّفة العمارة ماري كان عليها أن تبتعد. وهكذا لم تكن هناك حاجة إلى جلساء الأطفال، فقد كان القط ف. بوس هو جليس طفلنا.

ولكن عندما تكون فقيراً، وقد كنا فقراء حقّاً عندما تخليت عن الصحافة بعد رجوعنا من كندا ولم أتمكن من بيع أيِّ قصَّة على الإطلاق، فإنَّ الحياة في باريس أثناء الشتاء تغدو صعبة إذا كان لديك طفل. لقد عبر بومبي المحيط الأطلسي وعمره ثلاثة أشهر في رحلة استغرقت اثني عشر يوماً على متن باخرة صغيرة أبحرت من نيويورك عبر هاليفاكس. ولم يبكِ قطّ خلال الرحلة، بل كان يضحك بسعادة عندما كنا نحصِّنه في سرير مثبت في السفينة لئلا يسقط حين يتردّى الطقس كثيراً. ولكن برد باريس شديد الوطء عليه.

ولهذا ذهبنا إلى شرونز في فورارلبرغ بالنمسا. وبعد المرور بسويسرا وصلنا إلى الحدود النمساوية في فيلدكرش[1]. واخترق القطار لايختنشتاين[2] وتوقّف في بلودنز[3] حيث يوجد خطٌّ فرعيٌّ يتَّجه إلى شرونز بمحاذاة نهرٍ مليءٍ بالأسماك والحصى ويجري في سهل تغطيه المزارع والغابات حتّى شرونز التي كانت بلدة تسوّق تغمرها الشمس، وتتوفّر على منشرة، ودكاكين، ونُزُل، وفندق جيّد مفتوح طوال العام يُسمّى تاوبه[4]، وفيه أقمنا.

وكانت الغرف في فندق تاوبه واسعةً ومريحة وتتوفّر على مواقد كبيرة، وشبابيك كبيرة، وسرر كبيرة معها بطانيات وأغطية بالريش. وكانت الوجبات التي يقدّمها الفندق بسيطة وممتازة، وغرفة الطعام



والبار ذو الجدران المكسوة بالخشب رائقَين ويتوفران على تدفئةٍ جيّدة، والوادي الذي يطلُّ عليه الفندق شاسعاً يسمح بدخول الشمس بكثرة. وكانت تكلفة الإقامة دولارين باليوم لثلاثتنا، ولما كانت قيمة الشلن النمساوي في هبوط بسبب التضخّم، فإن كلفة غرفتنا وطعامنا كانت في انخفاض طوال الوقت. لم يكن هناك تضخّم وفقر بالشكل الموجود في ألمانيا، فالشلن النمساوي يرتفع وينخفض ولكنّه كان في انخفاض في معظم الأحيان.

لم تكُن هناك مصاعد تزلّج ولا عربات معلّقة للانتقال من شرونز، ولكن كانت هناك ممرّات الماشية والممرّات التي تقود إلى الأكواخ الجبليّة، وهذه الممرات تربط الأودية المختلفة بالمرتفعات الجبليّة. وكنتَ تتسلق على جلود الفقمة التي تربطها بأسفل المزالج الخشبيّة. وفي أعالي الوديان الجبليّة توجد أكواخُ نادي الألب الكبيرة المعدَّة للمتسلقين خلال الصيف حيث تستطيع أن تنام وتترك لهم في الكوخ ثمن الخشب الذي تستعمله للتدفئة. وفي بعض هذه الأكواخ يتوجّب عليك جمع الخشب بنفسك، أو، إذا كنت ذاهباً في جولة طويلة في الجبال العالية والأنهار الجليديّة، فإنك تستأجر شخصاً يقوم بجمع الخشب ونقل المستلزمات إلى المقرّ الذي تختاره. وأشهر تجمعات الأكواخ العالية هي لنداور هوته[5]، ومادلنر هاوس[6]، وفاير بادنر هوته[7].

وخلف نهر تاوبه كان هناك منحدر للتمرّن حيث تستطيع أن تسير مخترقاً البساتين والحقول، وثمَّة منحدرٌ آخر خلف قرية تشاغونز[8] عبر الوادي حيث يوجد نُزل جميل فيه مجموعة من قرون الوعول الجبليّة معلَّقة على جدران غرفةِ تناول المشروبات. وتمتدُّ المتزلّجات



الجيّدة وراء قرية تشاغونز المشيدة من الخشب والواقعة على الطرف البعيد من الوادي، عبر الجبال، وتصل سيلفريتا[9] في منطقة كلوسترز[10].

وكانت شرونز منتجعاً صحّياً مفيداً لبومبي الذي كانت تعتني به فتاة جميلة ذات شعر غامق اللون وتأخذه إلى الشمس في زحّافة جليد، ليتسنى لي ولهادلي أن نستكشف جميع المناطق والقرى الجديدة، وكان أهل قريتنا في غاية اللطف، وقام السيد والتر لينت[11]، وهو أحد رواد التزلّج في الجبال العالية - والذي كان في وقت من الأوقات شريكاً لهانس شنايدر، متزلّج آرلبرغ[12] العظيم، في تصنيع شمع للتزلج في مختلف أنواع الجليد - قام بفتح مدرسة لتعليم التزلّج في جبال الألب وانخرطنا كلانا فيها. ولم يكن التزلّج يومئذٍ كما هو عليه اليوم، فالشج في أعلى خشبة التزلّج، الذي ينفتح في حالة السقوط، لم يكُن معروفاً آنذاك، ولا يستطيع أحد أن يغامر بكسر ساقه. ولم تكُن هناك مصاعد التزلّج. وكان عليك أن تتسلّق إلى المرتفع الذي تريد الانحدار منه. وهذا سيعطيك ساقين يصلحان للهبوط بهما.

كان والتر لينت يعتقد أن متعة التزلّج تكمن في التسلُّق إلى أعلى قمَّةٍ جبليّةٍ ممكنة حيث لا يوجد فرد آخر وحيث يكون الثلج بكراً لم يطرقه أحد، ومن ثم التنقّل من كوخ من أكواخ نادي الألب إلى آخر متزلّجاً على الممرّات العالية والأنهار الجليديّة التي تزخر بها جبال الألب. وينبغي ألّا يكون على ساقك أي رباط قد يؤدي إلى كسرها عندما تسقط. ويجب أن ينفصل المزلج الخشبي قبل أن يكسر ساقك. وما كان يحبّه حقّاً هو التزلّج على الأنهار الجليديّة بدون



حبال، ولكن هذا النوع من التزلّج كان يتطلّب منا الانتظار حتى الربيع عندما تمتلئ الأخاديد بصورةٍ كافية.

لقد أحببنا، أنا وهادلي، التزلّج كثيراً منذ أن جربناه معاً أوّل مرَّة في سويسرا وبعد ذلك في كورتينا دامبيدزو في دولوميتس(13) عندما كان بومبي على وشك الولادة، وأعطاها الطبيب في ميلانو الإذن في الاستمرار في التزلج على شرط أن أتعهّد أنا بعدم سقوطها. وتطلَّب ذلك عنايةً خاصّة من حيث اختيار المكان ومسارات التزلج والتحكّم في الانزلاق، ولكن كان لها ساقان جميلتان قويتان بصورة رائعة يُساعدانها على التحكّم بمزلاجيها، فلم تسقط. وكنا نعرف أحوال الثلج المختلفة ونعرف كيف نتزلّج على الثلج الطريّ.

لقد أحببنا فورارلبرغ وأحببنا شرونز. وكنا سنذهب إلى هناك في موسم عيد الشكر ونبقى حتى عيد الفصح. فقد كان هناك دوماً مجالٌ للتزلّج على الرغم من أنَّ شرونز ليست عالية بما يكفي لتكون منتجعَ تزلّجٍ ما عدا في الشتاء الذي تتساقط فيه الثلوج بغزارة. وكان التسلّق متعة ولم يعترض عليه أحد في تلك الأيام. فأنت تحدّد المدى والسرعة التي تريد، وتجد الأمر سهلاً ويحسُّ قلبك بالغبطة وتشعر بالفخر وأنت تحمل حقيبتك على ظهرك. وكان جزءٌ من مسار التسلّق إلى مادلنر هاوس شديدَ الانحدار وصعباً جدّاً. ولكن عندما تتسلّق ذلك الجزء في المرة الثانية تجده أسهل، وأخيراً يصبح بإمكانك أن تتسلّق بيُسر وأنت تحمل ضعف ما حملته في المرة الأولى.

كنا دائماً نشعر بالجوع، وكان وقت كلِّ وجبةٍ مناسبةً عظيمة. وكنا نشرب الجعة الخفيفة أو الغامقة، وأنواع النبيذ الجديدة وأحياناً



النبيذ المعتَّق لمدة عام. والنبيذ الأبيض هو الأفضل. أمّا بالنسبة إلى المشروبات الأخرى، فقد كان هناك مشروب الكيرش[14] الذي يُصنَع في الوادي، وإنزيان شنابز[15] المقطَّر من نبات الجنطيانا[16] الجبليّ. وكانوا يقدّمون لنا أحياناً في العشاء لحم أرنب بريّ مطبوخ على نار هادئة مع التوابل وصلصة النبيذ الأحمر القويّ، وأحياناً لحم الظبي مع صلصة الكستناء. وكنا نتناول النبيذ الأحمر مع هذه المأكولات على الرغم من أنه أغلى من النبيذ الأبيض، فقد كان الجيّد منه يكلّف عشرين سنتاً لليتر الواحد. والنبيذ الأحمر العادي أرخص بكثير، وكنّا نحمله معنا في برميل صغير إلى مادلنر هاوس.

كانت لنا خزانة كتب سمحت لنا بأخذها معنا سلفيا بيتش لتمضية فصل الشتاء، وكنا نلعب لعبة الكرة الخشبيّة مع أهل البلدة الصغيرة في الممشى المؤدي إلى حديقة الفندق الصيفيّة. وكانت تُنظم في غرفة الطعام بالفندق لعبة ورق البوكر مرة أو مرتين في الأسبوع، وحينئذٍ تُغلق جميع الشبابيك وتوصد الأبواب. فقد كان القمار ممنوعاً في النمسا في تلك الأيام، وكنت ألعب مع السيد نيلس[17]، مدير الفندق، والسيد لينت[18]، صاحب مدرسة تزلّج الألب، وأحد المصرفيين من البلدة، والمدعي العام، ورئيس الشرطة. ولعبة البوكر لعبة صارمة وكان جميع شركائي في اللعب جيّدين ما عدا السيد لينت الذي كان يلعب بعنف لأن مدرسة التزلّج لم تحقّق أيّ دخل مالي يذكر آنذاك. وكان رئيس الشرطة يرفع إصبعه إلى أذنه عندما يسمع الشرطيين يتوقفان خارج الباب عند القيام بجولتهما، فنخلد إلى السكون حتى يذهبا.

وكانت خادمة الفندق تأتي إلى غرفتنا في برودة الصباح حالما



ينتشر الضوء، وتشعل النار في الموقد الكبير المزخرف بالخزف، فتصبح الغرفة دافئة عندئذٍ، وهناك الفطور المؤلّف من الخبز الطازج أو الخبز المحمّص مع عصير فواكه لذيذ وطاسات كبيرة من القهوة، والبيض الطازج، واللحم المقدّد إذا طلبته. وكان معنا كلب يسمى شناوتز[19] ينام عند أسفل السرير ويحبّ الذهاب في رحلات التزلّج، ويركب على ظهري أو على كتفي عندما أتزلّج منحدراً على التل. وكان هذا الكلب صديق السيد بومبي أيضاً ويذهب معه ومربّيته في نزهات المشي ويسير بجانب زحّافة الجليد.

وكانت شرونز مكاناً ملائماً للعمل. وأعرف ذلك لأنَّني قمت بأصعب عمل هو إعادة كتابة النسخة الأولى من رواية **ولا تزال الشمس تشرق** في شتاء عام 1925-1926، حيث أتممت إعادة كتابتها في شكل رواية متكاملة دفعة واحدة خلال ستة أسابيع. ولا أتذكّر القصص القصيرة التي كتبتها هناك وأُنجِز بعضها بصورةٍ جيدة.

أتذكّر أنّ الثلج في الطرق كان يصرّ تحت أقدامنا ونحن عائدون ليلاً إلى الفندق في البرد، حاملين المزالج وعصي التزلّج على أكتافنا، ونتطلع إلى الأضواء، وأخيراً نرى البنايات، وكيف يحيّينا كلُّ مَن يرانا على الطريق بعبارة (Gruss Gott). كان هنالك دائماً قرويون في فاين شتوبه[20] ينتعلون جزمات مزوَّدة بالمسامير ويرتدون ملابس جبليّة، والهواء مشبعاً بالدخان وعلى الأرضيات الخشبيّة آثار المسامير. وكان كثير من الشباب قد أدى الخدمة العسكريّة في كتائب الألب النمساويّة، وكان أحدهم، اسمه هانس ويعمل في المنشرة، صياداً شهيراً، وأصبحنا صديقَين حميمَين لأنَّه كان أثناء الحرب مثلي في المناطق الجبلية نفسها بإيطاليا. كنا نشرب معاً ونغني أغاني جبلية.



أتذكّر الممرات التي تخترق البساتين والحقول المنتشرة على التلال في تلك القرية، والبيوت القروية الدافئة بمواقدها الكبيرة وأكوام الخشب العالية في الثلج. وكانت النساء تعملن في المطابخ وفي نَدْف الصوف وغزله في شكل خيوط سوداء ورماديّة. وكانت دواليب الغزل تعمل بالدعس بالقدم على دواسة، ولم يكُن الغزل مصبوغاً بعد. فالغزل الأسود يأتي من صوف النعاج السود. وكان الصوف طبيعياً لم يُخلَّص من الشحم، ولهذا فإنَّ ما نسجته هادلي من هذا الصوف على شكل طاقيات وكنزات ومناديل رأس لم يبتلَّ في الثلج مطلقاً.

وفي أحد أعياد الميلاد عُرضت إحدى مسرحيّات هانز ساخس[21] أخرجها مدير المدرسة. وكانت مسرحيّة جيّدة فكتبت عنها مقالاً نقدياً للجريدة المحلية قام مدير الفندق بترجمته. وفي سنة أُخرى، حضر ضابط بحريّة ألمانيّ على رأسه الحليق آثار جروح، لإلقاء محاضرة عن معركة جوتلاند[22]. وكانت صور الفانوس السحري التي استعان بها في محاضرته تبيّن تحرّكات الأسطولَين المتحاربَين. وكان ضابط البحرية يستخدم عصا البليارد للإشارة إلى الصور حينما كان ينبّه إلى جبن جاليكو[23]، وكان غضبه يشتدّ أحياناً إلى درجة يتهدّج معها صوته، بحيث خشي مدير المدرسة أن يخرق المحاضِر الشاشة بعصا البليارد. وأخيراً لم يعُد ضابط البحرية السابق قادراً على تهدئة روعه وشَعَر الجميع بشيء من الحرج في فاين شتوبه. وبعد ذلك، لم يشاركه الشرب سوى المدعي العام والمصرفيّ وكانا في طاولة منفصلة. ولم يحضر المحاضرة الهر لينت، الذي كان من الراين. واستمع إلى المحاضرة زوجان وصلا



من فيينا للتزلّج ولكنهما لم يشاءا أن يذهبا إلى الجبال العالية فتوجها إلى تسوورز[24] حيث قُتلا في انهيار جليدي، كما سمعت. وقال الزوج إن المحاضر من الأوغاد الذين دمّروا ألمانيا وسيعيدون فعلتهم بعد عشرين عاماً. وقالت له المرأة التي معه بالفرنسية أن يسكت مضيفة أن ذلك مكان صغير ولا يدري أحد ما قد يحدث.

وكانت تلك السنة هي التي قُتل فيها كثيرون بسبب الانهيارات الجليديّة. وأوّل خسارةٍ كبيرة وقعت في الجبال القريبة من وادينا في ليج في آرلبرغ، حينما وصلت مجموعة من الألمان للتزلّج مع الهر لينت خلال عطلة عيد الميلاد. وكان تساقط الثلوج متأخراً ذلك العام ومنحدرات التلال والجبال ما زالت دافئة بفعل الشمس عندما انهار جرف جليدي عظيم. فقد كان الجليد عميقاً وهشاً ولم يكُن ملتصقاً بالأرض بتاتاً. وكانت ظروف التزلّج على أسوء ما يكون، ولهذا فإن الهر لينت أبرق إلى البرلينيِّين ينصحهم بعدم المجيء. ولكن كانت تلك الفترة عطلتهم وهم على جهل بالأوضاع ولم ينتابهم الخوف من الانهيارات الجليديّة. ووصلوا إلى ليج ورفض الهر لينت أن يخرج معهم. وقد نعته أحدهم بالجبان ثمَّ قالوا إنهم سيتزلَّجون وحدهم. وأخيراً أخذهم إلى أكثر المنحدرات أماناً استطاع أن يجده. وعبره أمامهم ثمَّ تبعوه وفجأة انهار التل الجليدي وغمرهم كما تغمر موجةُ مدٍّ عاتية السابحين في البحر. وأخرجوا منهم ثلاثة عشر، ومات التسعة الآخرون. ولم تكُن مدرسة تزلّج الألب مزدهرة قبل الحادثة، أما بعدها فأمسينا نحن الوحيدين فيها تقريباً. وأصبحنا طلاباً متخصِّصين في الانهيارات الجليديّة، وأنواعها المختلفة، وكيفية تجنّبها، وكيفية التصرّف إذا فاجأك واحدٌ



منها، ومعظم ما كتبته في ذلك العام تمَّ في وقت الانهيارات الجليديّة.

وأسوأ ما أتذكر من هذا الشتاء الزاخر بالانهيارات الجليديّة ذلك الرجل الذي أخرجوه ذات مرَّة. وكان قد جلس القرفصاء عندما فاجأه الانهيار وعمل صندوقاً بوضع ذراعيه أمام رأسه، كما علّمونا أن نفعل، ليبقى هواء للتنفس فيما يرتفع الثلج فوقك. لقد كان ذلك الانهيار ضخماً واستغرق إخراج الضحايا وقتاً طويلاً، وكان ذلك الرجل آخر من عُثر عليه. وتوفي قبل وقت قصير وقد تهشّمت رقبته بحيث برزت الأوتار والعظم للعيان، لأنه كان تحت الجليد يدير رأسه من جانب إلى آخر مقاوماً ضغط الجليد عليه. وفي ذلك الانهيار لا بُدَّ أن ثلجاً قديماً متجمِّداً قد اختلط بثلجٍ جديدٍ خفيف انزلق. ولم نستطِع أن نعرف ما إذا كان ذلك الرجل قد فعل ما فعله عن عمد أم أنه فقد رشده. ورفض القسّ المحليّ دفنه في مقبرة الكنيسة لعدم وجود دليل على أنه كاثوليكي.

وعندما كنا نعيش في شرونز، اعتدنا على القيام برحلاتٍ طويلة في أعلى الوادي للوصول إلى النُّزل حيث نمضي الليل ثمَّ ننطلق إلى مادلنر هاوس للتزلج. لقد كان نزلاً جميلاً قديماً جداً، وكان الخشب الذي يغطّي جدران غرفة الطعام ناعماً كالحرير من جرّاء دهنه وتلميعه لسنواتٍ طويلة. وكذلك كانت الطاولات والكراسي. وكنا ننام متلاصقين في الفراش الكبير تحت الغطاء المحشو بالريش، والشبابيك مشرعة والنجوم قريبة وشديدة اللمعان. وكنا نحمل لوازم التزلّج ومزالجنا على أكتافنا في الصباح بعد الفطور ونسلك الطريق صاعدين ونبدأ التزلّج في الظلام والنجوم قريبة وشديدة اللمعان.



وكان للحمّالين مزالج قصيرة ويقومون بالتعامل مع الحمولات الثقيلة. وكنا نتنافس بعضنا مع بعض حول مَن يستطيع التسلُّق وهو ينقل أثقل الحمولات، ولكن لا أحد يستطيع التنافس مع الحمّالين، الذين كانوا من الفلاحين المربوعي القامة المكفهري الوجوه والذين يتحدّثون باللهجة المونتافية فقط، وكانوا يتسلّقون بخطوات راسخة ثابتة مثل خيول محملة، وعندما يصلون إلى القمَّة حيث يوجد كوخ نادي الألب المبني على منحدر بجانب نهرٍ جليديٍّ تغطّيه الثلوج، يضعون أثقالهم هناك بجانب حائط صخريّ للكوخ، ويطالبون بمبلغ أكثر من الثمن المتفق عليه، وعندما يحصلون على مبلغ وسط، ينطلقون منحدرين على مزالجهم مثل أقزام.

وكانت هناك فتاةٌ ألمانيّة من أصدقائنا تتزلّج معنا، وهي متزلجة رائعة، صغيرة وجميلة القوام، وبإمكانها أن تحمل حقيبة لوازم ثقيلة مثلي، ولمسافات أطول. وقالت لي ذات مرَّة: «إنَّ هؤلاء الحمّالين ينظرون إلينا دائماً كما لو كانوا يتوقعون أن يحملوننا إلى الأسفل جثثاً هامدة. فهم يقررون ثمن التسلّق ولكن لم أرهم مرَّة إلا وهم يطالبون بأكثر من الثمن المقرَّر».

وكنت في شرونز أطلق لحيتي أثناء الشتاء اتقاء للشمس التي أحرقت وجهي بقساوة في أعالي الجليد ذات مرَّة، ولا أعبأ بحلاقتها. وأخبرني الهر لينت ذات مساء وكنا نتزلج عائدين في ممرات الحطّابين أن الفلاحين الذين مررتُ بهم في تلك الطرق في شرونز يدعونني بـ (المسيح الأسود). وقال إن بعضهم ممّن يأتي إلى فاين شتوبه يسمونني بـ (المسيح الأسود الذي يشرب الكيرش). ولكن في نظر الفلاحين القاطنين في النهاية العليا القصوى من مونتافون[25]



حيث نستأجر الحمّالين للذهاب إلى مادلنر هاوس، كنا جميعاً بمثابة شياطين أجانب تتوجه إلى الجبال العالية في وقت ينبغي أن يبتعد الناس عنها. ولم يكُن انطلاقنا المبكر، قبل ضوء النهار لعبور أماكن الانهيارات التي تجعلها الشمس أخطر، ليحسّن صورتنا في نظر أولئك الفلاحين. كان ذلك يبرهن فقط على أنّنا ماكرون مثل جميع الشياطين الأجانب.

أتذكّر رائحة أشجار الصنوبر، والنوم على فرش من أوراقِ أشجارِ الزان في أكواخ الحطّابين، والتزلُّج في الغابات على ممرّات الأرانب البريّة والثعالب. وأتذكّر أنَّني كنت أتعقب ذات مرة ثعلباً في الجبال العالية وراء خط الأشجار حتّى استطعت رؤيته وراقبته وهو يقف رافعاً قدمه الأماميّة اليمنى ثم يتحرك بحذر ليقف ثم يقفز، وفجأة ينتفض طائر ترمجان مذعور خارجاً من الثلج ويحلّق بعيداً فوق قمم الجبال.

أتذكّر جميع أنواع الجليد التي تستطيع الريح صنعها ومخاطرها المختلفة عندما يكون المرء على المزلجَين. ثمَّ هناك العواصف الثلجيّة التي كانت تهبّ ونحن في أكواخ الألب العالي، وتنشئ عالَماً غريباً فيتوجَّب علينا العودة بعناية وحذر كما لو كنا لم نعرف الطريق من قبل. والحقيقة هي أنّنا لم نكن نعرفه لأنَّه جديد كلَّ الجدّة. وأخيراً هنالك التزلُّج على الأنهار الجليديّة العظيمة المتجمِّدة قبيل الربيع التي كانت تنحدر باستقامة ونعومة، استقامة متواصلة إذا كان بإمكان سيقاننا التماسك، ولما كانت كواحلنا مثبتة فإننا نتزلّج منحنين إلى الأسفل لزيادة السرعة، ونحن نهبط أكثر فأكثر وفحيح المسحوق الثلجي الهش يطرق أسماعنا. كان التزلّج أفضل من أيّ



طيران ومن أيّ شيء آخر، ونمّينا قدرتنا على التزلُّج وعلى التمتُّع به مع رحلات التسلُّق الطويلة ونحن محمَّلون بالحقائب الثقيلة. فلم يكُن في وسعنا أن ندفع لقاء رحلة إلى الأعالي ولا أن نشتري تذكرة إلى القمة. لقد عملنا من أجل هذه الغاية طوال الشتاء وقد أثمر عملنا.

وخلال سنتنا الأخيرة في الجبال حلّ أناس جدد في أعماق حياتنا ولم يعُد هناك أي شيء كما كان عليه. فقد كان شتاء الانهيارات الجليديّة بمثابة شتاء بريء سعيد من أيام الطفولة إذا ما قورن بالشتاء الذي تلاه، فهو شتاء حزين كابوسي متنكِّر في ثياب المرح الطافح، وأعقبه صيفٌ قاتل، إذ صادف وصول الأغنياء إلى المنطقة ذلك العام.

ويبعث الأغنياء بنوع من الطُعْم قبل وصولهم، ويكون هذا الطُعْم أحياناً شخصاً أصمَّ نوعاً ما أو أعمى شيئاً ما. ويتكلم الطُعْم هكذا: «حسن، إنني لا أعرف. لا طبعاً ليس حقيقة. ولكنني أحبّهما. أحبّهما كليهما. نعم، والله، يا هام. فأنا أحبّهما. أرى ما تعني ولكنَّني أحبّهما حقيقة، ولها جاذبية خاصة (وينطق اسمها بطريقة محببة) لا، يا هام، لا تمزح ولا تكُن صعباً. فأنا أحبّهما حقيقة. أقسم أنني أحبّهما كليهما. وستحبه (ويستعمل صيغة التصغير لاسمه) عندما تعرفه. وأنا أحبّهما حقيقة».

وعندما يصل الأغنياء لا يبقى أيُّ شيءٍ كما كان. ويختفي الطُعْم طبعاً. فهو يذهب دائماً إلى مكان ما أو يأتي من مكان ما، ولا يبقى في أيّ مكان وقتاً طويلاً أبداً. وهو يلج السياسة أو المسرح ويغادر بالطريقة نفسها التي كان يدخل فيها البلدان أو حياة



الناس ويغادرها في شبابه. فهو لا يُقبَض عليه أبداً ولا يقبض عليه الأغنياء. لا شيء يمسكه، فقط أولئك الذين يثقون به يُقبَض عليهم ويُقتلون. وله مِران النغل وحبٌّ دفين للمال ينكره دائماً. ويصبح هو نفسه غنيّاً في آخر الأمر، فهو يتحرّك بمقدار دولار إلى اليمين بعد كلِّ دولار يربحه.

وهؤلاء الأغنياء كانوا يحبونه ويثقون به لأنَّه خجول، ومضحك، ومراوغ، ومجرّب، ولأنّه طُعم لا يخيب..

عندما يوجد شخصان يحبّ أحدهما الآخر، ويشعران بالسعادة، ويتمتّعان بالمرح، ويعمل أحدهما أو كلاهما عملاً جيداً، فإن الناس ينجذبون إليهما كما تنجذب الطيور المهاجرة ليلاً إلى فنار قويّ. فإذا كان الزوجان متراصَّين بقوة كالفنار فلا ضرر هناك إلا ما يصيب الطيور. وأولئك الذين يجذبون الناس بسعادتهم ومنجزاتهم غالباً ما تعوزهم التجربة، فهم لا يعرفون كيف يتجاوزون العقبات وكيف يفلتون. وهم لا يعرفون حقيقة الغنيّ المتفهم، الكريم، المحبوب، الطريف، الجذاب، الطيّب، الذي لا تشوبه شائبة والذي يجعل من كلِّ يوم مهرجاناً، والذي بعد أن يأخذ ما يريد، يترك كلّ شيء هشيماً أكثر من أيّ عشب داسته حوافر خيول أتيلا[26].

وصل الأغنياء يتقدّمهم الطُعْم. ولم يكُن في وسعهم المجيء قبل عام، فلم يكن هناك شيء مؤكد آنذاك. فالعمل كان جيّداً والسعادة طافحة ولكن لم تُكتَب رواية بعد، ولهذا لم يكن في إمكانهم التأكُّد. وهم لا يهدرون وقتهم أو يبدّدون لطفهم على شيء ليس مؤكداً. ولماذا؟ بيكاسو كان مؤكَّداً، وحقّق نجاحه طبعاً حتى قبل أن يسمعوا بالرسم. كانوا متأكّدين من رسامٍ آخر، ومن عددٍ من



الرسامين الآخرين. ولكنَّهم هذا العام كانوا متأكِّدين، وقد وصلهم الخبر من الطُعْم الذي جاء معهم كذلك لئلا نشعر بأنَّهم غرباء، ولكيلا أكون صعباً. وكان الطُعْم صديقنا.

وكنت في تلك الأيام أثق بالطُعْم كما أثق بدائرة البحار وتخطيطاتها فيما يخص الاتجاهات الصحيحة للإبحار في البحر الأبيض المتوسط، أو كما أثق في جداول روزنامة براون للملاحة. وقد وثقت بكلِّ غباء بهؤلاء الأغنياء كما يفعل كلب صيد يريد الخروج مع أي رجل يحمل بندقية، أو كما يفعل خنزير مدرّب في السيرك وقد وجد أخيراً شخصاً يحبُّه ويقدِّره لذاته فقط. وعندما صار كلُّ يوم كالمهرجان ظننت أنني اكتشفت شيئاً رائعاً، لدرجة أنَّني قرأت بصوت عالٍ جزءاً من الرواية التي كتبتها، وهذا أسوأ شيء يمكن أن يفعله الكاتب وأكثر خطراً عليه من التزلّج على الأنهار الجليديّة بدون حبل قبل أن تغطي تساقطات الثلوج الشتائيّة شقوق تلك الأنهار وتصدعاتها.

وعندما قالوا: «إنها شيءٌ عظيم، يا إرنست، عظيم حقّاً. لا تستطيع أن تقف على ما فيها من روعة». كنت أحرّك ذيلي فرحاً وأنغمس في مفهوم الحياة المهرجان، آملاً استخلاص شيءٍ منها بدلاً من أن أفكر: «إذا كان هؤلاء الأوغاد يحبّون روايتي، فما الذي ينقصها؟» هذا ما كان يجب عليّ أن أفكر فيه لو كنت أتصرّف بطريقة مهنيّة، على الرغم من أنني لو كنت أتصرّف بصورة مهنيّة لما قرأت الرواية عليهم بتاتاً.

وقبل مجيء هؤلاء الأغنياء، كان قد تسلّل إلينا شخص غنيّ آخر مستخدماً أقدم حيلة معروفة. لقد كان ذلك الشخص الغني في



صورة امرأة شابّة غير متزوّجة أصبحت بصورة مؤقتة صديقة حميمة لامرأة شابّة أخرى متزوّجة، وأخذت تعيش مع الزوج والزوجة، ثمَّ، وبصورةٍ عفويَّةٍ بريئة، عملت بلا هوادة للاقتران بالزوج. وعندما يكون الزوج كاتباً ويقوم بعمل صعب يستغرق جلَّ وقته ولا يستطيع أن يكون رفيقاً أو شريكاً جيّداً لزوجته معظم اليوم، فإنَّ ذلك الترتيب له فوائده حتى تدرك الغرض منه. فالزوج تحيط به فتاتان جذّابتان عندما ينتهي من عمله، وإحداهما غريبة وجديدة، وإذا كان سيّئ الحظّ فإنه سيحبّهما معاً.

وبدلاً من أن تتألَّف العائلة من زوجَين وطفلهما، فإنها تتألف من ثلاثة. يبدو الأمر في البداية مثيراً وممتعاً، ويستمرُّ على هذا المنوال مدَّةً من الزمن. إن جميع الأمور الشرّيرة حقّاً تبدأ من البراءة. وهكذا فأنت تعيش حياتك يوماً بعد آخر، وتستمتع بما لديك، ولا يساورك القلق. وتأخذ في الكذب، وتكره ما تفعل، ويدمّرك ذلك الوضع، ويمسي كلُّ يوم أخطر من سابقه، ولكنَّك تعيش من يومٍ إلى آخر كما في الحرب.

كان من الضروريّ أن أغادر شرونز متوجّهاً إلى نيويورك لأمر يتعلّق بالناشرين. وبعد أن أنهيت مهمّتي في نيويورك وعدت إلى باريس كان من الواجب عليّ أن أستقلّ أول قطار من محطة الشرق ليأخذني إلى النمسا. ولكن الفتاة التي أحبّها كانت في باريس آنذاك، فلم أستقلّ أوَّل قطار ولا الثاني ولا الثالث.

وعندما رأيتُ زوجتي مرَّةً ثانية واقفة على الرصيف عندما توقّف القطار بجانب كومة من الأخشاب في المحطة، تمنيتُ لو كنت ميّتاً قبل أن أحبّ امرأة غيرها. كانت تقف باسمة، وقد غمرت الشمس



وجهها الذي لوّحته الثلوج وأشعة الشمس، وبرز قوامها الجميل، وشعرها الذي بدا أحمرَ ذهبيّاً قد طال خلال الشتاء وتبعثر بصورة جميلة، وكان السيد بومبي يقف معها أشقرَ ممتلئاً، وله خدّان متوردان فتبدّى مثل ولد من أولاد فورارلبرغ الطيّبين.

وقالت عندما ضممتُها بين ذراعيّ: «آه، يا تاتي، لقد عدتَ بعد أن قمتَ برحلة ناجحة. أحبّك وقد افتقدناك كثيراً».

كنت أحبّها ولم أحبَّ أيّة امرأةٍ أخرى وقد أمضينا وقتاً جميلاً كلّه السحر عندما كنا وحيدَين. فقد عملتُ جيّداً وقمنا برحلات رائعة، وظننتُ أنه سيصعب التفريق بيننا مرَّة أخرى، وبقينا متّحدين حتى غادرنا الجبال في أواخر الربيع وعدنا إلى باريس، فبدأ الشيء الآخر ثانية.

هذه نهاية الفصل الأول من باريس. وباريس لن تكون المدينة نفسها مرَّةً أخرى على الرغم من أنّها دائماً باريس، ونحن تغيّرنا كما تغيّرت. ولم نعُد أبداً إلى فورارلبرغ كما أن الأغنياء لم يعودوا إليها.

ليس ثمة نهاية لباريس، وتختلف ذكريات كلّ شخصٍ عاش فيها عن ذكريات الآخرين عنها. وكنا نعود دائماً إليها مهما كنّا وكيفما تغيّرت وبأيّ صعوبة أو سهولة نصلها. فباريس تستحقُّ ذلك دائماً، وهي تمنحك مقابلاً لما تأتي به إليها. ولكن هكذا كانت باريس في الأيام الأولى عندما كنا فقراء جداً وسعداء جداً.




مكتبة
الفكر الجديد

مسرد الأعلام

الفصل الأول

(1) ساحة سان ميشيل	Place Saint-Michel
(2) ساحة كونتر إسكارب	Place Contrescarpe
(3) مقهى الهواة	Café des Amateurs
(4) شارع موفتار	Rue Mouffetard
(5) شارع الكاردنال لوموان	Rue du Cardinal Lemoine
(6) الرسام الفرنسي جورج براك	Georges Braque
(7) الشاعر الفرنسي بول فرلين	Verlaine
(8) مدرسة هنري الرابع الثانوية	Lycée Henri Quatre
(9) ساحة البانتيون	Place du Panthéon
(10) ولاية ميشغان الأميركية	Michigan
(11) قمة لي زافان	Les Avants
(12) تل مونتين سانت جنفييف يطل على نهر السين	Montagne Sainte-Geneviève

الفصل الثاني

(1) الآنسة شتاين (الأديبة وهاوية الفن الأميركية جرترود شتاين)	Miss Stein
(2) حدائق لكسمبورغ	Jardin du Luxembourg



(3) متحف اللوفر	Louvre
(4) متحف جي دي بوم	Jeu de Paume
(5) الفنان الفرنسي بول سيزان	Paul Cézanne
(6) الرسام الفرنسي إدوار مانيه	Edouard Manet
(7) الرسام الفرنسي كلود مونيه	Claude Monet
(8) شارع فلوروس	Rue de Fleurus
(9) فريولانو	Friulano
(10) جان دارك	Joan of Arc
(11) الفنان الفرنسي بوته دي مونفل	Boutet de Monvel
(12) مجلة أتلنتيك الشهرية	The Atlantic Monthly
(13) جريدة ذي ستردي إيفننغ بوست	The Saturday Evening Post
(14) الفنان التشكيلي الإسباني بيكاسو	Picasso
(15) قصة ملانكثا	Melanctha
(16) الأديب الإنجليزي فورد مادوكس فورد	Ford Madox Ford
(17) مجلة ذي ترانس أتلانتك رفيو	The Transatlantic Review
(18) مدينة كنساس	Kansas City
(19) قنينة نبيذ مارسالا	Marsala
(20) قنينة كحول كمباري	Campari
(21) مدينة ميلانو	Milan
(22) شارع فوجيرار	Rue de Vaugirard

الفصل الثالث

(1) الأديب الإنجليزي ألدوس هكسلي	Aldous Huxley
(2) الأديب الإنجليزي د. هـ. لورنس	D. H. Lawrence
(3) سلفيا بيتش، مديرة مكتبة شكسبير في باريس	Sylvia Beach
(4) الروائية الإنجليزية ماري بيلوك لاوندس	Marie Belloc Lowndes



(5) جاك السفّاح	Jack the Ripper
(6) ضاحية إنغاين لي بان في باريس	Enghien-les-Bains
(7) الكاتب البلجيكي سيمنون	Simenon
(8) الكاتبة الصحفية الأميركية جانيت فلانر	Janet Flanner
(9) الروائي الإنجليزي رونالد فيربانك	Ronald Firbank
(10) الروائي الأميركي سكوت فيتزجيرالد	Scott Fitzgerald
(11) الروائي الأميركي شيروود أندرسون	Sherwood Anderson
(12) الشاعر والناقد الأميركي عزرا باوند	Ezra Pound
(13) شارع نوتردام دي شان	Notre-Dame-des-Champs
(14) سيارة فورد تي	Model T Ford
(15) القائد العسكري الفرنسي مارشال نيي	Marshal Ney
(16) الجنرال كولنكور	Caulaincourt
(17) الشاعر الفرنسي غيوم أبولينير	Apollinaire
(18) الإمبراطور الألماني غيوم الثاني	Guillaume II

الفصل الرابع

(1) جزيرة سان لوي	Ile Saint-Louis
(2) كاتدرائية نوتردام	Notre-Dame
(3) جزيرة المدينة	Ile de la Cité
(4) مطعم البرج الفضي	La Tour d'Argent
(5) رصيف غراند أوغستان	Quai des Grands Augustins
(6) فندق فولتير	Hôtel Voltaire
(7) الجسر الجديد	Pont Neuf
(8) سمك الغجوم	Goujon
(9) منطقة با مودون	Bas Meudon
(10) مطعم الصيد العجيب	La Pêche Miraculeuse



(11) نبيذ الموسكادي	Muscadet
(12) الكاتب الفرنسي غي دو موباسان	Maupassant
(13) الرسام الإنجليزي سيسلي	Sisley
(14) ساحة فير غالان	Square du Vert-Galant
(15) ضاحية شارنتون في باريس	Charenton
(16) نهر المارن	Marne

الفصل الخامس

(1) شارع ديكارت	Rue Descartes
(2) جريدة تورنتو	Toronto paper
(3) حلبة أوتي	Auteuil
(4) جواد العنز الذهبي	Chèvre d'Or
(5) حلبة سان سيرو في ميلانو	San Siro
(6) مطعم برونييه	Pruniers
(7) نبيذ السانسير	Sancerre
(8) حدائق التويلري	Tuileries
(9) قوس الكاروسل	Arc du Carrousel
(10) ميدان الكونكورد	Place de la Concorde
(11) قوس النصر	Arc de Triomphe
(12) قوس السرميون	Sermione
(13) ممر سان برنار الجبلي	Saint-Bernard
(14) تشنك	Chink
(15) وادي أوستا الإيطالي	Aosta
(16) مطعم بيفي في الكالريا	Biffi's in Galleria
(17) منطقة إيغل الفرنسية	Aigle
(18) نهر الرون	Rhône



(19) قناة الستوكالبر	Stockalper
(20) جيم غامبل	Jim Gamble
(21) كرمة الوستاريا	Wisteria vine
(22) جريدة غازيت دو لوزان	La Gazette de Lauzanne
(23) نبيذ السيون	Sion
(24) السيدة غانجسويش	Mrs. Gangeswisch
(25) جبل الدان دو ميدي في سويسرا	Dents du Midi
(26) مدينة مونز البلجيكية	Mons
(27) كلية ساندهيرست الحربية	Sandhurst
(28) مدينة كولونيا الألمانية	Cologne
(29) مطعم ميشو	Michaud
(30) الكاتب الإيرلندي جيمس جويس	Joyce
(31) نورا بارناكل (زوجة جيمس جويس)	Nora
(32) جورجيو (ابن جيمس جويس)	Giorgio
(33) لوسيا (ابنة جيمس جويس)	Lucia

الفصل السادس

(1) مايك وارد	Mike Ward
(2) شارع الإيطاليين	Rue des Italiens
(3) جادة الإيطاليين	Boulevard des Italiens
(4) ساحة لوفوا	Square Louvois
(5) ملعب بوفالو	Stade Buffalo
(6) ضاحية مونروج في باريس	Montrouge
(7) بطل سباق الدراجات لينار	Linart
(8) السيوكس (لقب لينار)	The Sioux
(9) ملعب بارك دي برانس	Parc des Princes



(10) المتسابق غاناي — Ganay

الفصل السابع

(1) مكتبة شركة شكسبير — Shakespeare and Company
(2) شارع الأوديون — Rue de l'Odéon
(3) الكاتب الروسي إيفان ترجنيف — Turgenev
(4) المترجمة الإنجليزية كنستانس غارنيت — Constance Garnett
(5) الكاتب الروسي فيودور دوستويفسكي — Dostoyevsky
(6) الكاتب الفرنسي فاليري لاربو — Larbaud
(7) شارع السين — Rue de Seine
(8) نبيذ البون — Beaune

الفصل الثامن

(1) متحف اللكسمبورغ — Musée du Luxembourg
(2) ساحة سان سلبيس — Place Saint-Sulpice
(3) أدريان — Adrienne
(4) الكاتب الفرنسي ميون بول فارك — Fargue
(5) الكاتب الألماني هرمون فون ودركوب — Wedderkop
(6) مجلة در كيرشنت — Der Querschnitt
(7) جريدة الأوقات الفرانكفورتية — Frankfurter Zeitung
(8) مطعم ليبس — Lipp's
(9) الكأس المميز — Distingué
(10) الكاتب الأميركي إدوارد أوبراين — Edward O'Brien
(11) الصحفي الأميركي لنكولن ستيفنس — Lincoln Steffens
(12) منطقة رابالو الإيطالية — Rapallo
(13) منطقة كورتينا دامبيدزو الإيطالية — Cortina d'Ampezzo



(14) شارع رين	Rue de Rennes
(15) مقهى دو ماغو	Les Deux Magots
(16) شارع بونابرت	Rue Bonaparte
(17) شارع غينمير	Rue de Guynemer
(18) شارع آساس	Rue d'Assas
(19) مقهى بستان الليلك	Closerie des Lilas

الفصل التاسع

(1) مقهى القبة	Dôme
(2) مقهى الطارمة	Rotonde
(3) شارع مونبرناس	Boulevard du Montparnasse
(4) شارع رسباي	Boulevard Raspail
(5) الشاعر الفرنسي بول فور	Paul Fort
(6) الكاتب الفرنسي بليز سندرار	Blaise Cendrars
(7) مرقص المزمار	Bal Musette
(8) الكاتب الفرنسي/ الإنجليزي هيلير بِلوك	Belloc
(9) الروائية الإنجليزية أويدا	Ouida
(10) دار النشر الألمانية تاوشنتس	Tauchnitz
(11) هاوي الفن الثري جون كوين	John Quinn
(12) السفير الأميركي في فرنسا ميرون هيريك	Myron T. Herrick
(13) الكاتب الأميركي هنري جيمس	Henry James
(14) الشخصية الروائية هاري هوتسبور	Harry Hotspur
(15) الروائي الإنجليزي أنثوني ترولوبه	Trollope
(16) الكاتب الإنجليزي هنري فيلدنغ	Fielding
(17) الكاتب الإنجليزي كريستوفر مارلو	Marlowe
(18) الشاعر الإنجليزي جون دون	John Donne



(19) جريدة البذلة الرياضية الباريسية	Paris-Sport Complet
(20) الكاتب والساحر الإنجليزي أليستر كراولي	Alestair Crowley

الفصل العاشر

(1) مقهى الكوخ الصغير	Petite Chaumière
(2) هارولد	Harold
(3) السيد بومبي (لقب ابن همنغواي)	Mr. Bumby
(4) القط ف. بوس	F. Puss

الفصل الحادي عشر

(1) الرسام البلغاري جول باسكِن	Pascin
(2) مطعم زنجي تولوز	Nègre de Toulouse
(3) السيد لافين	Mr. Lavigne
(4) نبيذ كاهور	Cahors
(5) مقهى النخبة	The Select
(6) الصحفي والناقد الأميركي هارولد ستيرنز	Harold Stearns
(7) شارع دلامبر	Rue Delambre
(8) مطعم الفايكنغ	Chez Les Vikings
(9) مسرح برودواي	Broadway

الفصل الثاني عشر

(1) دوروثي	Dorothy
(2) الفنان الفرنسي هنري غودبي-برزيسكا	Gaudier-Brzeska
(3) الفنان الفرنسي فرنسيس بكابيا	Picabia
(4) الكاتب والرسام الإنجليزي وندهام لويس	Wyndham Lewis
(5) الأديب الأميركي البريطاني ت. س. إليوت	T. S. Eliot



(6) الأديبة الأميركية ناتالي بارني	Natalie Barney
(7) الكاتب والناقد الفرنسي ريمي دو غورمون	Remy de Gourmont
(8) جائزة الدايل	The Dial Award
(9) مجلة المعيار	The Criterion

الفصل الثالث عشر

(1) الرسام والنحات الإسباني خوان غريس	Juan Gris

الفصل الرابع عشر

(1) الشاعر الأميركي إرنست والش	Ernest Walsh
(2) محلات كلاريدج	Claridge's
(3) الشاعرة والناقدة الأميركية هاريت مونرو	Harriet Monroe
(4) الشاعر الإنجليزي إدي غيست	Eddie Guest
(5) الصحفي والأديب روديارد كبلنغ	Kipling
(6) الشاعر والناشر الأميركي الثري سكوفيلد ثاير	Scofield Thayer
(7) محار المارين	Marennes
(8) محار البرتغالية	Portugaises
(9) نبيذ بويي فويسيه	Pouilly-Fuissé
(10) شرائح التورنيدو	Tournedos
(11) صلصة البيارنيز	Béarnaise
(12) نبيذ شاتونف دو باب	Châteauneuf-du-Pape
(13) كحول الشيري الجاف	Dry sherry

الفصل الخامس عشر

(1) كاتب سباقات الخيول الأميركي إيفان شبمان	Evan Shipman
(2) الكاتب الروسي نكولاي غوغول	Gogol



(3) الكاتب الروسي ليو تولستوي	Tolstoï
(4) الكاتب الروسي أنطون تشيخوف	Chekov
(5) الكاتبة النيوزلندية كاثرين مانسفيلد	Katherine Mansfield
(6) الكاتب الأميركي ستيفن كرين	Stephen Crane
(7) المصوّر الأميركي ماثيو برادي	Brady
(8) رواية راهبة بارم لستندال	La Chartreuse de Parme by Stendhal
(9) شارع أراغو	Boulevard Arago
(10) مرقص بوليي	Bal Bullier
(11) قصيدة المازيا	Mazeppa
(12) باب أورليان	Porte d'Orléans
(13) منطقة شرونز النمساوية	Schruns
(14) مشروب البوفريل	Bovril

الفصل السادس عشر

(1) الشاعر الأميركي رالف شيفر دوننغ	Ralph Cheever Dunning
(2) حانة الثقب في الحائط	Hole in the Wall bar
(3) قافية الترزا ريروسه	Terza riruce
(4) الشاعر الإيطالي دانتي	Dante

الفصل السابع عشر

(1) حانة دينغو	Dingo
(2) لاعب البيسبول الأميركي دونك شابلان	Dunc Chaplin
(3) جامعة برنستون الأميركية	Princeton
(4) محل الإخوة بروكس للألبسة التجارية	Brooks Brothers
(5) الصحفي والكاتب الأميركي جورج هوراس لوريمر	George Horace Lorimer



(6) رواية غاتسبي العظيم لسكوت فتزجيرالد	The Great Gatsby
(7) الناشر الأميركي ماكسويل أو ماكس باركنز	Maxwell or Max Perkins
(8) الكاتب والناقد الأميركي جلبرت سيلدِس	Gilbert Seldes
(9) زيلدا (زوجة سكوت فتزجيرالد)	Zelda
(10) سيارة رونو	Renault
(11) ساحة النجمة	L'Étoile
(12) جريدة بريد السبت المسائية	Saturday Evening Post
(13) دار النشر الأميركية بوني وليفرايت	Boni and Liveright
(14) مجلة هذا الفصل	This Quarter
(15) نبيذ سان أميلون	Saint-Émilion
(16) كتاب تخطيطات رجل رياضي	A Sportsman's Sketches
(17) نبيذ ماكون	Mâcon
(18) ضاحية نويي في باريس	Neuilly
(19) منطقة شالون على نهر السون الفرنسية	Chalon-sur-Saône
(20) منطقة سان رافائيل الفرنسية	Saint Raphaël
(21) منطقة شاطئ الذهب الفرنسية	Côte d'Or
(22) الكاتب الأرميني ميخائيل آرلن	Michael Arlen

الفصل الثامن عشر

(1) حي مونمارتر في باريس	Montmartre
(2) الليدي ديانا مانرز	Lady Diana Manners
(3) جبال الأستيرال	Estérel
(4) رأس عنتيبة	Cap d'Antibes
(5) منطقة شرونز في ولاية فورارلبرغ النمساوية	Schruns in the Vorarlberg
(6) دار نشر سكرايبنرز الأميركية	Scribner's
(7) جبال البيرينيه	Pyrénées



(8) بلدة جوان لي بان الفرنسية — Juan-les-Pins

(9) مدينة بايون الفرنسية — Bayonne

(10) بلدة هينداي الفرنسية — Hendaye

(11) عائلة الأديب الأميركي آرتشبالد مكليش — The MacLeishes

(12) عائلة المغترب الأميركي الثري جيرالد ميرفي — The Murphys

(13) الممثل والمغنّي الأميركي آل جولسون — Al Jolson

الفصل التاسع عشر

(1) شارع يعقوب — Rue Jacob

(2) شارع دي سان بير — Rue des Saints-Pères

(3) فندق الريتز — Ritz

(4) فندق الكريون — Le Crillon

(5) البارون فون بلكسن — Baron von Blixen

(6) المستكشف الإنجليزي سير صموئيل بيكر — Sir Samuel Baker

(7) بليكي — Blickie

الفصل العشرون

(1) مدينة فيلدكرش النمساوية — Feldkirch

(2) إمارة لايختنشتاين — Liechtenstein

(3) بلدة بلودنز النمساوية — Bludenz

(4) فندق تاوبه — Taube

(5) كوخ لنداور هوته — Lindauer Hutte

(6) كوخ مادلنر هاوس — Madlenerhaus

(7) كوخ بادنر هوته — Badener Hutte

(8) قرية تشاغونز النمساوية — Tschagguns

(9) جبال سيلفريتا النمساوية — Silvretta



(10) منطقة كلوسترز السويسرية	Klosters
(11) مدرِّب التزلج والتر لينت	Walther Lent
(12) جبال آرلبرغ في النمسا	Arlberg
(13) جبال دولوميتس في إيطاليا	Dolomites
(14) مشروب الكيرش الكحولي	Kirsch
(15) مشروب الإنزيان شنابز الكحولي	Enzian Schnapps
(16) نبات الجنطانيا	Gentian
(17) السيد نيلس	Herr Nels
(18) السيد لينت	Herr Lent
(19) الكلب شناوتز	Schnautz
(20) حانة فاين شتوبه	Weinstube
(21) الشاعر والمسرحي الألماني هانز ساخس	Hans Sachs
(22) معركة جوتلاند التي دارت بين الإنجليز والألمان	Battle of Jutland
(23) الأميرال الإنجليزي جاليكو	Jellicoe
(24) منطقة تسورز النمساوية	Zurs
(25) وادي مونتافون النمساوي	Montafon
(26) ملك الهُون المحارب أتيلا	Attila




مكتبة
الفكر الجديد

الفهرس

مقدمة المترجم 7
مقدِّمة المؤلِّف 25
ملاحظة 27
1) مقهى جيد في ساحة سان ميشيل 29
2) توجيهات الآنسة شتاين 35
3) جيل ضائع 49
4) أهل السين 57
5) ربيع زائف 63
6) نهاية هواية 75
7) شركة شكسبير 83
8) الجوع تهذيب جيّد 89
9) فورد مادوكس فورد ومريد الشيطان 99
10) ميلاد مدرسة جديدة 109
11) مع باسكِن في مقهى القبة 117



12) عزرا باوند وحبه للأدب 125
13) نهايةٌ غريبةٌ حقّاً 133
14) الرجل الموسوم بالموت 137
15) إيفان شبمان في البستان 145
16) عميل الشرّ 155
17) سكوت فتزجيرالد 161
18) الصقور لا تتقاسم الفريسة 195
19) مسألة مقاييس 205
20) لا نهاية لباريس مطلقاً 211
مسرد الأعلام 229



الدكتور علي القاسمي

سيرة علمية موجزة

- علي بن الحاج محمد بن الحاج عيسى بن الحاج حسين القاسمي (المعروف بالدكتور علي القاسمي) - ولد في بلدة الحمزة الشرقي في محافظة القادسية في العراق في 31/ 5/ 1942.
- مقيم في المملكة المغربية منذ سنة 1972.

عنوان البريد الإلكتروني: alkasimi@gmail.com

تعليمه:

- تلقى تعليمه العالي في جامعاتٍ في العراق (جامعة بغداد)، ولبنان (الجامعة الأميركية في بيروت، وجامعة بيروت العربية - فرع جامعة الإسكندرية)، والنرويج (جامعة أوسلو)، وبريطانيا (أكسفورد)، وفرنسا (السوربون)، والولايات المتحدة الأميركية (جامعة تكساس في أوستن).
- حصل على الإجازة (مرتبة الشرف) في الآداب، وليسانس في الحقوق، وماجستير في التربية، ودكتوراه الفلسفة في علم اللغة التطبيقي.



عمله:

- مارس التعليم في جامعة بغداد، وجامعة تكساس في أوستن، وجامعة الملك سعود بالرياض، وجامعة محمد الخامس بالرباط. وحاضَرَ في جامعات أخرى مثل جامعة أكستر في بريطانيا، وجامعة تمبرة في فنلندا، وجامعة مراوي ستي في الفلبين.
- عمل مديراً لإدارة التربية في المنظَّمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالرباط؛ ثم مديراً لإدارة الثقافة ومديراً لأمانة المجلس التنفيذي والمؤتمر العام في المنظمة نفسها، ثم مديراً للأمانة العامة لاتحاد جامعات العالم الإسلامي.
- يعمل حالياً مستشاراً لمكتب تنسيق التعريب بالرباط.

نشاطه الأكاديمي:

- عضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وفي مجمع اللغة العربية بدمشق.
- عضو المجلس العلمي لهيئة المعجم التاريخي للغة العربية في اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية.
- عضو المجلس العلمي لمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية.
- عضو الهيئة الاستشارية للمركز الكوري للغة العربية والثقافة الإسلامية في سيئول.
- عضو المجلس الاستشاري للأمم المتحدة حول تقرير «**التكامل العربي**».
- عضو المجلس الإداري لمؤسسة عبد الهادي بوطالب للعلم والتنوير الثقافي، الدار البيضاء.



مجالات الاهتمام:

التربية والتعليم العالي، تعليم العربية ومناهجها، علم المصطلح، صناعة المعجم، الترجمة ونظرياتها، التنمية البشرية، حقوق الإنسان، القصة القصيرة، الرواية، النقد الأدبي المعاصر، التاريخ الفكري.

اللغات:

يجيد الإنجليزية والفرنسية، ويلمّ بالألمانية والإسبانية.

تناولت أعمالَه السردية دراساتٌ عديدةٌ منها الكتب الآتية:

- سوسن البياتي (الدكتورة)، **بنية النص القصصي: رؤية سردية في مجموعة «دوائر الأحزان» لعلي القاسمي** (تونس: دار بدوي، 2015).
- محمد مساعدي وإبراهيم عمري (الدكتوران)، **النقد النصي واستراتيجيات القراءة** (تازة: مختبر البحث في اللغة والأدب والتواصل بالكلية متعددة التخصصات، 2015).
- إدريس الكريوي، **بلاغة السرد في الرواية العربية: رواية علي القاسمي «مرافئ الحب السبعة» نموذجاً** (بيروت/ الجزائر/ الرباط: ضفاف/ الاختلاف/ الأمان، 2014).
- إبراهيم أكراف (المحرر)، **دراسات نقدية مختارة عن رواية «مرافئ الحب السبعة»** (الرياض: شركة الارتقاء المعرفي للنشر الإلكتروني، 2014).
- محمد صابر عبيد (الدكتور)، **حركية العلامة القصصية، جماليات السرد والتشكيل** (بيروت: المؤسسة الحديثة للكتاب، 2014).
- عبد المالك أشهبون (الدكتور)، **علي القاسمي: مختارات قصصية،**



مع دراسة تحليلية (بيروت/ الجزائر/ الرباط: دار ضفاف ودار الاختلاف ودار الأمان، 2013).

الحسن الغشتول (الدكتور)، **بين الفكر والنقد** (القاهرة: دار الكلمة، 2013).

فيصل غازي النعيمي (الدكتور)، **حساسية النص القصصي: قراءة في مجموعة «حياة سابقة» لعلي القاسمي** (بيروت/ الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون ودار الأمان، 2012).

إبراهيم أولحيان، **الكتابة والفقدان: قراءة في التجربة القصصية عند علي القاسمي** (الدار البيضاء: دار الثقافة، 2011).

محمد صابر عبيد (الدكتور)، **التجربة والعلامة: قراءة في مجموعة «أوان الرحيل» لعلي القاسمي** (عمّان: عالم الكتب الحديث، 2011).

إدريس الكريوي، **جماليات القصة القصيرة: دراسات في الإبداع القصصي لدى علي القاسمي** (الدار البيضاء: دار الثقافة، 2010).

عبد المالك أشهبون (الدكتور)، **من خطاب السيرة المحدود إلى عوالم التخييل الذاتي الرحبة** (فاس: 2008).

عبد الرحيم العلام، **سيرة الفقدان** (الدار البيضاء: دار الثقافة، 2007).

إحسان التميمي (الدكتور)، **المعادل البصري في السرد العربي** (الشارقة: جائزة الشارقة للإبداع، 2007).

شرف الدين ماجدولين (الدكتور)، **الصورة السردية في الرواية والقصة والسينما** (القاهرة: دار رؤية للنشر والتوزيع، 2006).



- لحسن حمامة، **القارئ وسياقات النص** (الدار البيضاء: دار الثقافة، 2006).
- مصطفى شقيب، دراسة سايكولوجية عن «**حياة سابقة**» لعلي القاسمي (كتاب معدّ للطبع).

له مؤلَّفات بالعربية والإنجليزية منها:

في المعجمية:

- **صناعة المعجم التاريخي للغة العربية** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2014)، 650 صفحة.
- **معجم الاستشهادات** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2001).
- **معجم الاستشهادات الموسّع** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2008)، 1039 صفحة.
- **معجم الاستشهادات الوجيز للطلاب** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2012).
- **المعجم العربي الأساسي** (باريس: الألكسو/ لاروس، 1989، ط 2: 1991) - المنسِّق - 1347 صفحة.
- **علم اللغة وصناعة المعجم** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2004) ط 3. الطبعتان الأولى والثانية: (الرياض: جامعة الرياض، 1975، 1991).
- **المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2003).
- *Linguistics and Bilingual Dictionaries* (Leiden: E. J. Brill, 1977, 1, 1983).

في المصطلحية:

- **علم المصطلح: أُسسه النظرية وتطبيقاته العملية** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2008)، 821 صفحة.
- **مقدمة في علم المصطلح**، الطبعة الثانية: (القاهرة: مكتبة النهضة، 1988)، الطبعة الأولى: (بغداد: الموسوعة الصغيرة، 1985).
- **معجم مصطلحات علم اللغة الحديث** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1981) - مع آخرين -

في التربية والتعليم:

- **الجامعة والتنمية** (الرباط: المعرفة للجميع، 2002).
- **اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى** (الرياض: جامعة الرياض، 1979).
- **التقنيات التربوية في تعليم العربية لغير الناطقين بها** (الرباط: الإيسيسكو، 1991).
- **مختبر اللغة** (الكويت: دار القلم، 1970).
- **تنظيم المكتبة المدرسية**، الطبعة الأولى: (دمشق: دار الفكر، 1969) - مع د. ماهر حمادة. الطبعة الخامسة: (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996).

في الفكر:

- **مفاهيم العقل العربي** (الدار البيضاء: دار الثقافة، 2004).
- **حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والإعلان العالمي**، الطبعة الثانية: (القاهرة: دار الأديب كامل الكيلاني، 2008). الطبعة الأولى: (الرباط: المعرفة للجميع، 2001).



- **السياسة الثقافية في العالم العربي** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2012).
- **لغة الطفل العربي: دراسات في السياسة اللغوية وعلم اللغة النفسي** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2009).

في النقد:

- **الثورة والشعر** (تونس: البدوي للنشر والتوزيع، 2015).
- **صيّاد اللآلئ: في الفكر والإبداع المغربي المعاصر** (الدار البيضاء: دار الثقافة، 2012).
- **العراق في القلب: دراسات في حضارة العراق**، الطبعة الثانية: (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2010)، 712 صفحة. الطبعة الأولى: (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2004).
- **النور والعتمة: إشكالية الحرية في الأدب العربي** (الدار البيضاء: دار الثقافة، 2009).
- **الحب والإبداع والجنون: دراسات في طبيعة الكتابة الأدبية** (الدار البيضاء: دار الثقافة، 2006).
- **من روائع الأدب المغربي: قراءات** (الرباط: منشورات الزمن، 2002).

في القصة:

- **الأعمال القصصية الكاملة** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2013).
- **الحب في أوسلو** - قصص - (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2014).



- **حياة سابقة**، مجموعة قصصية (الدار البيضاء: دار الثقافة، 2008).
- **صمت البحر**، مجموعة قصصية (الدار البيضاء: دار الثقافة، 2003).
- **رسالة إلى حبيبتي**، مجموعة قصصية (الدار البيضاء: دار الثقافة، 2003).
- **دوائر الأحزان**، مجموعة قصصية (الدار البيضاء: دار الثقافة، 2008) ط 3 و 2. الطبعة الأولى: (القاهرة: دار ميريت، 2005).
- **أوان الرحيل**، **مجموعة قصصية**، الطبعة الثانية والثالثة: (الدار البيضاء: دار الثقافة، 2010، 2015)، الطبعة الأولى: (القاهرة: دار ميريت، 2007).
- *Circles of Sorrows*, Translated by Musa Halool (Taif: University of Taif, 2014).

في الرواية:

- **مرافئ الحُبّ السبعة** - رواية - (الدار البيضاء/ بيروت: المركز الثقافي العربي، 2012).
- **عصفورة الأمير: قصة عاطفية من طي النسيان للأذكياء من الفتيات والفتيان** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2005).

في الترجمة:

- **الترجمة وأدواتها: دراسات في النظرية والتطبيق** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2009).
- إرنست همنغواي، **الوليمة المتنقلة**. الطبعة السادسة: (القاهرة: دار رؤية، 2013)، الطبعة الخامسة (الرباط: منشورات الزمن،



2013)، الطبعة الرابعة: (القاهرة: مكتبة الأسرة، 2009)، الطبعة الثالثة: (القاهرة: دار ميريت، 2006). الطبعة الثانية: (الرباط، منشورات الزمن، 2002)، الطبعة الأولى: (دمشق: دار المدى، 2001).

- رواية ألَن لايتمَن، **أحلام أنشتاين**. الطبعة الثانية: (الرباط: منشورات الزمن، 2011)، الطبعة الأولى: (القاهرة: مجلة إبداع، 2011).
- إرنست همنغواي، **الشيخ والبحر**. الطبعة السادسة (بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2016)، الطبعة الخامسة: (الرباط: منشورات الزمن، 2015)، الطبعة الرابعة (الرباط: منشورات الزمن، 2013)، الطبعة الثالثة: (القاهرة: دار رؤية، 2013)، الطبعة الثانية: (القاهرة: دار ميريت، 2008)، الطبعة الأولى: (الرباط: منشورات الزمن، 2008).
- مترجمة عن هولبرغ، **مسرحية الفلاح البائس**. الطبعة الثانية: (الرباط: منشورات الزمن، 2013)، الطبعة الأولى: (بغداد: مكتبة الأعظمي، 1969).

Modern Iraqi Short Stories (Baghdad: Ministry of Culture, 1969) - with W. Frazier

من الدروع والأوسمة:

- يحمل دروعاً عديدة من جامعات حاضر فيها في إندونيسيا، والجزائر، والسعودية، والفلبين، وماليزيا، ومصر، والمغرب، وغيرها.
- وسام الأسد السنغالي، من رئيس الجمهورية الشاعر ليبولد سنغور، لمشاركة القاسمي في تأسيس مدارس حديثة لتعليم العربية والثقافة الإسلامية في السنغال.



إرنست همنغواي

باريس عيد

يضمُّ هذا الكتاب ذكريات الروائي الأميركي الشهير، إرنست همنغواي، عن سنوات شبابه، حينما كان مراسلاً صحفياً في باريس في العشرينيات من القرن الماضي. واستناداً إلى مذكِّراته التي كانت مُودَعة في مخزنٍ بفندق ريتز-كارلتون في باريس، فإنَّ هذا الكتاب يتألَّف من قصصٍ وملاحظاتٍ متنوعةٍ صاغها همنغواي بأسلوبٍ ساخرٍ مضحك؛ إضافةً إلى وصفٍ فريدٍ لروعة الحياة اليومية في مدينة الأنوار: مطاعمها، وحاناتها، ومقاهيها، وفنادقها، ومكتباتها، التي ما زال العديد منها ماثلاً للعيان إلى اليوم.

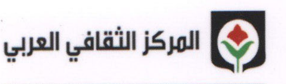


ومن بين هذه الصور القلمية الأخّاذة، حكاياتٌ لا تُنسى عن أصدقاء همنغواي من الفنّانين والأدباء الذين كُتِبَ لبعضهم الشهرة والخلود، في حين كان نصيب بعضهم الآخر خمول الذكر والنسيان.

❖ ❖ ❖

ترجم هذه الذكريات الدكتور علي القاسمي، الكاتب العراقي المبدع الذي صدرت له عدة مؤلفات بالعربية والإنجليزية، من بينها رواية **مرافئ الحب السبعة** الصادرة عن المركز الثقافي العربي.

ومن حرص المترجم لأن يوصل لنا إحساساً يكاد يُلامس الواقع بأماكن همنغواي، قام بزيارة باريس بنفسه ليستكشف معالم هذه المدينة الساحرة ويقدم للقارئ العربي ترجمة أمينة لشهادة همنغواي القيّمة على عصره.



الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com



ISBN 978-9953-68-820-6
9 789953 688206